انفاس

مجلة فكرية عربية مغربية

عدد مزدوج

- بصـــدد الاصلاحات
- معركة عمال مناجم خريبـكة
- العلاقات والصرعات الطبقية الراهنة في قطـــاع النسيـــج
- موضوعات في الخط العام لنضال الطبقة العاملة
- دور الابناك الاجنبية في المغرب
- فلسطين جديدة في ارض الصحراء
- نقد الحركة الاصلاحية وافقها الايديلوجي
- مقابلة مع عبد الله العروي

درهـم 2

ـــدد : 7-8

ـسمبـر 1971

ـنايـر 1972



انفـــاس

مجلـــة فكريـــة عربيـــة مغربيـــة (تصدر شهريا)

المعنوان : ٤ شارع باستور ـ الرباط ـ المغرب

ح. ب ٧٩ ٩٨٩ الهاتف ٩٢ـ٢٣٥

المسؤول : عبد اللطيف اللعبي

القسم	الموضوع	الكاتب	الصفحة
الافتتاحيـــة	بصـــدد الاصلاحـــات	انفاس	2
قضايا وطنيـة ملف حول النضالات العماليـة	١) معركة عمـال مناجم خريبكـة		8
	• مدخـل تاريخـي		
	• الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للعمال ، الاضراب الاخير	انفـاس	11
	• كفاح عمال الفوسفاط في مواجهة المصالح الامبريالية	أحمد طـارق	21
	٢) العلاقات والصراعات الطبقية الراهنة في قطاع النسيج	محسن الكبيري	25
	٣) هل يجب تغيير «صوماكا» ؟	أحمد طـارق	35
	٤) حول اضراب عمال السكر ببني ملال والنضالات العمالية في الاقليـم	محمـد د .	38
	٥) موضوعات في الخط العام لنضال الطبقة العاملة	ناوري حسن	40
دراسات اقتصادية	دور الابنـاك الاجنبيـة في المغـرب	حسن اقبال	58
	فلسطين جديدة في أرض الصحراء	أنفـاس	66
موضوعات فكريـة	• نقد الحركة الاصلاحية وأفقها الايديولوجي	ابراهيم الخطيب	77
	• مقابلة مع عبد الله العـروي	أنفـاس	89
ثقافـة وأدب (قصائـد)	• أقـوال شاهـد اثبـات	محمد الفيتـوري	98
	• على درب الثورة الاشتراكية	محمد الحبيب الفرقاني	100
	الرحلـة والوصـول	أحمد بلبداوي	104
وثائـــق	ميثاق الاتحاد الوطني للمهندسين الجمعية المغربية لمدرسي الفلسفة (بيانات)		106
بريـد القـراء	رسالـــة مـن فـاس		119

عدد مزدوج ٧ ـ ٨   دسمبر ١٩٧١ ـ يناير ١٩٧٢   مطبعة التومي . الرباط



بـصــدد الاصــلاحـــات

تمر هذه المرحلة من تاريخ بلادنا رسميا تحـت عنوان : الاصــلاح !

وليست هذه أول مرة تضطر فيها الطبقة السائدة الى ذر بعض السماد من التنازلات فـي هياكلها الذابلـــة والقــاحلة ، خصوصا كلما هــدد النضال الجماهيري بالعصف بتلك الهياكــل ٠

2

عاش الشعب تجربة عهد حكومة ائتلافية في الستينات، ثم عاش تجربة برلمان دام سنتين ، وهو الان يعيش فترة جديـدة من نفس الطعـم تقريبا ٠٠٠ لكن مجمل تطور أوضاعه لاتعرف غير الاستفحال ٠ لماذا ؟ لان المصالـح الاساسية للاحتكارات الامبريالية والطبقة السائـدة ،تلك المصالح التي تعبر عنها التخطيطات والتشريعات ، والتي تطبقها أجهزة الدولة ، تلك المصالح لم تعــرف عبر السنين غير التصاعد والتمركز والتكريس ٠

«فليأخذ العبرة اولي الالبــاب» ٠

١ ـ البطالـــة ٠

ان قوى الانتاج الاساسية أي الـيد العاملة المؤهلـة لبيع قوة عملها ، تعرف في بلادنا بحكم تبعية النظـام بمجمله للامبريالية ، تشريـدا لا انسانـيا ٠ العاطلـون يقدرون بالملايين ، في البادية والمدن معا ٠

ان تطور الرأسمالية في البادية وما ينتج عنها مــن عوامــل :

١ ـ تمركز ملكية الارض ووسائل الانتاج بشكل سريع في يد حفنة من كبار الرأسماليين ، أو من كبار المعمرين الجـدد ٠

٢ ـ تدهور عــلاقات المبادلة بفعل الحجم المجحـــف للضرائب الغير المباشرة ، وبفعل عدم التكافؤ في السوق بين المواد الخام الزراعية وبين البضائع الاستهلاكيــة المستوردة في أغلبها ، ـ

٣ ـ تسلط فئة من السماسرة على شبكة التسويق في الباديـــة ٠

٤ ـ تدخل الدولة بالتشريعات والقروض لفرض مقاييس انتاجية ساحقة بدعوى الانتاجية ٠

هذه العوامل تجعل أغلب سكان المغرب ، الفلاحين الفقراء والمتوسطين ، في السهول والجبال على السواء ، مهددين بالافلاس ، وتجعل اعدادا ضخمة من السواعد المبلترة ، أي التي فقدت وسائلها في الانتاج ، تتسكع في البادية أو تهاجر الى المدن أو الخارج بحثا عن العمل ٠٠ انها الملايين ! لكن أين العمل ؟

في المدن ، أو في القطاع الصناعي ، تسيطر الرساميل الكبيرة الاجنبية والكمبرادورية ، وتوجه الصناعة توجيها تحويليا خفيفا ، وتستورد وسائل الانتاج الباهضة من الامبريالية تمشيا مع «مقتضيات المنافسة» ٠

والنتيجة انعدام انتاج وسائل الانتاج في البلاد بذاتها وهذا يكرس التبعية ٠ وحصر الصناعة المحلية في حدود أعجز ما تكون عن استيعاب ولو عشر السواعد العاطلة ٠٠٠ والنتيجة النهائية المأزق !

لكن هنا تاتي «اللبرالية» التجارية ، لتلتحم مع تدهور القدرة الشرائية ، فتبني سدا منيعا في وجه استقرار الانتاج الصناعي البخس نفسه ٠ وأصل اللبرالية هو وجود الكمبرادوريين الكبار ، وسيطرة الابناك الاجنبية ، وتوجه الانتاج الفلاحي نحو مقتضيات «تغذية» البلدان الاوروبية «الشبعانة» ، حتى ولو اسفر ذلك عن افتقارنا للقمح ٠

ومن نتائج ذلك :

3

ـ التبعية التجارية للامبريالية ، وبالتالي استحالة تطور الصناعة المحلية ٠
ـ عدم استقرار انتاج المعادن ، لانها تصدر بدون تحويل ، بالاضافة الى الازمة المعروفة في المواد الخام ٠
ـ ضغط منافسة النسيج المستورد على النسيج المحلي مثلا ٠

وفي النهاية عدم استقرار العمل ، وطرد العمال ٠

اذن ، الان توضع أولوية التصنيع ٠ لكن في الصيف ضاع اللبن ٠

ويستحيل وضع حد لازمة البطالة مادامت الهياكل الراسمالية قائمة ، وتزايد النمو الديموغرافي ينتج عنهما في البادية عشرات الالاف من السواعد العاطلة ٠

وسيستحيل خلق معجزة صناعية خيالية مادامت الابناك مسيطرة هنا ، والطفيليون معها ٠ قد تستطيع الطبقة السائدة ايجاد بعض الصناعات التحويلية ، لرفع قيمة المواد الزراعية عند التصدير ٠ لكن ذلك يبقى في اطاره التبعي والتحويلي الضيق ٠

بورجوازية صغرى في البلدان العربية ديناميكية ، وطنية ، أممت أهم جزء من مصالح الاستعمار ، وأفلست مع ذلك في مسالة التشغيل والقضاء على البطالة ، فبالاحرى المعمرون الجدد ، المنضبطون بدقة لمصالح الامبريالية ، والمريضون بشره طفيلي عضال ٠

٢ ـ الاجور والاثمان ٠

يتعلق الامر بالعطف على الطبقة العاملة في هذه الايام ٠٠٠ بعد عشر سنوات من جمود الاجور ٠

الزيادة في الحد الادنى للاجور من ٨٥ر٠ في البيضاء الى ٩٦ر٠ درهم ، وتوحيد مناطق الاجور مع الدار البيضاء ، لافائدة منه ٠ لماذا ؟ من الناحية التطبيقية لان العمال (٨٠٪ في البيضاء مثلا) ، تجاوزوا بفضل نضالاتهم الحد الادنى الجديد ٠٠٠ ومكتسباتهم نفسها صارت في هذا المضمار محتاجة الى التجديد بحكم ارتفاع سعر المعيشة بمقدار الضعف تقريبا في عشر سنوات ٠

الصراع الطبقي ، بين العمال وأرباب العمل هو الحكم الاخير ٠ لذلك كان العمال أول من وعى هذه الحقيقة ٠٠٠ فكانت الاضرابات قبل الحد الادنى وبعده ٠٠٠ وكانت الحركة العمالية الاخيرة التي لاتزال مستمرة ٠

ان القوانين والتقنيات ، عجزت في اوربا الرأسمالية المتقدمة ذاتها عن ضبط العلاقة بين الاثمان والاجور ٠ لان الرأسماليين هم الذين يدفعون الاجور ، ويحددون الاثمان ٠ ولان دينهم هو الربح ، فهم يعملون دوما على اكتساب ما يخسرونه في حالة رفع الاجور باللجوء لرفع الاثمان ٠٠٠ ولا يفوت علماء الاقتصاد أن يزيلوا المسؤولية في هذا المضمار عن الرأسمالية ليضعوها على عاتق قانون ميتافزيقي يتجاوز الطبقات وهو قانون العرض والطلب ٠ ارتفاع الاثمان يؤدي الى ارتفاع الاجور والعكس صحيح ٠٠٠

وعندنا ، حيث يضاف الى ابليس الراسمالية ،شيطان السمسرة والمضاربة ، تزيد الاثمان باطراد ٠٠٠ حتى عندما تحاول الدولة الحد من صعودها ، تعجز عن التحكم في الطبقة التي تستند اليها ، فتلجأ في النهاية الى غض الطرف ٠ وحكاية الزبدة مثال ساطع ،اما الكراء فضلالة ٠

ان الاثمان تحتوي على جزء هام من الضرائب الغير مباشر التي تثقل كاهل المواطنين ٠ ويقال ان ذلك هو ثمن «التنمية» أي تنمية المعمرين الجدد ، والبيروقراطيين الطفيليين وتمويل البدخ والتبذير وتفقير الشعب ، وهذه حقائق ملموسة ومؤكدة ٠ الضرائب الغير مباشرة تذر على الدولة أضعاف الضرائب المباشرة ، لان المعمرين الجدد ، وكبار الرأسماليين لاتفرض عليهم ضرائب ، ولهم وسائل تفاديها حتى اذا فرضت عليهم ٠ اذن لامناص من تصاعد النضال الطبقي من أجل رفع الاستغلال ومن أجل التحرر الطبقي والسياسي ، لان مصالح الكادحين الاقتصادية والسياسية لاتمر بالمرة عن طريق «تنمية الراسماليين» ٠

٣ ـ الارض

٦٠٪ من الفلاحين لا أرض لهم أو يملكون أقل من هكتارين ٠٠٠ «والاصلاح الزراعي» بمفهومه الرسمي يحاول الاسراع في توزيع مساحات أوسع من أراضي الاستعمار القديم ٠ ومعروف ان الاستعمار سلب من الفلاحين أكثر من مليون هكتار ، وأن هذه الوضعية استمرت بعد «الاستقلال» وحتى الان ٠ ومعروف ايضا

أن المعمرين الجدد ، بفضل نفوذهم المادي والمعنوي استولوا على مساحات واسعة من هذه الاراضي ٠ ولانهم ركيزة أساسية للحكم ، فلا«تحديد للملكية» مقبول في دوائرهم ٠

اذا فان توزيع بعض الهكتارات ، خصوصا في المناطق التي يتدمر فيها الفلاحون بشكل «خطير» ، مما يشكل فئة من الفلاحين المحظوظين المرتبطين سياسيا بحكم المعمرين الجدد في محاولة تعطيل الصراع الطبقي ولو مؤقتا ٠ ثم ان هذه الفئة المحظوظة تساعد على توسيع علاقات الانتاج الرأسمالية ضمن مراقبة المكاتب الفلاحية ، والقرض الفلاحي ، ومكتب التسويق ، الخاضعة بأجمعها لمراقبة الامبريالية والمعمرين الجدد مالياوتجاريا وتقنيا٠

لكن هنا أيضا، المسألة الزراعية تهم ملايين الفلاحين، ولا حل لها داخل هياكل التبعية والمعمرين الجدد ، الا بالتجنيد النضالي والجماعي للفلاحين ، وبالقضاء على نظام المبادلات الرأسمالي المتورم بالسماسرة والطفيليين٠

٤ ـ الامراض الاجتماعية

تدهور القيم ، انتشار «الفساد» من خصائص النظام الرأسمالي ، وتتخذ شكلا بشيعا في الرأسمالية التبعية٠ لكن المسألة ليست متعلقة بانعدام دروس الاخلاق ، أو نسيان القيم الروحية ، أو ضعف التشريعات الحازمة ، بل مرجعها الى طبيعة الهياكل السائدة ٠٠٠ لان الواقع الاجتماعي للانسان هو الذي يحدد وعيه وسلوكه ٠ عندما انتشر المال ، وصار الدرهم هو القيمة العليا عمليا في المجتمع، وصار المال هو قوة الاستيلاب رقم ٠١ صارت بالتالي مجموع القيم الاخرى مضطرة الى الاصطفاف وراء الضابط المالي ٠ فالرشوة ، والاختلاس، وبيع الاجسام ، والمتاجرة بأخطر البضائع ، والربا ، الخ ٠٠٠ كلها توابع لتوسع الرأسمالية ونظام المبادلات النقدي ، وسحر المال ٠ ولاحل فعلي لهذه الامراض الاجتماعية ، الا اذا احتل العمل مركزه بمثابة القيمة العليا في المجتمع ، فوق المال ، والرأسمال ٠٠٠ وأول خطوة هي توفير العمل ، والقضاء على أسباب الاستيلاب والانحلال ، وبدون ذلك ، لن تنفع الرغبات الطوباوية حتى لو خلت من النفاق ٠

٥ ـ هياكل التعليم :

منذ «الاستقلال» كثرت الجعجعة حول تعميم التعليم ،وتعريبه ، ومغربته وتوحيده ٠٠٠ لكنها جعجعة بلا طحين ٠ والسبب الرئيسي ، ان المعمرين الجدد ،والكمبرادوريين ، لايرغبون في غير اقتناء مجموعة من الاطر ، الملحقة بالمساعدين الثقنيين الاجانب ، في خدمة المصالح الامبريالية والطبقية القائمة ، بيد أن عراقيل مادية ومعنوية تحرم الاغلبية الساحقة من الشباب من الاستفادة من التعليم ، بغض النظر عن مضمونه الرجعي ٠ وأين منافذ التشغيل في ظل جمود الانتاج، ووصول دفعات متصاعدة من «المختصين» الاجانب لاصطياد الاجور الخيالية ، وترسيخ الفكر التبعي الامبريالي ؟ ان تعميم التعليم معناه في نفس الوقت ، العدالة الاجتماعية ، والتحرر من سيطرة الامبريالية والطبقة السائدة العميلة ، على أساس تحرر وتقدم اقتصادي يخدم الاغلبية الساحقة من المواطنين

وبعيدا عن هذه التغييرات الجذرية ، فان الاتجاه العام للتعليم ، حتى ولو فتحت مدارس جديدة ، سيبقى سائرا نحو التدهور ، وانعدام المنافذ ، وتعفن مضمون البرامج ٠

وان الجامعة ، اذا لم تفتح أبوابها لمجموع أبناء الشعب ، واذا لم يضمن لخريجيها منافذ العمل ، واذا لم تتحرر من سيطرة التوجيه الامبريالي والرجعي ، واذا لم تصف فيها المفاهيم البورجوازية على صعيد البرامج والعلاقات بين الاستاذ والطالب ، فان ازمتها لن تحل رغم التلقيحات الجزئية ، التي لاتخلو طبعا من بعض الفائدة٠

أما مسألة التعريب ، والتي توضع في مقدمة قضايانا الوطنية ٠ فمهما كانت التبريرات المفتعلة ، والادعاءات المصطنعة ، من أجل الحفاظ على فرنسة التعليم ، وبالتالي الاقتصاد والادارة ، فان التعريب يعري حتى الجذور الهيكل التبعي للامبريالية ، ومعاداة بيروقراطية الدولة ، لكل ما هو وطني ، وقومي عربي ٠

خلاصة :

في ظل السيطرة التامة ، والفعلية ، للاحتكارات الامبريالية ، والمعمرين الجدد والكمبرادوريين ، توضع مطامح الشعب الديمقراطية والوطنية جوهريا بصيغة نضالية ٠ فالضمانة الوحيدة لانجازها ، بغض النظر عن كل الوعود ، هي ممارسة الكفاح الجماهيري السياسي ، والصراع الطبقي بكل أبعاده ٠ قد تفرض هذه النضالات تنازلات من الطبقة السائدة ، وقد تضطر هذه الطبقة الى تطبيق بعض الترميمات ، لكن التناقض الجوهري بينها وبين الجماهير الكادحة والمحرومة يبقى على حاله ما لم يحسم ٠

والترجمة العملية التي تعطيها الجماهير الشعبية لوعيها بهذا التناقض ، هو التشبث بخطها النضالي الملموس ، وليس انتظار الوعود ، أو انتظار سحابة صيف في جو الطبقة السائدة لتقطير بعض الاصلاحات ٠

ان المناضل الوطني ، والتقدمي المخلص ، وان الجماهير الكادحة لاينبغي أن تلدغ من الجحر عدة مرات ٠ ولذا فهي كلما انتهت من معركة ، وكلما فرضت مكسبا ، الا وتعمل على تهييء المعركة القادمة لفرض المزيد من المكاسب عن طريق التحرر الشامل ، والحسم النهائي لصراعها التاريخي مع الاحتكارات الامبريالية والمعمرين الجدد ، والكمبرادوريين ٠

انفاس





عـمال مناجم خريبكة في طليعة نضال الطبقة العاملة



معركة عمال مناجم خريبكة

١ ـ مدخل تاريخي

شن عمال مناجم خريبكة ، وعددهم ستة آلاف عامل ، أطول اضراب شهده تاريخ الطبقة العاملة المغربية ، وذلك منذ يوم ٢٠ سبتمبر لغاية ٥ دجنبر ١٩٧١ . وتعتبر تلك المعركة من أطول وأشق معارك الخريف الحافل بالنضالات العمالية ، وهي بالتأكيد في مستوى التقاليد البطولية لعمال المناجم المغاربة ، ولعمال مناجم خريبكة على وجه الخصوص . والسؤال الذي يمكن طرحه هو : ـ لماذا نجد عمال المناجم في المغرب ، وفي مجموع العالم الرازخ تحت ضغط الاستغلال الرأسمالي البشع ، يمثلون دوما طليعة النضال العمالي ؟

ان الجواب لايكمن في كونهم معرضون لاخطار فقط ، ولو أن هذا العنصر يدخل في التحليل ، ولكن ، فلان عمال المناجم يواجهون يوميا وباستمرار كل أشكال المحن وأبشع أنواع الاستغلال الانساني . وهم مع ذلك لايهتمون بأولائك «السادة الصغار» الذين يرفلون في (بدلاتهم الانيقة حسب أحدث نماذج الموضة بباريس ، كما لم يهتموا في الماضي القريب بالجيوش الاستعمارية .

ان مهنة عمال المناجم من المهن التي يفشل فيها النظام الرأسمالي ، حينما يحول البروليتاريا الى آلة بدون

تفكير ، وذلك لان الواقع المر والقاسي الذي تعيشه العمال على بعد خمسمائة متر في كهوف المناجم تحت الارض ، تتجاوز كل تقدير واحتمال «السادة المهندسين» والخبراء الاجانب والرأسماليين القابعين في انديتهم الخاصة ، ومكاتبهم الفخمة .

وهذا هو ما يفسر صعود البروليتاريا المغربية ، الذي بدأ بصعود عمال المناجم ، وبالخصوص عمال المنجمين الكبيرين : عمال فوسفاط خريبكة ، وعمال فحم جرادة .

ففي مارس وابريل من سنة ١٩٤٨ ، وقبل ذلك بحوالي سنة ، تعرضت الحركة الوطنية لحركة قمع على يد الجنرال جوان ، ومنذ ١٩٤٥ كانت الطبقة العاملة ، قد نظمت نفسها في نقابات ، ومن البديهي أن التأثير الاستعماري على اطارات تلك النقابات ، يهدف الى تضليل الطبقة العاملة ،وابعادها عن مطامح مجموع الامة . ولكن الطبقة العاملة سرعان ما أطاحت بمحاولات أولائك المضللين والمشعوذين . ومن ثم فان الاضرابات التي شملت عشرات آلاف العمال ، خلال شهري مارس وأبريل ١٩٤٨ ، ضد أرباب العمل الاستعماريين ، في البيضاء ، واسفي ، كما في خريبكة وجرادة تلك الاضرابات التي كانت موجهة مباشرة ضد الجهاز الاستعماري .

منذ ذلك الوقت ، تحول مركز الثقل في النضال الوطني ضد الاستعمار الى «الكاريان سانترال» في البيضاء ، والى الاحياء العمالية في خريبكة وجرادة · وخلال اضرابات مارس ، ابريل ١٩٤٨ ، تعرض عمال خريبكة وجرادة ، لاشد صدام عنيف مع جيوش القمع الاستعماري ، فقدقام الجنرال (جوان) في مدينة خريبكة، بتطويق الاحياء العمالية بالجيوش ، وأمر بقطع الماء والمواد الغذائية عليها ، وانطلقت الطائرات الحربية الفرنسية تقصف وتدمر «براكات» العمال ، ورغم كل الاساليب الهمجية والوحشية ، صمد العمال مدة تزيد على ثلاثة أسابيع ·

واذا كان القمع قد نجح موقتا في تشتيت التنظيمات النقابية لعمال المناجم ابتداء من يونيو ١٩٤٨ ، فان ارادة العمال النضالية لم تتزعزع ، ومع ذلك فقد ساهم هؤلاء العمال ، بصورة مضطردة في النضال الوطني القاسي خلال سنوات ١٩٤٨ ـ ١٩٥٥ ، كما ساهموا ، وبقوة جبارة في تسديد الضربة القاضية للجهاز الاستعماري يوم ٢٠ غشت ١٩٥٥ ، ففي ذلك اليوم هبت جماهير عمال الفوسفاط بخريبكة ، وعمال منجم الحديد بآيت عمار قرب وادي زم ، واتلفت تجهيزات النهب الاستعماري ، وكبدتها خسائر تقدر بعدد من الملايير ، كما دمرت في وادي زم جهاز القمع الاستعماري ·

أما الجنرال (دوفال) قائد الجيوش الفرنسية في المغرب ، والذي سارع الى المنطقة على متن الطائرة ، فقد لقي حتفه على يد المقاومين في حينه · وسارع الاستعمار لانقاد ما يمكن انقاده ، ففتح مفاوضات (ايكس ليبان) مع الساسة البورجوازيين ، وقد تم تهييء هذا التراجع التأكتيكي بواسطة جمعيات من نوع «جمعية الصداقة المغربية» ، التي أسسها أحد العملاء البارزين «لبنك باريس والاراضي المنخفضة» ، والتي يتواجد بها رجل الابناك (لوران كرون) ، وشخص آخر مشبوه يدعى (جاك ريتزر) · ورجال أعمال مغاربة شباب ، منهم من يحتل حاليا مناصب حكومية سامية ، وليس من قبيل الصدفة أن يوجد بعض من هؤلاء الاشخاص في واجهة أو كواليس الحكم ، وليتيقن هؤلاء أن الطبقة العاملة المغربية سوف تكون دوما في مواجهتهم ، كما حدث سنة ١٩٥٥ ، فاذا كانت الاحقاد الطبقية تتصاعد ، لتتبلور أكثر ، فلان لذلك ما يدعمه من أسس موضوعية ·

لقد استطاع عمال المناجم المغربية ، فرض بعض المكتسبات الاجتماعية في جو الغموض الذي عرفته السنوات الاولى من الاستعمار الجديد ، بعد الاستقلال ، وتحولت تلك المكتسبات ذاتها الى أسلحة جديدة لنضال العمال · وفي قمة تلك المكاسب ، قانون عمال المناجم ، الذي تحقق بفضل اضرابات العمال في دسمبر ١٩٦٠ ، وقد عرف ذلك القانون أوسع تطبيق له في المكتب الشريف للفوسفاط، ولكن هذا القانون بنفسه يحمل ضمن بنوده ما ينفي أو يعاكس محتواه ، ومن تلك البنود ما يتعلق بوضعية عمال داخل المناجم : les Abatteurs كعمال مختصين من الدرجة الثانية ، بينما وضعيتهم تقتضي ادماجهم في الدرجة الثالثة ، وكانت هذه النقطة من المطالب الاساسية التي رفعها العمال في اضرابهم الاخير لسنة ١٩٧١ ·

وان قوة وتماسك مجموع مستخدمي المكتب الشريف للفوسفاط ، قد تجلت بوضوح في الاضراب العام ، الذي استمر عشرة ايام ، في مجموع المراكز المنجمية في خريبكة ، واليوسفية وموانيء التصدير بالدار البيضاء وآسفي · وبفضل هذه القوة ، وهذا التماسك استطاع العمال انتزاع مكاسب هامة ، ففي ظرف عشر سنوات ، تمت الزيادة العامة في الاجور سنة ١٩٦١ ، كما أعيد تصنيف أجور العمال حسب اختصاصاتهم بمقتضى قانون عمال المناجم ، فارتفع حجم الاجور الموزعة على عمال ومستخدمي المكتب الشريف للفوسفاط بـ ٤٥٪ · ونتيجة لذلك ارتفع معدل الاجر الذي يتقاضاه «عمال الحفر داخل المناجم» Abatteurs
ـ الى ٢٠ درهما في اليوم ، لكن المدير العام للمكتب يرى أن هذا الاجر جد باهض ، بينما لايعدو أن يسمح

للعامل بأجرة تعادل قيمة العشرة اطنان من الفوسفاط التي يستخرجها في اليوم الواحد ٠

وبفضل النضالات البطولية ،وما يتلوها من اتفاقيات توصل العمال الى فرض احترام عملهم ، وفرض تراجع القمع ، وتخفيف الاستفزاز اليومي ٠

غير أن الادارة العامة لمكتب الفوسفاط ، ومن ورائها الحكم ، كانا دوما واعيين بضرورة تصفية قاعدة الصمود العمالي ، وقد تمكنا بالمناورات من التقسيم ، ومن عزل المسؤولين النقابيين الرئيسيين عن جماهير العمال ، واستطاعت تلك المناورات ، في اطار الاتجاه الانتهازي لقيادة الاتحاد المغربي للشغل ، ارضاء المصالح لبيروقراطيي نقابة الفوسفاط ، بل وأدت المناورات الى التلاشي العملي لفيديرالية عمال المناجم التي امتطى بعض مسيريها صهوة الحكم ٠

وابتداء من سنة ١٩٦٧ ، بعد تولية كريم العمراني منصب المدير العام لمكتب الفوسفاط ، ظن كل من الحكم ، والرأسماليين الاحتكاريين الاجانب ، أن الوقت قد حان لتكسير وضرب صلابة وقوة الطبقة العاملة في مناجم الفوسفاط ، وهكذا ظهرت سلسلة من الاستفزازات اليومية من جديد ، وتصاعد القمع ضد العمال ، وصارت مكافئات الانتاج تحذف ، وأيام العمل تعد غيابا ، لاتفه الاسباب ٠ وقد أدت هذه الظروف الى اضراب نوفمبر ــ دسمبر ١٩٦٨ ، وهذه المرة أيضا ظنت الادارة العامة لمكتب الفوسفاط ان عمال مناجم خريبكة لن يصمدوا أكثر من أسبوعين أو ثلاثة على الاكثر ، لكن صمود العمال تجاوز الخمسين يوما ، وباعوا من أجل الصمود الغالي والنفيس ، وأمتعتهم القليلة ، من دراجات نارية ، وملابس ، وآلات خياطة ٠٠٠ الخ» ٠

وفي اليوم الخمسين للاضراب ظن الحكم أنه يستطيع تكسير الاضراب بالقوة ، وباستدعاء وحبس العمال الذين يرفضون الرضوخ لاوامره ، لكن المظاهرات الصاخبة ، التي اندلعت أمام مقر الدرك ، أبانت للحكم مدى قوة وصمود العمال ، فأرغمته على اطلاق سراح العمال المحتجزين في السجن ، وأرغمته على التراجع ٠ واضطرت الادارة العامة لمكتب الفوسفاط منح تعويضات للعمال تبلغ ٦٠٠ درهم لكل عامل ٠

سنوات مرت ، والطبقة العاملة ترزخ تحت سطوة الكبت البيروقراطي النقابي ، فظن الحكم أنه طايق اليد، ولكن معركة عمال خريبكة في خريف سنة ١٩٦٨ ، كانت اللبنة الاولى لتصاعد النضالات العمالية التي شهد خريف ١٩٧١ انفجارها ٠ ثم جاء الدور النضالي لعمال جرادة،وأحولي مبيلادن، وجبل عوام، الذين شنوا اضرابات بطولية سنتي ٦٨ ــ ١٩٦٩

وفي سنتي ٧٠ ــ ١٩٧١ ، أكدت النضالات الهامة لعمال النسيج في الرباط وتمارة ، وعمال مناجم قطارة، وعمال باطا ، وشركة سافام ، هذه النضالات أكدت بجلاء نضج كفاحية الطبقة العاملة المغربية ٠

ويسجل خريف سنة ١٩٧١ تحرك الطبقة العاملة في مسلسل نضالي لم يسبق له مثيل منذ الاستقلال ، وكان في مقدمة هذا النضال اضراب عمال مناجم خريبكة وصمودهم الذي سيبقى تاريخ ٢٠ سبتمبر يخلد ذكراه ٠

٢ ـ الوضعية الاقتصادية والاجتماعية للعمال ٠ الاضراب الاخير

ان الدعاية الرجعية تسعى بكل وسائلها الى تقسيم الطبقة العاملة المغربية ٠ وفي هذا الاطار يدخل مخططها الرامي الى خلق التفرقة بين عمال الفوسفاط ومجموع الطبقة العاملة ٠ تروج هذه الدعاية أن عمال الفوسفاط محظوظون بالنسبة لعمال القطاعات الصناعية الاخرى ٠

والهدف الاساسي من ذلك هو عزل نضالات عمال خريبكة على الخصوص ٠ وغير خاف على أحد مدى أهمية هذه الضالات سواء من حيث العنف أو طول النفس ٠ وكذلك مدى تاثيرها على الطبقة العاملة ٠ وتزيد هذه الاهمية اذا ربطناها بأهمية مناجم الفوسفاط القصوى بالنسبة لاقتصاد البلاد

يكفينا أن نلقي نظرة ولو عامة على مدينة خريبكة وعلى وضعية العمال الاجتماعية هناك لنبين فداحة الدعاية الرجعية ونفهم نضالات عمال المدينة المتوالية والطويلة ٠

(١) مدينة خريبكة

نشأت هذه المدينة على هضبة قاحلة مع بداية استغلال مناجم الفوسفاط ٠ وتطورت بتطور الانتاج الى أن أصبح هذا المعدن محركها الاساسي ٠ ويتجلى وبكل سهولة أن عرق القوى المنتجة (بكسر الياء) أي العمال يكون الوقود الضروري لتحريك كل ما بالمدينة ٠ هذه الوضعية جعلت اقتصاد خريبكة يرتبط ارتباطا وثيقا بالعمال ، مما يوضح ضغوط المصالح الاحتكارية عليهم كلما قاموا باضراب ٠٠٠

(٢) الوضعية المادية والاجتماعية للعمال

ا ـ) طبيعة العمل

يكتسي العمل في باطن الارض في المناجم بخريبكة صبغة خاصة ٠ فكون وسائل الانتاج متأخرة ، يعرض العامل لكثير من الاخطار كثيرا ما تكون قاتلة ، مثل ذلك سقوط قطع من السقف أو هبوط السقف كله ٠ ويتطلب العمل في هذه الظروف مجهودا جسميا جبارا ، هذا لا يعني ان انسانا بمجرد دخوله المنجم ، مع كفاءة جسمية يمكنه القيام بعمل عامل الفوسفاط ٠ ان عملا كهذا يتطلب تجربة طويلة ٠ ويمكن اعتبار عمال مناجم الفوسفاط متخصصين ٠ ذلك أن فرقة مكونة من أربعة أفراد تتكلف بابداع وسائل نقل المعدن ، بوضع الخشب في الاماكن التي تتطلب الخشب ، واخراج المعدن الذي تنتجه بسواعدها ٠

ان الرجعية المغربية اعتبارا لتكاثر اليد العاملة وللاجور المنخفضة ، واعتبارا كذلك لتبعيتها للرأسمال الاجنبي والامبريالية العالمية قد خلقت كل العراقل أمام ادخال «المكننة» في الانتاج ٠ فالمكننة قد تسهل على العامل سيطرته على الطبيعة التي يواجهها وعلى الادوات التي يستعملها ٠

ان انتاج العامل المتوسط ، في ظرف ٨ ساعات في العمل ، بالوسائل المشار اليها سابقا ، يتجاوز ١٨ طن من الفوسفاط ٠ وأن هذا القدر ، ان نحن اعتبرنا كيفية

استخراجه يتطلب قوة عضلية هائلة ، الشرط الذي يفرض وضعية مادية حسنة نسبيا ٠

ذ ـ) الاجــــور

تختــاف أجــور العمال حسب عدد الاطنان التــي ينتجونها ، حسب أقدميتهم حسب «نــوعية» علاقتهــم بالمهندسين ، حسب عدد ساعات العمل وحسب الدرجات ٠

٠ عــدد الاطنـــان

لكــي يتمكــن الرأسمال من استغــلال أكبر ما يمكن أن تعطيــه طاقات العمال ولخلــق مصالــح متفاوتـــة الاهمية حسب المستويات والدرجات ، فانه يعطي مكافأة لكل طن مستخرج ٠ وتتصاعد المكافآت بالصعود فــي السلم وفي الوضعية الادارية ٠

فلرئيس فرقة ما مكافأة على الاطنان الــتي انتجتهــا الفرقة ٠ وللمهندس مكافأة علــى كل الاطنــان التـــي أخرجتها كل الفرق الخاضعة لمسؤوليته ٠ ان الطبقـــة العاملة التي هي الاساس في كل هذا الانتاج محرومـــة من حق الامتيازات والمكافآت التي ينالها من ليســت لهم علاقة مباشرة بالعمل اليدوي ٠

٠ العلاقة مع المهندسين والتقنيين

ان علاقــات العمال بالمهندسين ، في مجــرى الانتاج ، غالبا ما تكون علاقـــة ضغوط وتسعــى ادارة مكتـــب الفوسفاط لعزل كوادرها ما أمكن على العمال والتقنيين ؛ فلا يسمح لهذه الكوادر أن تربط علاقة خاصة بالعمال في المحلات العمومية التــي يتواجدون فيهــا ٠ لقــد خصصت لها أندية محروسبة ومجهزة بكل أنواع اللهو والتخديــر الفكري ٠ وجاءت وصولية وأنانية هذه الكوادر لتزكي أهداف الادارة ٠ وكنتيجة لهذه العوامل ، أصبح العامل في أعين المهندس انسانا لايصلح الا لتطبيق أوامـــره السامية المنسقة بواسطة رؤساء الفرق ٠ كيف يمكنـه أن يتصور أن العامل قادر على التفكير في وسائل الانتاج وابتكار الحلول لها باعتباره يواجهها ويلابسها يوميا ٠

أما اعتبار لزومية مشاركته في هذه الحلول فيصبـح مجرد خيال بينـما المهندسون أنفسهـم ، لايسعهـم الا الخضوع للمخططات الرجعية والامبريالية التيتعدم روح الابتكــار والخلــق ٠

من خلال هذه العلاقات يمكن فهم تعسف المهندسيـن (الطرد والتوقيف المؤقت) تجاه العمال كلما أراد هؤلاء أن يعبروا عن آرائهم ٠ ومن خلال نفس العقلية ، نفهـم السرقة التي يتعرض لها العمال من طرف المهندسين بصفة عامة ، وخاصة بالنسبة لعدد الاطنان المستخرجة ٠

الا أن علاقة العمال برؤساء الفرق ، وان كانت قوية ، لاتتسم بنفس الشراسة لان هؤلاء يساهمون جماعيا فــي حل مشاكلهم مما يخلق بينهم احتراما وتعاونا نسبيا ٠

والجدير بالذكر ، أن المهندسين يستعملون وشــاة لهم من بين فئة متذبذبة من العمال ، لتسهل عليهم مراقبة العاملين عمالا كانوا أم رؤساء فرق ٠ وهذه ظاهـــرة خاصة يتسم بها مكتب الفوسفاط ، اذ يتعدى عمل أجهزة الوشاة تلك مستوى المنجم ليعم القرى المخيمة والحيــاة العامــة للعمـــال ٠ وان هــذا ليشــرح كــذلك سبـــب الاجور المرتفعة لعدد من العمال ٠

وحتى نتعرف على ضعف أجور العمال نقدم ثلاثة أمثلة مفصلة :

العامل رقم	تاريخ الشروع في العمل	تاريخ الحصول على الاجرة	عدد الابناء المناسب لهذا التاريخ	عدد الاشخاص المكلف بهم	الدرجة	عدد ساعات العمل في اليوم	عدد أيام العمل
١	٧ـ١٩٥٩	١ـ١٠ـ٧٠	٤	٨	٢	٨	١٢
٢	١ـ١٩٦٧	١ـ١ـ٧١	٢	٦	٢	٨ر٥	١٢
٣	٦ـ١٩٦٩	١ـ١٠ـ٧١	٠	٥	٢	٨ر٥	١٢

العامل رقم	السلم	الاجرة المناسبة لساعات العمل	تعويض السكنى	الخصم من الاجرة	التعويض العائلي	تعويض النقل	ما يحصل عليه العامل كل ١٥ يوما
١	١٢	٢١١ر٦٢ د	٠ر٨٠ د	٠ر٨٠ د	٤٨ د	١١ر٤١ د	١٥ر٨٩ د
٣	٤	٢١٥ر٦١ د	٦ د	٨٨ر٣٩ د	١٢ د	٦ر٦٩ د	١٦٧ر٣٦ د
٢	٣	١٤١ر٨٠ د	٩ د	٩ د		١١ر٤٧ د	١٥٦ر٣١ د

نرى من خلال هذه الارقام أن العامل بعد ١١ سنة من العمل يحصل على الدرجة الثالثة المناسبة للعامل المتخصص الشيء الذي يتناقض مع القانون الحالي الذي يضمن هذه الدرجة بعد ١٠ سنوات في العمل ·

ـ ان العامل الذي لايسكن منزلا من القرى المنجمية له تعويض بمبلغ ٩ دراهم كل ١٥ يوما · (وسنتطرق لمشكل السكنى فيما بعد) ·

ـ ان التعويض الخاص بالنقل لايكفي ولو لاداء ثمن الوقود المستعمل لدراجات النارية ·

لكي نتمكن من اعطاء هذه الاجور معناها الحقيقي سنتطرق لميزانية عامل مكلف بأسرة تتركب من ٥ اشخاص · سنكتفي بالميزانية الغذائية المناسبة لـ ١٥ يوما :

نوع الاغذية	الاثمان
الخضر	٢٠ر٢٢
اللحم	٠٠ر٤٢
الزيت ـ السمن ـ الحليب	٩٠ر١٩
الدقيق	٠٠ر٣٠
السكر والشاي	٧٠ر٢٤
«الفسيل»	٦٠ر٤
تكاليف الطبخ	٠٠ر٨
السجائر	٢٥ر٢٠
المجموع	٦٥ر١٥١ درهم

ان العامل الثاني في اللوحة والذي يتقاضى ٣٦ر١٦٧ درهم كل ١٥ يوما يدفع ما يقارب ٩٠٪ من أجرته في المواد الغذائية · معناه أن اللباس والكهرباء والتنقل وما تقتضيه دراسة الابناء وغيرها من الحاجيات يخصص لها ١٦ درهم كل ١٥ يوما · ان هذه الوضعية تؤدي حتما الى تراكم الديون على العامل وغالبا ما يدفع أجرته كاملة الى المحتكرين وأصحاب السلع عند تقاضيه لها ·

ان عدد هؤلاء عند صندوق الاداء ليتجاوز عدد العمال

هذا اذن هو واقع «المحظوظين» بالنسبة لمجموع الطبقة العاملة !

جـ ـ) التقاعد ـ الارامل

· أن العامل لايطلب التقاعد أو يحال عليه الا اذا انطفأت قوته الجسمية · وان احالة عامل ما على التقاعد تعني في أغلب الحالات دفع أسرته الى التشرد ، والمبلغ الذي يتقاضاه المتقاعد كافي لتوضيح هذه النتيجة : عامل تقاضي مبلغ ٥٠ر٣٦٩ درهم للثلاثة أشهر الاخيرة من سنة ١٩٧٠ له ٤ ابناء اثنان منهم يدرسان ، ولقد تتعدد الارامل مع تعدد حوادث الشغل والتنقل ، هذه الحوادث التي تكون في اغلب الاحيان خطيرة ان لم نقل قاتلة ·

(٣) الحوادث

ا ـ) حوادث الشغل

ان الاحصائيات الرسمية المختصة بحوادث الشغل وان كانت لاتعطي كل الحقيقة تبين أن هذه الحوادث تكون السبب في مقتل عامل كل سنة على الاقل · السبب الاساسي في هذه الحوادث هو طبيعة وسائل الانتاج التي تطرقنا لها من قبل ، غالبا ما يذهب العمال الساهرون على اخراج الخشب من «الحشة» ضحيتها · الا أن المسيرين يعتبرون هذه الحوادث طبيعية · وقد يقتنع بعض العمال بهذا · ونلاحظ من جهة أخرى ضعف تنظيم · وله علاقة بالحوادث · ان المثال الحي التالي يفرض هذه العلاقة · فريق يبدأ العمل في الورش ، بعد

ساعة منهكة من الاعداد الاولـي ، يتبين أن المحـرك الكهربائي المستعمل في نقل المعدن محروق · يبقى على الفرقة التوجه الى ورش آخر ، ويعتبر حينئذ عمل الفرقة ضائعا · يسرع الفريق الى المحل الثاني للبداية من الصفر في حالة غضب · مما يجعله يفقد الانتباه · (يطأ العامل حجرة فيرتمي على قطعة من حديد ، فينتج عن هذا جرح خطير) ·

ب ـ) حوادث التنقل

ان بعد المناجم عن القرى المعدنية ورفض الادارة استعمال وسائل التنقل الجماعية للعمال فرضت على هؤلاء استعمال الدراجات النارية للتردد على المناجم · الا أن هذه الدراجات تتسبب في جرح وقتل عدد من العمال · ذلك أن العامل وخاصة في الليل يغادر عمله وهو في حالة توتر عصبي وعياء كبير ، الشيء الذي يكثر الحوادث · وغالبا ما يبقى المصاب ملقى على حافة الطريق حتى الصباح ·

ـ ومن الملاحظ أن مصلحة الصحة جد متهاونة في عملها كما هو الحال في مجموع البلاد · وان تصرف موظفيها مع العمال غالبا ما يثير غضب وسخط الحاضرين · أما الادوية اللازم اعطاؤها مجانا للعمال فتتعرض بدورها الى مقاييس الرشوة · ان هذا الاضطهاد الدائم واليومي جعل العمال يلجأون الى ما لديهم من نقود قصد العلاج ·

ـ أما «التأمين الاجتماعي» ، فان كان له وجود فلمجرد المغالطة · والامثلة المتعددة والمختلفة تبين أن العمال المصابين في حوادث الشغل يقضون مدة العلاج دون أي تعويض · فالساهرون على ما يسمى بـ «التأمين الاجتماعي» يبذلون كل مجهوداتهم لتحميل العامل مسؤولية الحادثة ، ويقومون بالمستحيل لحرمانه من حقوقه الشرعية · واذا قبلوا البراهين لكثرة وضوحها ، فان القدر المالي الخاص لمدة العلاج والشفاء لايدفع لصاحبه الا بعد زمن طويل · ونرى أن في كلتا الحالتين ، يفرض على العامل استئناف العمل قبل انتهاء مدة الشفاء حتى لايبقى هو وأبناؤه عرضة للجوع ·

(٤) السكان والسكنى

لاتخفى على أحد الصعوبات الكثيرة التي يخلفها مشكل السكنى للطبقات المحرومة والمستغلة (بفتح الغين) ولا يخفى كذلك على أحد تعقد هذا المشكل بالمدن العمالية ومدينة خريبكة كمدينة عمالية تعتبر نموذجية · لن نتطرق بالطبع للكوادر والموظفين الحكوميين وقصورهم الفخمة ذات الحدائق الكبيرة ، ولا للتقنيين الذين يتمتعون بمنازل جيدة ولا للمحتكرين كيفما كان نوعهم ، وانما تهتم خاصة بجماهير البروليتاريا ، بجماهير التلاميذ بالعاطلين والجماهير المبلترة · ان احتكاك هذه الجماهير والعلاقات التي تربطها مع بعضها من جهة ومع جماهير الفلاحين من جهة أخرى لجد مهم على المستوى الاستراتيجي (علاقة العمال بالفلاحين) ·

أ ـ) جماهير البروليتاريا ·

يبلغ عدد عمال المناجم بخريبكة تقريبا ١٢ ٠٠٠ عامل ، ١٣٠٠ منهم يعملون في باطن الارض والباقي على سطح الارض · منهم من يسكن القرى المنجمية ، ويوزعون على خمسة قرى في أماكن مختلفة : قرية التجفيف بالمدينة ، قرية بوجنيبة (تبعد بـ ١٢ كلم عن خريبكة) قرية أبو الانوار ، قرية حطان وقرية وادي زم (بوادي زم) ، ومنهم من لايسكن هذه القرى فينزل بالمدينة أو بالقرى المجاورة · ومن القرى المنجمية المذكورة من يرجع تاريخ بنائها الى ١٩٣٨ ومنها التي بقيت بعد ١٩٦٠ ، فغالبا ما تكون هذه القرى القديمة مسكونة

من طرف عمال باطن الارض الذين يعانون من الاستغلال والقرى القديمة هذه معروفة بحالتها المزرية لا من حيث البناء ولا من وسائل التنظيف ·

السؤال الذي يطرح نفسه هو التالي : من يستفيد من المنازل المنجمية ؟

تلعب الرشوة دورا كبيرا فيهذا الاطار · هناك مذكرة صادرة عن الادارة العامة لـ (م·ش·ف) موضوعها ملكية السكنى ، تحمل هذه المذكرة رقم ٧٢٤ ويمكن بمقتضاها لعامل مزاول لنشاطه ، مرسم رب عائلة أن يستفيد من ملكية السكنى · الا أننا نجد عمالا كثيرين يستجيبون لهذه الشروط يرسلون طلباتهم المتوالية فتهمل ، وآخرين يحصلون على مطالبهم بمجرد دفع قدر معين من المال · فغير خاف اليوم على أحد ما يرتكبه الساهرون على الشؤون الاجتماعية من سرقة واستغلال · أما الشروط التي يتطلبها الحصول على ملكية السكنى فهي كالتالي دفع ٩٠٪ من قيمة البناء مقدرة وقت انشاء العقد ، ١٠ منها وقت انشائه و ٨٠ مقسمة على زمن لايتجاوز ١٠ سنوات وهذه المدة لايمكنها كذلك أن تتجاوز ما تبقى للعامل من زمن قبل احالته على التقاعد · الغرض من هذه المذكرة اذن هو بناء منازل للعمال ليتم استغلالهم بصفة منظمة في انتاج الفوسفاط وفي نفس الوقت ارجاع ما قدم لهم من مال مقابل سواعدهم · وكاستنتاج ، تلعب ادارة المكتب ش·ف دور سمسار لصالح عقارية معينة ·

الهدف الاساسي الثاني هو حرمان من اقترب وقت تقاعدهم من امتلاك منازل المكتب ش·ف لانهم غير صالحين للاستغلال في المناجم وغير قادرين على أداء ثمن المنازل ·

فانطلاقا من العراقل السالفة الذكر ومرورا بأجرة العامل وميزانيته يتبين أن العامل الذي لم يتمكن من شراء منزل من منازل م·ش·ف أثناء عمله يذهب وأبناءه عرضة للضياع والتشرد بمجرد احالته على التقاعد ·

أما فيما يخص القدر الذي تدفعه ادارة الفوسفاط كتعويض المسكنى ، والذي يحصل عليه العمال الذين لايسكنون الدور المنجمية فانه يبلغ ١٨ درهما في الشهر · الا أن هذا المبلغ لايمثل ثمن كراء بيت صغير اعتبارا لغلاء الكراء · ويتضح ذلك بالمثال الملموس التالي : ان قطعة مساحتها ٢٫٥ مترا مربعا جدرانها من قطع الاسمنت وعلوها متر واحد سقفها من قصدير يبلغ ثمن كرائها الشهري ١٥ درهما ·

يبقى اذن ما يسمى بتعويض السكنى مجرد مغالطة ومراوغة للعمال وللرأي العام في الوقت الذي تستلزم وضعية خريبكة بناء منازل لجموع العمال واعطائهم كل الامكانيات لامتلاكها ·

ب ـ الجماهير المبلترة والعاطلة

ان سياسة التوسع لشبه الاقطاع وسياسة التفقير في البادية وسياسة التعليم الطبقية جعلت جماهير الفلاحين الفقراء والعمال الفلاحين والشبان تغادر البادية بحثا عن العمل ، وزادت طبيعة خريبكة وفقر أراضيها في تمركز هذه الجماهير بالمدينة مما أعطى المدينة صورة بيوت محاصرة بدروب من القصدير وتقوت هذه الظاهرة بقلة دور الكراء وشدة غلاء الموجود منها ·

ـ وان سياسة التعليم النخبوية المبنية على التسقيط دفعت بأفواج متعددة من التلاميذ الى مغادرة دراستهم ودخول صفوف العاطلين ·

ـ لقد عانت هذه الجماهير وتعاني أبشع مستويات البؤس والتشريد والضياع مما جعلها تتعاطى كل أنواع البغاء والسرقة والتخدير الشيء الذي زاد الحالة

استياء · وان انعدام أي تأطير وانعدام وعي سياسي جعل هذه الجماهير المحرومة في موقف اللامبالاة من نضالات الجماهير العمالية رغم الاحتكاك الموجود بين هذه القوى ·

ج –) جماهير التلاميذ

ان وضعية التلاميذ بخريبكة ناتجة عن عاملين أساسيين : سياسة التعليم الحالية الشبه اقطاعية واللاشعبية ، ووضعية الآباء الاجتماعية والمادية ·

سنكتفي بتسليط الاضواء على هذه الوضعية ·

يشكل تمركز مؤسسات التعليم باستثناء الابتدائي بالمدينة ، عائقا في وجه التلاميذ القادمين من القرى المنجمية والقرى (القروية) مما يجعل من الضروري بالنسبة لهؤلاء ، ان هم أرادوا متابعة دراستهم ، أن يستعملوا وسائل النقل العمومية القليلة أو يسكنوا بالمدينة ويتضاءل عدد المستعملين لوسائل النقل كل سنة نظرا للمشكل المادي الذي تطرحه هذه الوسائل ، نظرا للحوادث المتعددة ، ونظرا لاستحالة متابعة الدراسة بصفة منظمة في حالة كهذه ·

أما التلاميذ القاطنون بالمدينة ، فوضعيتهم من حيث السكنى واللباس والطعام وحتى قضاء أوقات الفراغ ، لاتختلف عن وضعية الجماهير المبلترة والعاطلة ·

هذه الوضعية تطرح سياسة المنح التي يحظى بها أبناء المحظوظين المحليين ، أبناء موظفي الحكومة والمكتب ش·ف· وبعض العمال القليلي العدد · وتعطى المنح لهؤلاء العمال قصد تغطية الخط العام لهذه السياسة ·

وعلى مستوى التعليم والتأطير والبنية التحتية فحدث ولا حرج ·فالبرامج المدرسية جلها تنطلق من مفاهيم استعمارية وتقدم من طرف مستعمرين (مساعدين تقنيين) أو عملائهم المغاربة المغروسة فيهم شوكة التبعية ·

لقد عبر تلاميذ خريبكة عن وضعيتهم في اضرابات متتالية عنيفة وعفوية · ان عنف هذه الاضرابات تعبير صادق عن سخط طبقي مفهومه تحطيم الهياكل القائمة · الا أن هذه الحركات تبقى عفوية لانعدام أي اطار تنظيمي نقابي · وكنتيجة لانعدام هذا الاطار ذهب التلاميذ ضحية يأس قاتل · ويزيد في تعميم هذا اليأس عاملان مهمان وهما :

(١) رغبة الآباء النبيلة المتشبثة بتعليم أبنائها ، دافعة بكل ما تملك من أجل هذه الرغبة ·

(٢) استحالة ارضاء هذه الرغبة بالنسبة للتلاميذ نظرا لوضعيتهم المتفاقمة ونتيجتها الحتمية السقوط والطرد الجماعيين ·

من الملاحظ أن الفتيات يواجهن نفس الوضعية مما يدفعهن غالبا الى الفساد قصد توفير قدر مالي يسهل عليهن دراستهن· وهذه الظاهرة تعم جميع المدن العمالية بدون استثناء (آسفي ···)

الاضراب الحالي

جاءت نضالات عمال خريبكة الاخيرة كنتيجة للعوامل الآتية :

· نضالات عمال المناجم المتوالية (قطاره ، مبيلان ، وأحولي) ، خاصة بعد تجربة عمال قطاره الناجحة ·

· وضعية العمال المزرية مع ارتفاع مستوى المعيشة وركود الاجور التي لم تساير الزيادة في الانتاج ·

· عدم اهتمام الادارة بمطالبهم زيادة على المساومات التي تقوم بها البيروقراطية النقابية على حساب العمال·

• تراجع الادارة التي اصبحت تدوس حقوق العمال المشروعة بما فيهـا :

– الحق النقابي والمداومين النقابيين Détachements

– الترقية الى الدرجة الثالثـة •

– ١٥٪ للمكافأة السنويـة •

والجدير بالذكر أن العمال (العطاش Tacheron) يحصلون على الدرجة الثالثة بعد ١٠ سنوات من العمل الا أن الادارة تلجأ الى عدة وسائل لابقائهم على الدرجة الثانية • والامثلة متعددة منها احالة العامل بعد ٨ أو ٩ سنوات من العمل على عمل من نوع آخر (ميكانيك – كهرباء) ليبدأ من الصفر بالدرجة الثانية • وتبـدو الادارة وكأنها كافئته على ما قام به من خدمات الا أن أجرة العامل بعد احالته على العمل الجديد تختلـف تماما مع الاجرة المطابقة للدرجة الثالثـة •

ولقد رفع عمال مناجم خريبكة مطالب أهمها ما يلي :

١ – احترام الادارة لحقوق العمال المشروعة •

٢ – الزيادة في الاجور بنسبة ١٥٪ على غرار القطاع العمومـي •

٣ – منح الدرجة الثالثة للعمال باعتبارهم عمـالا متخصصيـن •

٤ – انشاء الاعمال الاجتماعية الكفيلة بحل مشكـل نقل العمـال •

٥ – حل مشكل نقل أبناء العمال الى محلات الدراسة

ان عمال مناجم الفوسفاط يعتبرون عمالا متخصصين يمارسون عملهم في غير حاجة الى المهندسين أو رؤساء الاوراش • وتؤكد تجربة النضالات الاخيرة صحة مـا نقول وسنتطرق لذلك في موقف الادارة •

موقـف الادارة

أمام صلابة موقف العمال ، وأمام عزمهم على متابعة النضال حتى الحصول على مطالبهم ، وكالعادة كان رد السلطات والادارة هو حملة من الاستفزازات والتعسفات والتضليل والمناورة • فقامت السلطات باغلاق البرصـة لكي لايتمكن العمال من الاجتماع • وأرسلت المقدميـن محفوفين بجماعات من الجيش الى القرى المعدنية قصـد زرع الخوف بين السكان • وفي نفس الوقت قام النظـام بحملة دعائية واسعة لخلق البلبلة في صفوف الطبقـة العاملة ، ثم بعدها أقيم حصار اعلامي زكته الصحافـة البورجوازية •

كما عبأت الادارة والسلطات بيادقها ازرع موجة من الانهزامية حتى تكون الحملة متكاملة

على مستوى الانتاج استدعت الادارة متطوعين مـن الشباب العاطل لاستخدامهم في اخراج الفوسفاط ونتج عن هذا الموقف هبوط الانتاج من ٨ أو ٩ شاحنات فـي اليوم الى ٣ شاحنات ، ظنا منها أن مجـرد أوامـر المهندسين والتقنيين كفيلة بتخريج المعدن – التجربـة باءت طبعا بالفشل – وتابعت الادارة مناوراتها فأدخلت الالات المستعملة من طرف الاشغال العمومية للعمل فـي الاماكن التي يوجد فيها الفوسفاط قريبا على سطـح الارض • وبهذه الكيفية توصلت الـى انتاج ٤ الـى ٥ شاحنات في اليوم • وبالرغم من ذلك فان كثيرا مـن البواخر التي انتظرت أياما متعددة في الميناء رجعـت على أعقابهـا •

ان تعنـت الادارة الـذي يعتبـر فـي الواقع موقفـا سياسيا أفتته الامبريالية العالمية والرساميل الاجنبية • وقد كان ضربة كبيرة لاقتصادنا (ضياع أكثر مـن ١٢

مليار فرنك) ويشكل تزكية لاهداف الامبريالية الساعية الى توجيه نظر الاسواق العالمية نحو مناجم الفوسفاط بالصحراء المغربية وهي اذن مساهمة في ضرب الانتاج والاقتصاد الوطني • فلو اعتبرنا الضياع المادي فقط ، لوجدنا أنه يتجاوز بكثير القدر الذي تدفعه الادارة للعمال كزيادة نسبتها ١٥٪ في العشر سنوات المقبلة • هذا يزيد في توضيح تبعية الحكم للامبريالية وتلاعبه بالمصالح الوطنية •

موقف البيروقراطية النقابية

لم يبق خافيا على أحد تخوف البيروقراطية النقابية من النضالات العمالية الكبيرة وتشبثها ببعض المطالب «الخبزية» فقط ، وانطلاقا من هذا يتضح موقفها من نضالات عمال خريبكة • ان العمال شنوا اضرابهم منذ ٢٠ شتنبر رغم معارضة هذه البيروقراطية • ووعيا منها بصمود العمال وشدة عزيمتهم وبعد ١٣ يوما من الاضراب أخرجت بلاغا مترددا للمساندة •

وقد ظنت أن تغيير الاشخاص كفيل باعادة ثقة الجماهير العمالية • فقامت بتجديد المكتب النقابي مرتين متواليتين بصفة فوقية ، الا أن العمال نظرا لتجربتهم النضالية الطويلة ونظرا للممارسات الانتهازية البيروقراطية المتكاثرة أصبحوا يعون الحقيقة التالية : ان البيروقراطية النقابية غير قادرة على قيادة نضالاتهم لذا رفضوا أي نقاش مع أفراد المكاتب النقابية المتتالية • ان هذه البيروقراطية في الواقع أصبحت تحتل منصبا مضادا بالنسبة للطبقة العاملة •

فعندما قرر عمال ميناء الدار البيضاء الدخول في اضراب لمساندة رفاقهم عمال مناجم خريبكة وأمام اندلاع الاضراب في جميع القطاعات الصناعية أسرع مؤيدوا النضالات الخبزية الى الادارة العامة للفوسفاط قصد المناورة ، بعد هذا أصدروا بلاغا نشرته الجرائد البورجوازية يعلن توقف اضراب عمال خريبكة • وعندما اتضح لهؤلاء العمال مدى تواطؤ البيروقراطية مع الحكم تابعوا نضالهم في عزلة عن فصائل هامة من الطبقة العاملة ، هذه الفصائل التي ظنت أن اضراب خريبكة قد انتهى •

والجدير بالذكر أن نضالات طويلة كهذه وفي مدينة كخريبكة ، تكون معرضة لكثير من الضغوط من طرف المصالح الاحتكارية • ولهذه الضغوط ثقلها في مواجهة نضالات العمال • وفي حالة استمرار مستميت لهذه الاضرابات يتعرض العمال للتعرية لانهم يبيعون كل ما لديهم قصد الاستمرار • وان بعض المصالح التي تهتم بالسمسرة تستفيد جيدا من هذه الوضعية •

خلاصة :

ان نضالات عمال مناجم خريبكة ، رغم طول نفسها ، تفتقر للوسائل التنظيمية (لجان الاضراب) الكفيلة بتقوية هذه النضالات وطرحها على المستوى الوطني • فهذا الافتقار يجعل العمال يرتكزون في نضالهم على أشخاص قليلين كثيرا ما يقعون في فخ الادارة أو البيروقراطية النقابية هؤلاء الاشخاص أنفسهم مهما كانت حسن نيتهم في الدفاع عن حقوق العمال يعانون من بقايا الممارسة الانتهازية والاصلاحية الشيء الذي لايؤهلهم لقيادة النضالات في جميع مراحلها وهذا يشرح النتائج الضعيفة التي تؤدي اليها هذه النضالات المستميتة •

ان هذه الوسائل التنظيمية الى جانب فكر متقدم يتجاوز النقابية الضيقة لمن شأنها رفع الوعي الطبقي للعمال وتطوير نضالاتهم من مجرد نضالات اقتصادية الى نضالات تهتم بالهيكل السياسي العام • الشيء الذي يسهل انفتاح الطبقة العاملة على مجموع الطبقات المحرومة لتوحيد نضالاتها •

وان احتكاك عمال مناجم خريبكة بالفلاحين الفقراء ، بالجماهير المعرضة للتفقير والبطالة ، وبالشباب ليكتسي أهمية قصوى في هذا الاطار •

٢١ ـ ١٢ ـ ٧١





خريبكة : مظهر من مظاهر التمايز الطبقي

٣ ـ كفاح عمال الفوسفاط في مواجهة المصالح الامبريالية

أحمد طارق

في الحقل الذي اقيم بخريبكة ، تاريخ ١٧ـ١٢ـ٧١ ، والذي كان القصد منه بالدرجة الاولى «الحفاظ على ماء وجه» الادارة العامة للمكتب الشريف للفوسفاط ، وصف المدير العام للمكتب اضراب العمال الذي دام شهرين ونصف ، بأنه «اضراب لافائدة منه» !

ربما قد ترى الادارة العامة لمكتب الفوسفاط أن «لافائدة منه» · لكن العمال بفضل هذا الشكل النضالي ، وما عبروا عنه من صمود ، استطاعوا أن يفرضوا الزيادة العامة في الاجور ·

وكان لابد من شهرين ونصف من الاضراب ، ومن ضياع ٢٠٠ الف طن من الفوسفاط ، تبلغ قيمتها ٨٠ مليون درهما ، والخسارة المترتبة عن توقف التجهيزات الالية المستعملة في باطن الارض لمدة طويلة ، وما نتج عن ذلك من ضياع للمعدن ، وفقدان الثقة التجارية ، نقول كان لابد من هذا كله كي «تنتبه» الادارة في النهاية الى ضرورة الزيادة في الاجور ، وتعلق من جانبها بأن هذه الزيادة «لاعلاقة لها بالاضراب» !

لماذا يا ترى لم تأت هذه الزيادة في سبتمبر ، بل وفي يونيو ، حيث رفع العمال هذه المطالب ؟

ان تصلبا من جانب الادارة العامة لمكتب ·ش·ف ، وأن عنادا كهذا ، والمتناقض مع المصالح الصرفة لتسيير المكتب ، لايمكن أن يجدا تفسيرهما في مجرد ضعف ذكاء المسؤولين ، بل لابد أيضا من تحديد محيطهم الاجتماعي والفكري والايديولوجي ، والذي يؤدي بهم الى الوقوع في مثل هذه الاخطاء الفادحة ، ذلك المحيط الذي تسبح فيه الاوليغارشيا الكمبرادورية المغربية ، محيط أمثال «جاك ريتزر ، ولوران كروز» وجمعية «الصداقة المغربية» لسنة ١٩٥٥ ، محيط الدوائر المالية الدوابة العليا ، وخاصة منها الابناك الفرنسية الكبرى ·

اذا كان المسؤولون عندنا يكتفون بالافكار الساذجة ، التي يتبادلونها في صالونات الفنادق الفخمة» مثل : الزيادة في الاجور = تضخم نقدي = افلاس ، فان المسيرين البارزين لتلك الابناك يتقنون وضع استراتيجيات تصبح هذه الافكار البسيطة الساذجة في خدمتها ، سواء وعت ذلك «نخبتنا» القابعة في «صالونات» البيضاء أم لم تعه ·

لهذا نرى من الضروري توضيح هذه الاستراتيجية ، استراتيجية الاحتكارات الدولية في ميدان مصادر المواد الاولية ·

استراتيجية الاحتكارات :

لقد اوجزها الاقتصادي الماركسي الامريكي «هاري ماجدوف» Harry Magdof في العبارة الاتية :

«ان تمركز القوة الاقتصادية في يد مجموعة محدودة من الشركات الضخمة ، قد صار ممكنا في عدد لايستهان به من الصناعات بفعل المراقبة التي تمارسها تلك الشركات على مصادر المواد الاولية ، ان حدة يقظة الاحتكارات ، وأساليبها العدوانية ، في اكتساب ومراقبة المصادر الاساسية التزويد بالمواد الاولية ـ على الصعيد العالمي ـ قد مكنتها من الحفاظ على التمركز

الاقتصادي ومن أبعاد المنافسين الاجانب والمحليين ، ومن اضعاف القوى الاقتصادية الناشئة ، ومن تسيير أعمالها ومصالحها ضمن سياسة احتكارية monopolistique في الاثمان والانتاج ، وذلك على أساس «العقلانية» الجشعة التي اكتسبتها الاستثمارات الاجنبية في صناعة استخراج المعادن طوال مرحلة الامبريالية العصرية ، ليس فقط في ميدان البترول ، وانما أيضا في مجموعة واسعة من المنتوجات وخاصة منها المعادن» ٠

ولكي نفهم هذه الاستراتيجية في ميدان الفوسفاط ، يجب أن نعلم بأن المغرب يمثل بالنسبة للاحتياطي العالمي، ما يمثله الشرق العربي بالنسبة لاحتياطي البترول ٠ ان احتياطي المغرب من الفوسفاط يقدر بعشرات ملايير الاطنان ، أي أكثر من نصف مجموع الاحتياطي العالمي ٠ ومعنى ذلك أن أوربا الرأسمالية ، بقدر ما هي بحاجة الى البترول كمصدر للطاقة ، فهي بحاجة كذلك الى الفوسفاط كمصدر للسماد ٠

والفوسفاط مادة حيوية بالنسبة لشركات الصناعة الكيماوية الكبرى المسيطرة على انتاج الاسمدة ، لانه مكمل ضروري للسماد المستخرج من الازوت والبوتاس٠ ولذا ، فان مراقبة مصادر التزويد بالفوسفاط عنصر هام وحيوي لضمان سيطرة الاحتكارات على مجموع صناعة السماد الكيماوي ٠

ان الشركات الفرنسية الكبرى للسماد الكيماوي ، تعتمد بصفة مباشرة على الابناك الضخمة ، كالشركة المالية لباريز والبلاد المنخفضة ، والشركة المالية السويسرية ٠ وقد استطاعت هذه الشركات المالية أن تضمن لنفسها وضعية ممتازة كأكبر محتكر في فرنسا وبلجيكا ، ووضعية من الدرجة الاولى على صعيد اوربا الغربية ، وذلك بفضل استغلال مصادر الفوسفاط في المستعمرات الفرنسية ، في كل من الجزائر والمغرب وتونس ٠

والمغرب الذي كان آخر بلد من تلك البلدان الثلاث الذي اكتشف فيه الفوسفاط، استطاع الاستعمار الفرنسي ضمان مصالحه عن طريق القاء استغلال الفوسفاط على عاتق الدولة في المغرب ، وذلك بمقتضى معاهدة «الجزيرة الخضراء» والتي كانت شكليا تمنع على الاستعمار الفرنسي نهج سياسة احتكارية مباشرة على الثروات المعدنية المغربية ، ولان الدولة كانت آنذاك تحت الحماية، فقد استطاع الاحتكار الفرنسي أن يقوي مركزه ، متعاونا في ذلك مع «مصرف شمال افريقيا للفوسفاط» وهو شركة للبيع تسيطر عليها المصالح الخصوصية الفرنسية ٠

وبعد الاستقلال ، كاد احتكار الفوسفاط أن يتزعزع بفعل فضح الاتفاقيات التي تربطه «بمصرف الفوسفاط»، وبفعل سياسة التنمية الصناعية لمصادر الفوسفاط ، وفي مقدمتها المشروع الكيماوي بآسفي ٠

ولم يبق أمام الاحتكارات الفرنسية الا محاولة حصر النمو المعدني للمكتب الشريف للفوسفاط ، وقد كان ذلك ممكنا ، لان الاطارات القيادية في المكتب ظلت فرنسية وكذلك لان المصالح المكلفة بالتنقيب على الفوسفاط ، كانت هي نفس المصالح التي كانتتابعة لمصرف الفوسفاط الفرنسي ٠ تزوال بهذه الوسائل تأثيرا قويا تمارسة الاحتكارات على الاوليغارشيا الكمبرادورية في المغرب ٠ لكن هذه الوسائل تبقى هزيلة وعاجزة في حالة وقوع تعبير سياسي بالمغرب ، وفي حالة تصاعد نفوذ الاحتكارات الامريكية ٠ وهناك تأتي «عملية» الصحراء الغربية ٠

«عملية» الصحراء الغربية :

اكتشف فوسفاط الصحراء الغربية في بداية الستينات (ان كان تعبير «الاكتشاف» صحيحاً بالنسبة لمعدن مدفون على مستوى السطح» · ورغم أهمية هذا المعدن (٧ر١ مليار طن ، فهو ذو قيمة متوسطة) ، ولا يعدو أن يماثل احدى المناجم المغربية الغير مستعملة لحد للان «كابن جرير ، وامين تانوت ، وشيشاوة والبروج · وهو أقل كما ونوعا من مناجم خريبكة ووادي زم ، واليوسفية» · لكن أهميته بالنسبة للاحتكارات الرأسمالية العالمية ، تكمن في وجوده في منطقة «صحراوية خالية» ، حيث يظهر لاول وهلة أن الثقل السياسي للسكان يمكن «احتقاره» · ومن هنا يفهم ، لماذا تتحدث الامبريالية عن «كويت الفوسفاط» ·

كما أن الطبقة الحاكمة في اسبانيا ، ادركت الفائدة التي يمكن أن تجنيها من هذا المعدن ليس فقط كاستغلال اقتصادي مباشر ، ولكن كوسيلة تمكنها من توطيد علاقاتها بالرأسمالية العالمية ، في وقت بدأت تحس فيه أن نظامها قد بدأ يسير بسرعة نحو التفسخ والتدهور · وهكذا بدأت تبحث عن طريق للتحالف مع الرساميل الامريكية ، ولكنها واجهت سلسلة من الصعوبات ، يرجع أساسها الى قلة انتاجية العملية بالنسبة لكبريات الشركات الامريكية التي تفضل التركيز على البترول وعلى تطويق ومراقبة كبريات الشركات الصناعية الاوربية ·

ومن جهة أخرى ، فان كبريات الشركات الامريكية كانت لديها استراتيجيتها الخاصة بالنسبة للصحراء الغربية ، التي لاحظت فيها ثروة بترولية ، ولم ترد أن تدخل في عملية استعمارية مباشرة ومفضوحة ·

وبعدما فشلت الطبقة الحاكمة في اسبانيا ، في محاولاتها مع شركات من الدرجة الثانية لم تحصل على القرض العالمي (وهو ضروري في عملية تتطلب ٢٠٠ مليون دولار ، أو مليارا من الدراهم) · وبعد ذلك ، اتجهت الى التعاون مع الابناك الفرنسية في بداية سنة ١٩٦٨ ·

وفي مستوى أعلى للاستراتيجية السياسية للدول الكبرى ، والاستراتيجية الاقتصادية للاحتكارات ، تعتقد الامبريالية الامريكية أن الامبريالية الفرنسية يمكن أن توفر لها تغطية مفيدة ، في بعض عملياتها في البلدان العربية ، وخاصة في المغرب العربي · ومن شيم هذه الابناك طبعا ، أن تعقد الصفقات على ظهر الشعوب · ولا يجهل أحد في تلك الاوساط أهمية الثروة البترولية في الصحراء · لكن الابناك الفرنسية ، تعلمت منذ القديم ، أنه لاجدوى من التسابق في ميدان البترول ، مع الشركات الامريكية والانجليزية التي كونت منذ زمان الاحتكار العالمي للبترول · واذا فان تلك الشركات تكتفي بالمقاعد الجانبية كما هو حالها في ايران والعراق والخليج العربي · ومن ثم ، سرعان ما احتلت الشركة الامريكية «اسو» وهي احتكار كبير ، مكان الصدارة في الصحراء ، بفضل ظهير خاص منح لها سنة ١٩٦٥ ، على المنطقة الشاطئية في طرفاية ، وهي تنتظر الان مجيء «أمير» جديد على الصحراء الغربية ليمنحها الصلاحية في الجنوب

العملية السياسية اذن منوطة بأبناك الاعمال الفرنسية ، ومقابل ذلك فهي ستحصل على صلاحية استغلال الفوسفاط ، الى جانب مساهمتها الجزئية المعتادة في البترول ، بدون شك ·

ان مـا تستفيده أبناك الاعمال الفرنسية من عمليـة الفوسفاط هذه قبل كل شيء ، هو اعادة فرض احتكارها على سوق الفوسفاط في اوربا الغربية ، ومن ثم ، كسب عنصر هام يساعدها على مواجهة التنافس الشديد الذي تتهيأ له الشركات الكبيرة الاوربية في مجال الصناعـة الكيماويـــة ·

العملية الـتي تبادر بهـا المجموعة المالية الفرنسيـة «كوفيمير» منذ أوائل ١٩٦٨ هي اذن كالتالي :

تشكلت في البداية شركة عالمية لاستغلال فوسفـــاط الصحراء الغربية ، وكانت مجموع رساميلها فـي أول الامر اسبانية ، ثم انحصرت تلـك الرساميل في نسـبة ٥٠٪ أما النصف الباقي من الرساميل فيترك الجزء الاكبر منه للابناك الفرنسية المشكلة لمجموعة «كوفيمير» والجزء الباقي للمكتب الشريف للفوسفاط ·

وقد مرت الدولة الاسبانية الى مرحلة التنفيذ الفعلي لهذا المخطط منذ شهر ماي ١٩٦٩ ، أي مباشرة بعـــد المفاوضات التي جرت في باريس ، بين اسبانيا وفرنسا في ابريل ١٩٦٩ · وبدأت الطلبات التجارية تقدم فعـلا منذ هذا التاريخ · وفي غشت ١٩٦٩ ، تشكلت الشركة «فوسفاطوس بوكراع» ، واعطيت لميسيريها مهمة البدء بأستغلال الفوسفاط في سنة ١٩٧٢ كأجل أقصى ، وكذلك عقد اتفاقيات التعاون مع المصالح الاجنبية الاخـرى ·

ولابـد من الاعتقـاد ، بأن المسؤوليـن الفرنسييـــن والاسبانيين كانوا يعلمون منذ البداية ، انهم لن يتعرضوا للحواجز من الجانب المغربي ·

وأعلنت الصحافة المتخصصة ، منذ يونيو ١٩٧٠ ، أن هناك مداولات في الدوائـر العليا ، بين اسبانيـــا والمغرب ، تهدف الى تنسيق الاثمان وسياسة البيع لكل من شركة «فوسفاطوس بوكـراع» والمكـتب الشريـــف للفوسفاط · وهكذا يعـاد تشكيل «المصرف» القديـــم للفوسفاط ، تحـت الوصاية الفعلية لابنـاك الاعمـال الفرنسية ، المؤهلة للقيام بدور الحكم في الموضوع ·

فمن هي هذه الابناك ؟ يوجد من بين المساهمين فـي المجموعة المالية «كوفيمير» ،)بنك باريز ، وبنك روتشيلد ، وكريدي ليوني) ومن الواضح أن مساهمين من هـــذا النوع ، قادرين على انجاح المخطط ، والبدء باستغـلال فوسفاط الصحراء ·

يبقى أن نتساءل ، **هل الافتراض الاول** ، لهذا المنطلق صحيح ؟ هل الصحراء أرض بدون سكان ؟ ويجـــب التذكير أن نفس النوع من الافتراض ، هو الذي انطلقت منه الصهيونية العالمية منذ ٧٥ سنة ، بصـــدد أرض فلسطين · وليس من غريب الصدف ، أن نجد روتشيلد من جديد ، في طليعة المخطط ·

ان هذا كله يؤكد أن كفاح عمال مناجم خريبكة كفاح ، ذو ابعاد وطنية · وهذا كله يوضح ان كفـاح عمـــال خريبكة يلتقي مع كفاح اخواننا في «العيون» في الصحراء ويلتقي في النهاية مع كفاح الثورة العربيـة ·

من هنا نفهم ، ان كفاح الطبقة العاملة ، ان كان في نضالات ١٩٤٨ مرحلة هامة من الكفاح ضد الاستعمار السياسي والعسكري المباشر في المغرب ، فانـه فـــي نضالات خريف ١٩٧١ يشكل مرحلة هامة في الكفـاح من أجل التحرر الوطني في الصحراء العربية الغربية ، في الكفاح من أجل طرد الامبريالية ، والصهيونية ، وكل عملائهم ، من مجموع الوطن العربـي ·

العلاقات والصراعات الطبقية الراهنة في قطاع النسيج

محسن الكبيري

الظروف التاريخية :

ان مصانع النسيج في بلادنا ، وكذلك في غيرها من البلاد التي تسيطر عليها الصناعة والاقتصاد الاجنبيين ، تشكل القطاع الصناعي الخالص بمعنى أنها أكثر القطاعات حيوية وتوسعا ، وتطورها أكثر سرعة ، والاكثر أهمية منذ الاستقلال .

هذا يفسر تاريخيا ، فقبل المحاولات المظفرة للتسلل الاجنبي لبلادنا ، كان انتاج النسيج صناعة ونشاطا وطنيا يشمل مجموع البلاد ، وفي بعض المدن بصفة خاصة ، كان النسيج هو القطاع أو الوحدة الرئيسية للانتاج ، وكان المعمل في طريق الدخول الى المرحلة النصف - صناعية .

ثم بعد ذاك ، وخلال فترة الاحتلال الاجنبي ، كان مجمل التجار الاغنياء من أصحاب النسيج ، وأخيرا ، ومنذ سنة ١٩٥٦ ، انتقلت نفس هذه العائلات البورجوازية من التجارة الى صناعة النسيج ، لان النسيج كان هو النتاج الذي كانت مشاكل البيع فيه محلولة بطريقة أكثر نجاحا من طرف هذه البورجوازية .

واليوم ، أصبح هذا القطاع هو الاول الذي ادخلت اليه البورجوازية التعليم الصناعي ، وذلك بفضل المعونة الضخمة من طرف الدولة ، ولكن ، بصفة خاصة ، أصبح هذا القطاع هو الاول الذي اصبحت فيه البورجوازية المغربية تجابه الطبقة العاملة وجها لوجه وتواجهها . فالاولى - أي البورجوازية - تتعلم استغلال الثانية ، وهذه بدورها - أي الطبقة العاملة - تتعلم مجاوزة الابوية ، وهذا نتاج للحماية التي يتمتع بها هذا القطاع من طرف الحكم ، لحالفة قوى الطبقة البورجوازية المغربية .

ان هذا الانبعاث الضخم لهذا القطاع هو الذي جعل العقائديين البورجوازيين الصغار ، من أعضاء النقابة العمالية ، الاتحاد المغربي للشغل ، يقولون سنة ٦٥ وبعدها ، أن الصراع الطبقي يوقف النمو الاقتصادي للبلاد . وفي هذه السنة كذلك - ١٩٧١ - وكذلك بأسم الدفاع عن النمو الاقتصادي للبلاد وباسم الليبرالية ، تساند الجريدة اليومية «مغرب انفورماسيون» القريبة من قيادة ا·م·ش ، الجناح الحيوي من بورجوازية النسيج الاقلية المسيطرة والاكثر دخلا من هذه البورجوازية المحمية من طرف الدولة .

احتلت قضية صفدي - ولعدة أيام - الصفحة الاولى من الجريدة المذكورة ، في نفس الوقت الذي كان فيه عمال المناجم في خريبكة يشنون معركة لاهوادة فيها ضد الدولة ، وضد ممثلي رأس المال الفرنسي الضخم ، وذلك وسط الصمت المتواطيء للمنظمات السياسية والنقابية ، بل في نفس الوقت الذي ذكرت فيه نفس الجريدة ، نضالات عمال النسيج بصفة خجولة ، تحت عنوان «الحياة الاجتماعية» .

بعد أن رأينا الظروف التاريخية لظهور بورجوازية صناعية في قطاع النسيج ، والمشاكل المطروحة من خلال هذا التطور في العلاقات الطبقية ، يبقى السؤال مطروحا أمام قيادة المنظمة الوحيدة المثلة للعمال ا·م·ش : كيف

أخذ قطاع النسيج شكله الحالي ، وبصفة ملموسة ، باثارة اهتمام أشد البورجوازيين المغاربة مساومة

قطاع النسيج ، مصدر للارباح الضخمة :

الى غاية سنة ١٩٦٥ (وهو تاريخ نهاية مرحلة التحولات التي بدأها الحكم ، والتي حاول فيها أن يزيل من الاذهان ، ذكرى «اجراءات الدولة» في الميدان الاقتصادي ، لحكومة عبد الله ابراهيم كان قطاع النسيج متسما بانتاج محلي منخفض نسبيا ، وبحركة استيراد متزايدة ، وهكذا ، ومنذ الاستقلال والى غاية ٦٥ ، اصطدمت بدايات التصنيع ، بمنافسة المستوردات من منتوجات النسيج ، وطوال هذه الفترة ، بدأ تحول البورجوازية المغربية ، التي انتقلت من طبقة للتجار الى طبقة صناعية في طريق الصيرورة ٠

ان البورجوازيين المغاربة ، أولا كتجار ومستوردين ، ثم تجارا وصناعا ، استطاعوا جمع كل الارباح المكنة من هذين النشاطين : الربح الحاصل من الاستيراد من جهة ، والربح المحقق من سعر بيع الانتاج المحلي من النسيج بسعر المنتوجات المستوردة ، وتراكم الارباح هذا خلق اتجاها متزايدا نحو الصناعة عند تجار النسيج ، وقد توسعت هذه الظاهرة الى غاية سنة ٦٧ــ ١٩٦٨ وأصبح كل صناعي يريد بيع انتاجه من النسيج المحلي بسعر المنتوجات المستوردة ، محققا بذلك أرباحا ضخمة ، وهكذا تعددت المصانع الصغيرة ، ثم أتى بعد ذلك دور المعامل الضخمة ، وقد أدت هذه الوضعية الى انهاك قطاع النسيج ٠ اذ أنه أصبح متوفرا على قدرة انتاجية ، تفوق القدرة الشرائية لمن في استطاعته ماديا ــ الشراء ، بل وأكثر من ذلك ، ظلت الاثمان مرتفعة ، وفي مستوى أسعار المستوردات ، على الرغم من الاجراءات المتخذة سنة ١٩٦٧ بمنع استيراد المنتجات النسيجية ، لانه كان من اللازم الحفاظ على الارباح في نفس المستوى ٠

ــ طوال فترة التصنيع هذه ، لم تظهر التناقضات بصفة واضحة بين الطبقة العاملة والبورجوازية ، فلانه كان بامكان البورجوازية تحقيق أرباح مرتفعة مكنتها من ارضاء المطالب القليلة للعمال ، وفي نفس الوقت الذي بدأ فيه عمال النسيج في الانتظام (أو التنظيم) ٠

ان الاجراءات المتعلقة بمنع الاستيراد المتخذة سنة ٦٧ ، سهلت انفجار المنافسة بين الشركات الصناعية للنسيج ، والذي صعدت تناقضاته نضالية ومطالب عمال النسيج ٠

تناقضات قطاع النسيج ، هي تناقضات البورجوازية المغربية :

بعد مرحلة الولادة والنمو والتخوفات ــ بالنسبة للبورجوازية ــ تتجلى التناقضات من الان فصاعدا في جبهتين :

الاولى : التناقض في حضيرة رأس المال ، في حضيرة البورجوازية والذي يتجلى في شكلين (ا و ب)

والثانية : التناقض بين البورجوازية والطبقة العاملة بصورة حاسمة ، والذي يظهر أمام أعيننا أضخم مما مضى ، وهذا التناقض يأخذ ملامحه من خلال التناقضات في حضيرة البورجوازية ٠

فالجبهة الاولى للتناقض تتجلي في :

ا ــ بين البورجوازية الصناعية والبورجوازية المتوسطة ٠

ب ـ بين الرأسمال الوطني والرأسمال الاجنبي في حضيرة قطاع النسيج ٠

ان ديناميةهذين المستويين من هذا التناقض الثانوي ـ لكن الذي أصبح اليوم محددا لمصير هذه البورجوازية ـ تبين تداخل هذين الشكلين أحدهما في الاخر ٠

١ ـ الصورة الاولى للتناقض في حضيرة «رأسمال» Capital النسيج هي حركة التركيز والتجميع للشركات ذات الاهمية الكبرى ، وما ينتج عن ذلك من تصفية للشركات ذات الطاقات الصغيرة أو المحدودة ، والحل المؤقت لتأجيل هذه التصفية هو الزيادة الاخيرة في اسعار النسيج (١) ٠

وبما أن هذه التصفية قد بدأت بمعارض يقف في وجهها (٢) فيجب أن تستمر بسلسلة من الاغلاق للمعامل الصغيرة والمتوسطة ، مطورة بذلك نضالية العمال الذين دفعتهم هذه التصفية الى البطالة ، ومطورة التعارض بين الطبقة العاملة والبورجوازية ٠

ـ لماذا هذه التصفية لجزء من البورجوازية المتوسطة، والتي يجب عليها أن تبحث تبعا لذلك عن أرباح أخرى في قطاعات أخرى ؟

مستوى الربح الذي حقق الى الان ٠

ـ الجواب البديهي هو أنه ليس هناك مكان للكل على مستوى الربح الذي حقق الى الان ٠

ـ ليس هناك عدد كاف من المشترين بالنسبة للجميع، وفي مستوى سعر بيع متماثل ٠

ـ ليس هناك مكان لكل الصناعيين في السوق الاوربي ففي مقدرة كبار البورجوازيين وحدهم اقامة علاقات تجارية مع شبكات المبادلات الاجنبية (٣) ٠

١ ـ ارتفع سعر ثلاثة أنواع من المنتوجات بـ ١٧٪ و ٢٤٪ و ٦٠٪ (المصدر : مغرب انفورماسيون بتاريخ ١٤ ـ ١٢ ـ ١٩٧١ ـ الصفحة الثانية) ٠

٢ ـ ان قضية صفدي حلقة ذليلة لبورجوازية تريد النضال في نفس الوقت ضد المقاولات الضخمة الجشعة وضد الرأسمال الاجنبي

٣ ـ توجد شركة مغربية تصدر الاثواب الى انجلترا، وعدة شركات أخرى تصدر الالبسة الجاهزة (أقمصة ، سراويل ، بذلات ٠٠٠ الخ) ٠

الجدول رقم ١ ـ يبين أهمية البورجوازية الكبرى والمتوسطة في الانتاج :

نوع الانتاج داخل القطاع	مجموع عدد الشركات	درجة التركيز
غزل القطن والخيوط	١٤	٤ شركات تراقب ٥٠٪ من الانتاج
النسيج	٢٢	٥ شركات تراقب ٥٠٪ من الانتاج
الالبسة الجاهزة	٣٠٠	٢٠ شركة تراقب ٣٠٪ من الانتاج
نسج الاثواب الخفيفة	١١	٣ شركات تراقب ٥٠٪ من الانتاج
نسيج الاثواب الثقيلة	٧	٢ شركات تراقب ٧٠٪ من الانتاج
المنسوجات الحريرية	٣٨	٦ شركات تراقب ٥٠٪ من الانتاج
الملابس الخفيفة والداخلية	١١٢	٧ شركات تراقب ٥٠٪ من الانتاج
٥٠٤ شركة ، منها ٤٧ شركة تراقب ما بين ٥٠ و ٧٠ من الانتاج		

ان هذا الجدول ، يمكننا من تقييم علاقات القوى بين البورجوازية الكبيرة والمتوسطة ، اذ أن أقل من ١٠٪ من الشركات تتحكم فيما بين ٥٠ ـ ٧٠٪ ، وهذه النسبة من التركيز لتزداد مطورة بذلك التناقض في حظيرة البورجوازية نفسها، وبينها وبين الطبقة العاملة (نتيجة لاغلاق المعامل وازدياد البطالة) ٠

ان حل هذا التناقض بين البورجوازية الكبرى والمتوسطة ، يتم على حساب الطبقة العاملة ، والتي يتجلى تناقضها مع البورجوازية بصفة أوضح من خلال الاضرابات الاخيرة ، وهذا يعجل بدوره توضيح التناقض بين الرأسمال الوطني ، والرأسمال الاجنبي ، والذي سيكون «جولة ثانية» ستخوضها البورجوازية تحت شعار المغربة لمحاولة حل هذا التناقض الثاني وذلك بالتجميع للتغلب عن عجزها في تصريف انتاجها بالاضافة الى ضيق السوق الداخلي ٠

٢ ـ الشكل الثاني للتناقض يتعلق بالعلاقة بين الرأسمال الوطني والرأسمال الاجنبي فيقطاع النسيج، والذي كان صفدي ضحية لـه ٠

ـ ان الاستراتيجية الاصلاحية ، مبنية على الرغبة في تطوير الرأسمالية في المغرب ، هذا التطور تكون قاعدتهالطبقية هيالاقوى وهذا هومايسمى بالبورجوازية الوطنية ٠

ان التحليل التقليدي للاصلاحية يجعل من هـذه البورجوازية الوطنية الوريث المستحق للقيم الديناميـة للبورجوازية الاوربية ، ويعطيها فضائل قتالية تجعلها تهاجم الرأسمال الاجنبي • ان نفس هذا التحليل يطبق في القطاعات الاقتصادية الاخرى التي طورت البورجوازية المغربية نشاطها فيها (النسيج ، البلاستيك البناء ، الاشغال العمومية) مثبتا بذلك الطابع الوطني الخالص لهذه القطاعات ، لكي يعطى للمفهوم السياسي للبورجوازية الوطنيـة ـ الصحيح سياسيا ـ بعـدا اقتصاديا لاتملكه هذه الطبقة ، وذلك حتى ينسب لها دورا سياسيا يناسب السمة الاصلاحية لمرحلة الديمقراطية الوطنية ، والذي تقوم فيه نفس هـذه البورجوازية بالوظيفة القيادية •

ما هي في الواقع هذه البورجوازية الوطنية ؟ وما هي اهمية الرأسمال الاجنبي في قطاع النسيج ، القطاع الممثل للمصالح والميول الصناعية لبورجوازيتنا •

لقد أخذنا ٢٨ شركة كعينة مجموع انتاجها السنوي ٣١٠ ٢٨ طن و٤٢٠ ٢٩ Broches وتستخدم ٩١٦٩ عاملا ، وتتوفر على رأسمال اجتماعي Capital Social يعادل ٩١٦٣٥٠٠ درهم (انظر قائمة هذه الشركات الثماني والعشرون ٢٨ مرتبة ترتيبا تنازليا حسب أهمية العدد الذي تشغله من العمال ـ جدول ٢) •

اننا لانعطي للارقام قيمة سحرية ، كما أننا لسنا بغافلين عن جزئيتها ونسبتها • الراجعة لعدة عوامل ، ولكننا نأخذها كقيمة استدلالية فقط • ان هذه الارقام توضح الخطوط العريضة للعلاقات الطبقية بين الرأسمال الوطني والرأسمال الاجنبي ، دون أن تعطي النسبة الصحيحة لكل منهما أو الصورة الحقيقية ، بعد

هذا التوضيح ، واذا انتقلنا الى الجدول الثاني ، يتبين لنا أن ١٠ من ٢٨ شركة ، هي شركات أجنبية ، وتشغل ٤٠٢٩ عامل ، ومجموع رأسمالها الاجتماعي يعـادل ٤٠٢٨٤٥٠٠ درهم •

والجدول رقم ٣ يبين لنا أن :

ـ أكثر من ثلث هـذه الشركات مراقب من طـرف الاجانـب •

ـ أكثر من ٤٠٪ من العمال يشتغلون في هـذه الشركات «الاجنبية» •

ـ يظهر أن Broches النسيج تبـدو احتكارا لهذه الشركات •

ـ حاولي ٤٥٪ من الرأسمال الاجتماعي مستثمرة في هذه الشركات •

ـ ٣٥٪ من انتاج الغزل من نتاج هذه الشركـات العشـر •

فماذا يحدث أمام هذا التناقض بين البورجوازيـة المغربية والرأسمال الاجنبي ، أو على الاقل ما يسمـح لنا التنبأ به بمراقبة التطور في النشاطات الاخرى ، أي المغربـة •

ان الوفاق الودي على حماية المصالح المتبادلـة ، بواسطة سلسلة من الاجراءات التقنية الماليـة لايؤدي الا الى تأخير انهيار البورجوازية المغربـية ، وذلـك بارتباطها الوثيق والمتصاعد بالرأسمال الاجنبي •

فهـل هـذا الاشتراك والاتحاد مخالـف لطبيعـة البورجوازية المغربيـة ؟

لا ! انـه هـو ما يؤدي اليـه الضعف السياسـي والاقتصادي للبورجوازية ، وفي نفس الـوقت التطور الضروري للحكم ، وللاستعمار الجديد •

وهكذا ، فان التناقض المزدوج (بين البورجوازية الكبرى والمتوسطة ، وبين البورجوازية الوطنية والرأسمال الاجنبي) يؤدي الى حل لهذه التناقضات على حساب الطبقة العاملة ، وذلك بتجميع الشركات الصناعية الكبرى (مما يؤدي حتميا الى تصفية المزيد من الشركات الصغرى وبالتالي الى المزيد من تسريح العمال لفائدة البورجوازية الكبرى .

ـ نستطيع اذا أن نتأكد من أن البورجوازية المغربية لم تستطع فرض نفسها والقضاء على الرأسمال الاجنبي ، في قطاع تتمتع فيه بمساندة الدولة وبالظروف الملائمة ، اذ ليست لها قاعدة اقتصادية خاصة ، وسلطة سياسية تسمح لها بالقيام بعمل من هذا النوع . وهكذا ، وحتى في قطاع تعتبر فيه هي الاقوى نسبيا ، لم تقم بشن معركة الاسترجاع الرأسمالي الاجنبي ، لقد كان موقفها دائما هو الاستجداء لحماية الدولة للتخلص من المضايقين ، ان معاركها هي الدسائس التي تحاك في دهاليز الوزارات، فمتى تصل هذه البورجوازية الى سن الرشد ؟ هل يجب الانتظار بصبر ، حتى تصل الى سن الرشد ، بقواها الخاصة الوطنية الاصيلة ، في نفس الوقت الذي بدأت التناقضات تظهر بصورة أوضح بين البورجوازية والطبقة العاملة ؟

لقد برز هذا التناقض للوجود ، وأصبح ممكنا ، بانفجار التناقضات الداخلية للرأسمال في هذا القطاع، وهي تناقضات لايمكن تجنبها في اقتصاد وشركات كاقتصادنا وشركاتنا ، وهذا التعارض يتطور لان الطبقة العاملة ـ وكنتيجة لذلك ـ تشن المعركة ضد الاستغلال .

البورجوازية الوطنية والطبقة العاملة : التطور الحالي للاضرابات ودلالته :

بدأت الاضرابات في هذا القطاع ، مع بداية المصاعب التي واجهها أرباب العمل في تأمين أرباح معادلة للارباح المعتاد تحقيقها .

ـ في سنوات ٦٧ ـ ٦٨ و ٧٠ و ١٩٧١ ، طالبت الطبقة العاملة بحقها في العدالة والانصاف ، وبظروف عمل لائقة ، ففي الدار البيضاء والرباط ، استطاع العمال على مر السنوات ، احباط مناورات الابوية والارهاب (ايطكس ، غيلروك) . واليوم ، فان هذه السلسلة الفريدة من نوعها من الاضرابات في تاريخ بلادنا ـ والتي لانجد مثيلا لها الا أيام النضالات الكبرى للطبقة العاملة المغربية ضد المستعمر الفرنسي سنوات ٤٨ و ٥١ ـ ١٩٥٢ ـ اذا كان لها طابع اقتصادي واضح ، فانها تبرهن كذلك عن نضالية الطبقة العاملة ، وتبين ما يمكن أن تصل اليه هذه القوة الطبقية ، في خدمة مصالحها الخاصة .

ان أي قطاع اقتصادي لايعتبر معفى من هذا النضال، ان الطبقة العاملة برفضها وعدم رضاها عن ظروفها المعاشية ، ترفض هذه السنوات العشر الماضية .

وهكذا ، ومنذ ١٥ اكتوبر ١٩٧١ ، نجد أن ١١معمل في حالة اضراب ، أي ٥١٥٠ عامل متوقفون عن العمل، وأن مجموع أيام الاضراب في قطاع النسيج يصل الى ٥٥ يوما ، كما أن عدد أيام العمل بدون أجرة للعمال (ليس دائما) وبدون انتاج بالنسبة لارباب العمل يساوي ٠٠٠ ٢٥٧ يوم .

ان هذه الضراوة لنضال العمال لاتبرهن فقط على الوعي الطبقي ، ولكن كذلك على اكتساب الحس

التنظيمي النقابي ، وضرورته ، وجدواه · وهكذا ، ففي ثلاثة معامل شنت الاضرابات ، اما لان رب العمل طرد مندوبي العمال ، أو رفض استقبال المكتب النقابي · ان الدلالة السياسية للاضرابات الحالية واضحة ، وستتضح أكثر في النضالات المقبلة : فالوعي الطبقي والشعور بضرورة التنظيم الطبقي هما السلاح الجماعي الذي تسلح به العمال لرفض الاجور ، ورفض ظروف المعيشة المفروضة عليهم ، وكذلك القدرة على التمييز السياسي لمن هم وراء أرباب العمل (رب المعمل الذي يقع فيه اضراب معين) والمسؤولين عن هذه الوضعية الموروثة من أحد عشر عاما من احتقار الشعب ، وفي نفس الوقت تميز عدوها الطبقي : البورجوازية ، ان البورجوازية بتحالفها مع جهاز الدولة تفصح عن هويتها الحقيقية : عن ضعفها أمام الاوليغارشية وأمام الاجنبي ·

ان النضالات العمالية ، بتطورها الكيفي ، تعمق التناقضات العامة للصراع الطبقي ، داعية بذلك كل واحدة من الطبقات الوطنية الى أن تحدد نفسها تجاه الاستعمار الجديد وتجاه الطبقة العاملة ·

اذ أن الطبقة العاملة ، على رأس الطبقات الكادحة، هي وحدها القادرة على تصفية الوجود الاجنبي لاسترجاع ميراثنا الوطني ، وثرواتنا الوطنية ، وأن تعمل من أجل مغرب عربي ، ومن أجل الثورة العربية ·

جـدول رقــم ٢

جدول ٢٧ من بين أهم الشركات الصناعية في النسيج مرتبة ترتيبا تنازليا حسب عدد العمال الذين تشغلهم :

الشركات	المستخدمون	الانتاج	الرأسمال
ساطفيلاج	١١٠٠	٢٠ ٠٠٠ قضيب Broches ١٣ طن/اليوم ١١٠٠ متر/الشهر	٢٠ ٠٠٠
اكوما	٨٣٠	١٢٠٠ طن/السنة	١٢ ٠٠٠ ٠٠٠
صافط	٨٠٠	٢٢٤٠ قضيب	٦ ٩٧٥ ٠٠٠
داناطكس	٦٢٥	٢٠٠٠ متر/السنة	٩ ٠٠٠ ٠٠٠
كوفطكس	٦٠٠	٥٠٠٠ طن/السنة	٨ ٠٠٠ ٠٠٠
اياطكس	٥٦٠	١٢٠٠ طن/السنة	
انجطيكس	٥٥٠	٤٤٠ طن/السنة	٥ ٠٠٠ ٠٠٠
مافاكو	٤٨٩	١٣٠٠ طن/السنة	٧ ٤٧٧ ٠٠٠
تيسبورد	٤٧٥	١٥٠ ألف متر/الشهر	٦ ٠٠٠ ٠٠٠
صيفيطا	٤٥٠		٤ ٠٠٠ ٠٠٠
نسيج المغرب	٣٥٠	٢٦٠٠ طن/السنة	٩ ٦٠٠ ٠٠٠
ابوما	٣٢٠	٣ طن/اليوم	٢ ٠٠٠ ٠٠٠
فيلاطيس	٣٠٠	١٦٥٠٠ قضيب	
فلروك	٣٠٠		
بايدافيل	٣٠٠	١٦٥٠ طن/السنة	٢ ٤٠٠ ٠٠٠
فلايين	٣٠٠	٣٢٠٠ طن/السنة	٤ ٠٠٠ ٠٠٠
معمل فاس	٢٥٠	١١٠ طن/الشهر	٢ ٠٠٠ ٠٠٠
ماكينا	٢٠٠		٢١٧ ٠٠٠
أوتيكس	١٨٠	٧٠٠٠ قضيب	٥ ٠٠٠ ٠٠٠
فلاسري	١٥٠	١٠٠٠ طن/السنة	٤ ٣٠٠ ٠٠٠
لوكساتيكس	١٠٠	٢١٠٠ طن/السنة	١ ٠٠٠ ٠٠٠
مافتيس	٩٠	٤ أطنان/اليوم	٦٠٠ ٠٠٠
امـاط	٧٠	٢٥٠ ٠٠٠ متر/الشهر	٢ ٠٠٠ ٠٠٠
نسيج الشمال	٥٠		٥٠٠ ٠٠٠
ماطسو	٤٥	٧٠ ٠٠٠ متر/الشهر	١ ٢٥٠ ٠٠٠
نسيج المغرب	٣٥	١٠٠ طن/السنة	
فلارما	٢٥	٥٠٠ طن/السنة	
٢٧ شركة	٩٦١٩ عامل	٢٨ ٣١٠ طن/السنة ٢٩ ٤٢٠ قضيب	٩١ ٦٣٥ ٠٠٠ درهم

الجدول رقم ٣ ـ الشركات الصناعية الاجنبية فـــي قطاع النسيـج

الترتيب حسب عدد العمـال	الشركات	عدد العمال	الجنسية	الانتاج السنوي	رأس المال
١	ساطفيلاج	١١٠٠	سورية	طن ٤٢٩٠ قضيب ٠٠٠ر٢٠	٠٠٠ر٢٠
٢	ايكوما	٨٣٠	فرنسية	طن ١٢٠٠	مليون ١٢
٣	صافت	٨٠٠	فرنسية	قضيب ٢٢٤٠	٠٠٠ر٩٧٥ر٦
٨	مافاكو	٤٨٩	فرنسية	طن ١٣٠٠	٠٠٠ر٤٤٧ر٧
١٣	فيلروك	٣٠٠	فرنسية	« « «	مليون ٣
١٥	ماكينا	٢٠٠	فرنسية	« « «	٥٠٠ر٢١٧
١٦	ايطكس	١٨٠	فرنسية	قضيب ٧٠٠٠	مليون ٥
١٧	فيلاسري	١٥٠	فرنسية	طن ١٠٠٠	٠٠٠ر٣٠٠ر٤
٢٢	ماتيسوا	٤٥	لبنان	متر ٠٠٠ر٧٠	٠٠٠ر٢٥٠٠ر١
٢٣	نسيج المغرب	٣٥	جزائري	طن ١٠٠	٠٠٠ر٤٥
	١٠ شركات	٠٢٩ر٤	٧ فرنسيون ٣ عرب	متر ٢٥٠٠ طن ٤٥٠ر١٠ قضيب ٢٤٠ر٢٩	٥٠٠ر٢٨٤ر٤٠
	٢٨ شركة	٦١٩ر٩	« « «	طن ٣١٠ر٢٨ قضيب ٢٤٠ر٢٩	٠٠٠ر٦٣٥ر٩١
أكثر من ثلث شركات النسيج مراقبة من طرف الاجانب		أكثر من ٤٠٪ عمال النسيج يعملون في هذه الـ١٠ شركات أجنبية		ان المنسوجات هي احتكار لهذه الشركات الاجنبية العشـر أكثر من ٣٥٪ من انتاج الغزل من انتاج هذه الشركات العشر	ما يقرب من ٤٥٪ من رأس المال محتكر من طرف هذه الشركات العشـر

ملاحظة : انه من الصعب حساب الانتاج الكلي بالمتر، وذلك نظرا للصعوبات في الحصول على معلومات دقيقة حول هذا النشاط في النسيج ٠

الجدول رقم ٤ ـ يلخص الاضرابات في قطاع النسيـج منذ ١٥ اكتوبر ١٩٧١

التاريخ	المعمـل	المدينـة	عدد العمال المضربين	طول مدة الاضراب	مطالب العمال
١٥ اكتوبر	فيلروك صافط	الرباط الرباط	١٠٠٠	٧٢ ساعة	
١٥ اكتوبر	بريطكس	بنسليمان	١٧٠	٤ أيـام	ضد طرد ممثلين للعمال
١٧ اكتوبر	نورافريكا	تطوان	١٥٠	٤٨ ساعـة	
٢٥ اكتوبر	كوفيتطكس	فـاس	٦٠٠	٧ أيـام	الزيادة في الاجـور
١ دجنبر	نسيج المغرب	فـاس	٣٠٠	أول يوم للاضراب	
٥ دجنبر	منياطكستيل ساطفيلاج	طنجـة	١٥٠٠ ٣٠٠	أربعة أيام	رفع الاجور ، تحسين ظروف العمل تدخل الشرطة واعتقال ١٩ عاملا
	سيـف		٣٠٠		
	نورطيكس	البيضاء		١٥ أيام	
١٠ دجنبر	ايكومـا	المحمدية	٨٣٠	٢٤ ساعة	مساندة المكتب النقابي الذي رفض المدير استقباله
١٥ دجنبر	منياطكستيل	طنجـة	٣٠٠	٦ أيـام	لازال الاضراب مستمرا ولنفـس المطالـب
١٦ دجنبر	نسيج المغرب	فـاس	٣٠٠	١٦ يوما	لازال الاضراب مستمرا
	١١ معملا	٧ مـدن	٥١٥٠ عامل في حالة اضراب	٥٠ يوما	٥٠٠ ٢٥٧ يومـا من العمل بـدون انتاج في قطاع النسيج وبدون أجرة بالنسبة للعمـال ٠

المصدر : مغرب انفورماسيون من ١٦ ـ ١٠ ـ ٧١ الى ١٦ ـ ١٢ ـ ٧١ ٠

ملاحظة حول مصادر الجداول رقم ١ ، ٢ ، ٣ : أخذت مصادر هذه الجداول حسـب النشرتيـن التـجاريتين الصادرتين في البيضاء كومباس

هل يجب تغيير «صوماكا»

احمد طارق

للسيد أحمد العلوي سمعة ثابتة لانه يحشر أنفه في كل شيء ٠

ففي الوقت الذي يبذل فيه نقابي قديم ، أصبح مؤخرا وزيرا للشغل قصارى جهده لينسي الطبقة الكادحة ، واقع أوراق الاداء ، واثمان المنتوجات صارخا على رؤوس الاشهاد بأن الزيادة في الحد الادنى للاجور تشمل الغالبية العظمى لعمال البلاد٠ نجد السيد العلوي يؤكد عكس ذلك ٠ بل أكثر من ذلك فانه يؤكد هذا كمذهب: العمال يربحون أكثر من اللازم ! ٥٠٠ درهم في الشهر ؟ يا لها من فضيحة ! ونفس هؤلاء العمال يجرؤون على طلب الزيادة في الاجور ٠ الى أين نحن نسير ؟ اذا استمر هذا الامر ، اذا امتدت هذه «العدوى» سيكون كل اقتصاد البلاد معرضا للخطر ، ألا يكون من الافضل اذن اقفال صوماكا (!)

يجب علينا أن نشكر السيد أحمد العلوي لكونه قال بصوت مرتفع ما يقوله مسيرو هذه البلاد كل يوم في هذه السهرات التي يلتقون فيها بأصدقائهم من أرباب العمل الاجانب ، وفي الاوساط الديبلوماسية ٠ المسيرون الحقيقيون يتفاهمون : البنكيون القدماء أصبحوا وزراء ، والوزراء القدامى أصبحوا رجال أبناك ٠

وهكذا يسمح لنا السيد أحمد العلوي بتحديد المسؤوليات بواسطة هذا المقال

ان تاريخ صوماكا يسجل مرحلتين : مرحلة الاوهام البورجوازية الصغيرة ، والتي أعقبتها مرحلة تواطؤ البورجوازية الكبيرة والفيودالية الجديدة مع رأس المال الاجنبي ٠

مرحلة أوهام البورجوازية الصغيرة :

غداة الاستقلال ، حصلت الشركة الفرنسية سيمكا والايطالية فياط بموجب بروتوكل على الاذن بتركيب سياراتهم بالمغرب في الاطار الاتي :

تكوين شركة تحت اسم صوماكا تضم كرأسمال ٤٠٪ من عند الشركتين المذكورتين و ٤٠٪ من رأسمال الدولة المغربية ، و ٢٠٪ من الرأسمال المغربي الخاص ، وتركب هذه الشركة بصفة خاصة ووحيدة نماذج سياراتها ، وتتمتع بامتياز تخفيض الضرائب الجمركية على العناصر المستوردة الضرورية للتركيب وحماية السوق المغربي من استراد السيارات المنافسة من الانواع الاخرى ٠

ان الاطروحة الاساسية للبورجوازيين الصغار المسؤولين عن اقتصادنا في ذلك الوقت كانت هي : انه انطلاقا من تركيب السيارات ، سيكون من الممكن حدوث تطور تدريجي في الصناعة الميكانيكية المغربية ، وبالاضافة الى هذا ، فان تركيب الرأسمال الاجتماعي لصوماكا (٦٠٪ من الرأسمال الوطني) يؤمن نظريا الاغلبية للمصالح الوطنية ٠

---

١ ـ انظر افتتاحية جريدة Le Matin بتاريخ ٣ ـ ١٢ ـ ٧١ المعنونة : هل ينبغي اقفال صوماكا ، والمضاة باسم احمد العلوي

لكن سرعان مازال هذان الوهمان ٠

أولا ٠ لان السادة الحقيقيين ليسوا شركة صوماكا ولكن الشركتين الاجنبيتين اللتين تخضع لهما ، بيد أن البورجوازيين الكبار المغاربة ، سرعان ما فهموا هذه الحقيقة ووجب عليهم أن يسايروا الرأسمال الاجنبي ٠

لم تكن لهاتين الشركتين أية مصلحة في تجزيء الانتاج بالمغرب ، بل على العكس ، عناصر السيارات كلها مستوردة ، وقد انجزت كليا ولا يبقى عمليا الا جمع القطع وتركيب العجلات والبطاريات ، وهذا هو ما يفسر كيف أن صوماكا لاتشغل الا ١٠٠٠ عامل لتغطية انتاج يبلغ ٢٠٠٠٠ سيارة في السنة ! بينما عملية الصنع الحقيقية لنفس هذا العدد من السيارات تتطلب عددا من العمال يفوق العدد الحالي بـ ٢٠ الى ٣٠ مرة ٠

وبهذا فاننا نقدم هدية ضخمة لهذه الشركات الاجنبية فهي تتوفر على سوق محمي ومضمون بتسليمها للعناصر المركبة بالسعر الرسمي ، في حين أن هذه الفائدة يجلبها سوق مماثل يعوض عادة بتخفيض جوهري يمكن أن يبلغ ٢٥٪ من سعر هذه العناصر ، هذه الهدية تمثل حاليا قيمة تعادل ٥٠ مليون درهم سنويا أي خمس مرات (٥) أكثر من كل قاعدة أجور صوماكا ٠

وعندما أخذ المسؤولون البورجوازيون الصغار عن اقتصادنا سنوات ٥٧ ـ ١٩٦٠ يكتشفون فداحة سوق المغفلين هذا حاولوا أن يتداركوا ولو جزءا من فداحة هذه الخسارة بواسط مفاوضات مع مسيري سيمكا وفياط ٠

وقد عرف الرأسمال الاجنبي من جهته أن البورجوازيين ـ الصغار المسؤولين ، قد أخذوا الوقت الضروري لتحريك الجماهير بعد الاستقلال وقد أخذ هذا الوقت في الانتهاء ، لهذا يجب أن يبحث وينتقل الى فرق أكثر مهادنة ، وهكذا استمرت المفاوضات متعثرة ، آخذة بذلك الوقت الضروري للتهيء لتغيير سياسي من هذا النوع ٠

لقد كان المسؤولون عن اقتصادنا في ذلك الوقت ضحايا أوهام المثقفين البورجوازيين الصغار في مناقشتهم للتقنية والاقتصاد مع الرأسمال الاجنبي عوض تحريك الجماهير ٠

مرحلة التواطؤات :

تبتديء هذه المرحلة في ماي ١٩٦٠ ،تحت رعاية وزير الاقتصاد الوطني لسنوات ٦٠ ـ ٦٢ ، وعضو المجلس الاداري للكتلة الوطنية اليوم ، فانفتح الباب على مصراعيه أمام مطالب الرأسمال الاجنبي ، وهكذا اقتصرت صوماكا على التركيب ٠

لكن هذه التقوية لمصالح الرأسمال الاجنبي لم تكن الا البداية ٠

والسيد احمد العلوي نفسه يعرف «شيئا» عن هذا الموضوع ففي الوقت الذي كان فيه وزيرا للصناعة امتد نظام التركيب ليشمل رونو بالنسبة للسيارات ، وفورد بالنسبة للشاحنات ، ولاندروفر بالنسبة لسيارات الاراضي الوعرة ، وعدة أنواع من الدراجات النارية !

واليوم يدعي أحمد العلوي التكلم عن مصالح الاقتصاد الوطني !

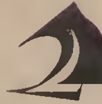
اننا نعلم أنه من غير المجدي أن نطلب من السيد العلوي ان يتحلى «بقليل من الرزانة في نفس الوقت الذي يشغل فيه منصب المدير العام لجريدة الصباح Le Matin الخلف الجديد لبوتي ماروكان Le Petit Marocain

لكن الطبقة العاملة ، والجماهير الشعبية يجب أن تعرف وهي متسلحة بالارقام أين هي مصالح الاقتصاد الوطني :

ـ فمن جهة ، تقدر زيادة ٣٠٪ في الاجور ، التي يطالب بها العمال على أساس معدل للاجور يبلغ ٥٠٠ درهم شهريا أي مجموع سنوي يقدر بـ ٠٠٠ ٨٠٠ ١ درهم (عدد العمال : ١٠٠٠ عامل !)

ـ ومن جهة أخرى ، فان الهدايا الممنوحة للشركات الاجنبية : سيمكا (والتي أصبحت شركة امريكية تحت اسم كريزلر) وفياط الايطالية وروبو الفرنسية تمثل ٥٠ مليون درهم في السنة والمؤداة بالعملات الاجنبية ۰

فالسؤال الذي يجب طرحه اذن ، والذي لايستطيع السيد أحمد العلوي طرحه طبعا ، يجب ألايكون «هل يجب اغلاق صوماكا ؟» ولكن «هل يجب تغيير صوماكا ؟» ۰ ولتغيرها ، يجب تغيير الثقل الكبير للمصالح والتواطؤات التي تجثم على كاهل صوماكا كما تجثم على كل اقتصادنا وبصفة نهائية ألا يجب في الاخير طرح هذا السؤال : «هل يجب تغيير البلاد ؟» ۰



حول اضراب عمال السكر ببني ملال والنضالات العمالية في الاقليم

محمد د ·

شن عمال معمل السكر ببني ملال اضرابا عاما غير محدود ابتداء من يوم الخميس ٢٦-١١-٧١ · وقد أصدر العمال في اليوم المذكور بلاغا يتضمن مطالبهم النقابية التي تتلخص في الزيادة في الاجور بنسبة ٣٠٪ وفي التعويض عن السكنى والترسيم · وقد شن العمال البالغ عددهم ٤٠٠ عامل اضرابا يوم الخميس لمدة ٢٤ ساعة ، ولما التزمت الادارة الصمت جددوه بـ ٧٢ ساعة ثم أعلنوا بعد ذلك اضرابا غير محدود · وقد حاولت السلطات كما حاول مدير المعمل ان يفتوا من عزيمة العمال بتحقيق بعض المطالب الثانوية بينما أصروا على أن المطالب الاساسية الاخرى لايمكن حلها الا على الصعيد الوطني · ولكن وحدة العمال الخارقة جعلتهم يرفضون كل حوار لايلبي مطالبهم الاساسية ·

نضالات اقليم بني ملال :

في الايام الاخيرة (أواخر نوفمبر - أوائل ديسمبر) اجتاحت موجة الاضرابات اقليم بني ملال ، فقد تحولت بورصة الشغل الى خلية حية · وقد اعلنت معامل الاقليم (معمل السكر ببني ملال ، معمل السكر بتادلة ، معمل القطن ببني ملال ، العمال الزراعيون في الاراضي المسترجعة بتادلة ، العمال الزراعيون بمزارع بني ملال) أنها ستخوض نضالا مشتركا اذا لم تلب المصالح المسؤولة مطالبها · واصدر المكتب المحلي للاتحاد المغربي للشغل بلاغا يتضمن مطالب العمال ، كما أعلن البلاغ شن اضراب انذاري ابتداء من يوم ٢٥-١١-٧١ · ولكن حدث أن استدعت السلطات المحلية جميع ممثلي العمال وناقشت معهم الوضعية · وخلال هذا الاجتماع ظهر تراجع الكاتب العام الجهوي للاتحاد المغربي للشغل ببني ملال ، ولم يقتصر الامر على ذلك بل تراجعت أغلب المؤسسات في انتظار ما سيسفر عنه الحوار · الا أن معمل السكر ببني ملال أصر على موقفه وشن الاضراب ، وفي نفس الوقت ، شن العمال الزراعيون الاضراب ·

ان مايميز وضعية اقليم بني ملال هو :

١) وحدة العمال الصناعيين والعمال الزراعيين (الفلاحين الفقراء)

٢) القيادة الطليعية لنضالات العمال ·

٣) الوعي السياسي للطبقة العاملة

ان للمنطقة ماض في النضالات التحررية ضد الاستعمار · كما أن الصناعة هنا حديثة العهد والعمال جلهم من الشباب (أكثر من ٩٠٪) وجلهم يتمتعون بمستوى دراسي متوسط الى جانب فقرهم ·

موقف البيروقراطية النقابية :

فور علم القيادة المركزية للاتحاد المغربي للشغل بالاضراب اللامحدود الذي تم دون موافقتها (موقف المسؤول الجهوي التراجعي) ، أرسلت لجنة تتكون من

اربعة أفراد الى بني ملال · وقد حاولوا خلال هذه الفترة أن يقنعوا العمال عن طريق الحوار مع الادارة بالتراجع ، وكانت جل تدخلاتهم ترتكز على نقطتين :

١) الامتثال داخل المنظمة

٢) مهاجمة «الفوضوية»

ولقد أدهشتهم بالفعل عزيمة العمال ووحدتهم ثم تضامن العمال الفلاحيين وأخيرا وعي العمال السياسي المرتفع · وكانت تدخلات العمال تدخلات ثورية ، فقد حاول أحد أعضاء اللجنة الحديث عن ماركس ولينين وستالين الا أنهم أوقفوه بقولهم : أمامنا مشكل واقعي ، أمامنا واقع · فلنحلله اذن · كما هاجم أحد العمال أحد أعضاء اللجنة الذي ارتكب خطأ فادحا حين قال : ان الفلاح حين يعود الى منزله ويشاهد التلفزيون ··· ولم يتركوه يكمل حديثه فقد قهقه الجميع وكانت قهقهة الفلاحين مؤثرة جدا · واثر تهجم هذه اللجنة بطريقة غير مباشرة على ممثل العمال الحقيقي قاطعوه : ان ما يصيب ممثلنا يصيبنا جميعا ، اننا مستعدون لبيع كل ما نملك من أجله ·

خلاصة :

ان عمال معمل السكر ببني ملال خاضوا نضالا طليعيا · وان صمودهم أمام مناورات المسؤولين وتخادل البيروقراطيين لاكبر دليل على أن الطبقة العاملة هنا وكما هو الشأن بالنسبة للقطاعات العمالية الطليعية في المناطق الاخرى قد وعت وعيا هاما بقوتها وبجميع أنواع الاستغلال التي تعاني منها وبضرورة النضال من أجل ازالة هذا الاستغلال ومواجهة البيروقراطية التي استولت على قيادة منظمة الطبقة العاملة الوحيدة والعتيدة : الاتحاد المغربي للشغل ·





موضوعات في الخط العام لنضال الطبقة العاملة

ناوري حسن

في هذا العرض الذي حاولنا فيه اعطاء وجهة نظر في القضايا التي تهم الخط العام لنضال البروليتاريا ، والتي يدور حولها نقاش عريض وسط كل المثقفين الطليعيين ، وهم يواجهون مهام المستقبل ، بعدما اتضح لهم هزيمة التجربة الماضية الاصلاحية · قسمنا هذا العرض الى المواضيع التالية ، على أمل أن نستكمل النقاش فيها بتفصيل أوسع :

أ) النضال التحرري والديمقراطي
ب) النضال القومي الوحدوي ·
ج) الطبقة العاملة هي الطليعة
د) الجبهة الثورية ·
هـ) النضال الاصلاحي والنضال الثوري ·
و) النضال النقابي والسياسي

ولقد قسمنا هذه المواضيع الى عدة موضوعات مرتبة ومسلسلة ، تأخذ كل منها أهميتها الخاصة والمستلقة ضمن المفهوم العام ·

أ ـ النضال التحرري والديمقراطي

1

كل العمال يدركون بالملموس فشل الاستقلال الشكلي الذي أحرز عليه المغرب في سنة ١٩٥٦ ·

لان الثورة التي أطلقت شرارتها المقاومة وجيش التحرير ، لم تستمر حتى الاطاحة بكل مقومات السيطرة الامبريالية والاقطاعية أو بعبارة أخرى ، لم تندمج الثورة التحريرية السياسية بالثورة الاجتماعية في استراتيجية واحدة ، كما هو الشأن في الثورة الصينية أو الفيتنامية أو الكورية ·

لقد اجهضت الثورة اذن ، وهي لازالت في المهد ، بمساومات ايكس ـ ليبان السيئة الذكر ، في وقت بدأت فيه الحركة الوطنية التحررية تطل على هذه الافاق الجذرية ، بعد النهوض القوي للطبقة العاملة والفلاحين الفقراء والمعدمين وجماهير البورجوازية الصغرى ، والتي انتظمت جميعها في القوى الجذرية المتمثلة

في المقاومة وجيش التحرير ، أو في المنظمات الجماهيرية كالاتحاد المغربي للشغل وجمعية طلبة شمال افريقيا · وفي الوقت الذي انتقلت فيه الثورة من الاسلوب السياسي البورجوازي السلمي الى أسلوب الكفاح المسلح ضد الاستعمار الدخيل ، وهي تعانق آنئذ ، امتداد الثورة في جميع بلدان المغرب العربي ، وفي الوقت بالذات ، الذي بدأت فيه البورجوازية المتوسطة والعليا والجزء الوطني من الاقطاع ، يفقدون سيطرتهم على الوضع بسبب هذه التحولات الطبقية والسياسية التي سبق ذكرها ·

بيد أن الاستعمار أدرك بعمق عاقبة هذه التحولات ونتائجها المحتملة على سيطرة الامبريالية ، فعجل بالاستقلال الشكلي قبل أن ينضج التيار المقاوم الوليد ، وقبل أن تفقد الطبقات التقليدية والمستعدة للتعاون مع الاستعمار الجديد كل تمثيليتها الوطنية وزعامتها على الحركة التحريرية ·

- 2 -

لقد كان من المفروض أن يأخذ الحزب الشيوعي المغربي دوره الطليعي في الحركة الوطنية الثورية ، بحكم أنه الممثل النظري ، على الاقل ، للطبقة العاملة ، الاكثر جذرية وطموحا في الثورة الى النهاية ، الا أن تخلف الحزب الشيوعي عن ادراك القيمة الثورية للمسألة الوطنية ، واهتمامه أساسا بتراكم الاصلاحات في ظل الاستعمار ، تعلقا بامال يعقدها على نهوض البروليتاريا الاوروبية ، واهماله الكامل لدور الفلاحين المغاربة كقاعدة واسعة للثورة · كل هذه العوامل ، وغيرها ، فسحت المجال واسعا لانفراد البورجوازية الوطنية بقيادة الحركة التحررية ، وبالتالي لمساومتها على ظهر هذه الحركة ، حفاظا على مصالحها للانانية الضيقة · فأمسى الحزب الشيوعي غير قادر على تجاوز معضلة تركيبه البورجوازي الصغير القليل الاهمية والمعزول بصفة واضحة عن الحركة الجماهيرية الواسعة ، والذيلي سياسيا وايديولوجيا للحركة الوطنية البورجوازية ·

ليس من الصحيح أن نقوم بمفاضلة مصطنعة وخارجة عن الاطار التاريخي نفسه ، بين العوامل الموضوعية لتخلف الحزب الشيوعي المغربي والعامل الذاتي الناتج عن خطه وممارسته · ليس من الصحيح أن نبرر عجزه عن قيادة الحركة الوطنية في وقتها بل وفيما بعد ، وانعزاله عنها بحداثة الطبقة العاملة ، وضعفها الكمي والكيفي ، أو بسيطرة أساليب انتاج ما قبل الرأسمالية ، بكل ما تحمله هذه الاساليب من مخلفات ايديولوجية وسياسية ترشح قيادة الاقطاع في هذين المجالين ، لان مثل هذا التبرير يسقط من حسابه الدور الذاتي للحزب الشيوعي، ويغفل عن اخطاءه السياسية والكفاحية · وانما النقد الصحيح والواقعي هو بالتحديد ، كون الحزب الشيوعي لم يستعمل الماركسية ـ اللينينية كمرشد للعمل حتى يتسنى له فهم وهضم كل الابعاد الثورية للمسألة الوطنية ، وخصائصها الفريدة التي تميزها عن التجارب الاخرى ، ومن ثم المشاركة ، ان لم تكن القيادة ، كما فعلت الاحزاب الشيوعية الاخرى ، وفي أوضاع شبيهة الى حد كبير بأوضاعنا الوطنية ·

– 3 –

من استفاد من الاستقلال الشكلي ؟ وهل تغيرت الوضعية جوهريا عما كانت عليه في عهد الاستعمار التقليدي المباشر ؟ قد نكون بغير حاجة الى القول بأن الامبريالية هي التي لازالت مسيطرة بشكل مباشر أو **غير مباشر على كل مقدراتنا الاقتصادية الوطنية** ، فمن الابناك الى المناجم والتجارة الخارجية وجزء من التجارة الداخلية ، الى المساعدات التقنية الباهضة التكاليف والقروض المشروطة والمثقلة ··· الخ · أما

الوجه الغير مباشر لهذه السيطرة ، فهو الحفاظ على المغرب في دائرة منطقة التخلف ، أي بالذات في ظل علاقات الانتاج الامبريالية الدولية ، التي تبقى على البلد التابع كمنتج للمواد الخام وبعض المواد الاستهلاكية ، ومستورد كبير للمواد المصنوعة من الدول الامبريالية ، حيث تنخفض أثمان المواد الاساسية الخام والمواد الزراعية ، وترتفع باستمرار أثمان المواد المصنعة وآلات التجهيز الامبريالية ·

والتغيير الوحيد الذي له قيمته السياسية هو أن الوجود الاستعماري أصبح يعتمد أساسا على طبقات محلية وجهاز دولة «وطني» بدل ما كان يعتمد عليه في الماضي من وجود عسكري مباشر واحتكار شبه تام لخيرات الوطن · ولهذا التغيير أهمية سياسية كبرى ، هي أن الصراع ضد الامبريالية ، أمسى صراعا طبقيا بين الجماهير الكادحة من جهة ، والطبقات العميلة من جهة أخرى ، وبهذا القدر تاخر النضال الوطني بالمعنى السافر للكلمة ، خلف النضال الطبقي ، بمعناه المطلق ·

ان هذا الوضع الجديد غير من أدوار كل الطبقات ، ونسبة العلاقة فيما بينها ، عما كانت عليه قبل الاستقلال الشكلي ، فلقد كسبت الامبريالية بجانبها فئات وطبقات كانت الى عشية الاستقلال تواجه الاستعمار المباشر · كما أن الامبريالية ضمنت حياد فئا توطبقات أخرى ، استفادت أو تستفيد جزئيا من النظام القائم ومن ثمرات الاستقلال السياسي الشكلي

أما الطبقات التي هي بجانب الاستعمار الجديد ، والحليف الدائم له ، فهي طبقة الملاكين الكبار ، الراسماليون الجدد او الاقطاعيون القدامى ، والبورجوازية العليا الكمبرادورية والبيروقراطية الادارية والعسكرية ، والوسطاء المحليون للراسمال الاجنبي ·

اذا كان هذا هو العدو الرئيسي الذي يواجه الطبقة العاملة ومجموع الشعب ، فمعناه أن القضايا التي كانت تناضل من أجلها الطبقة العاملة لم تتغير في الجوهر ، بل ان استمرار السيطرة الامبريالية لم يزدها الا تعقدا وتأزما مع تقدم الزمن ·

أما الطبقات التي استفادت جزئيا من الاستقلال السياسي الشكلي ، فهي بالدرجة الاولى البورجوازية الوسطى التي وسعت نفوذها الاقتصادي بما يسمح لها به النظام والامبريالية ، وخاصة في المرحلة الاولى من الاستقلال ، وذلك في قطاع الخدمات وبعض الصناعات التحويلية والفلاحة ، بينما استفادت البورجوازية الصغرى ، هي الاخرى ، من الاستقلال السياسي الشكلي، بتوسيع قاعدتها الاجتماعية على اثر مغربة الادارة والدولة خاصة ، الا أن فئاتها المنتجة تضررت «الصناع التقليديون ، والتجار الصغار ، والفلاحون المتوسطون»· تلك هي الطبقات المستفيدة الى حد ما من النظام في مراحل سابقة والتي قادت حركة المعارضة ، ولعبت دورا اصلاحيا معرقلا لنمو الصراع الطبقي في اتجاه ثوري ·

البعض يبتهج للدور الذي سلكته الدولة فيما بعد ١٩٦٤ ، وهذا الابتهاج الموضوع تحت تاثيرات مفاهيم ايديولوجية تحريفية ، يقوم على أن توسيع العلاقات الرأسمالية في البادية خاصة والاتجاه في حسن الاحوال نحو احداث صناعات «وطنية» خفيفة ، أما في ميدان الصناعة التحويلية الزراعية أو في ميدان بعض الصناعات التركيبية ·· أو باختصار توسيع العلاقات الرأسمالية على حساب الاقطاعية القديمة التقليدية والفروع المرتبطة بها تجاريا وصناعياً ، هو تقدم ايجابي، يجب الدفع به الى الامام ، لانه يعطي أساسا موضوعيا لنمو راسمالية وطنية مغربية ، وطبقة عاملة موسعة ،

حالما تجد هذه الرأسمالية المغربية نفسها في تناقض مع المصالح الامبريالية بعد أن تنمو وتتوسع الى الحد الكافي . ويستخلص هذا الاتجاه الاهمية القصوى لغلبة النضال السياسي الاصلاحي في هذه المرحلة على النضال الثوري الجذري مادامت المرحلة لم تستكمل أو تستنفذ كل طاقاتها التقدمية الايجابية . ان هذا الاتجاه التنظيري ـ السياسي ، لايضع في منطلقاته «الرأسمالية» مادامت فيغير مصلحةالشعب، حتى ندفع للامبريالية ، وأشكالها الجديدة ، ولا المميزات الخاصة بالنظام التبعي الرأسمالي التي لاتشبه مطلقاً النظام الرأسمالي البورجوازي الاوروبي ، وبالتالي لايدرك حدود هذه الاصلاحات ، ولا يجهد نفسه في الجواب عن الاسئلة التالية :

لمصلحة من تقع او ستقع هذه التحولات الرأسمالية ، وعلى حساب من ستتطور ؟

وهل من الضروري تاريخيا اجتياز هذه المرحلة «الرأسمالية» مادامت في غير مصلحة الشعب، حتى ندفع بها الى الامام ، أو نغلب النضال الاصلاحي على النضال الثوري بسببها ؟ أليس بمقدور البروليتاريا ومجموع الشعب الكادح ، أن يقطع الطريق على هذا التحول الذي سيرسخ التبعية للامبريالية ، ويعطي بدله نموذجا ثوريا متقدما وضروري تاريخيا ؟

لايعني ذلك أن علينا اغفال هذه التحولات والتدقيق في العلاقات الطبقية الجديدة التي تخلقها ، والظروف السياسية الناشئة عنها ، ولكن ما نحن ضده هو تبرير هذه المرحلة كضرورة تاريخية ، واستخلاص خط سياسي يميني ، يخدم موضوعيا المصالح الامبريالية والبورجوازية الحاكمة ، بدل أن يعتمد وينطلق من الاسس الموضوعية التي سيفجرها لاستنهاض الطبقة العاملة وحلفائها نحو التغيير الجذري الديمقراطي ـ الوطني ، الذي من شانه قطع كل الصلات مع الامبريالية، وينهي كل ألوان التبعية لها سواء المباشرة أو غير المباشرة .

- 4 -

فما هو الحظ العام الذي تناضل من أجله البروليتاريا؟

أ ـ ان كل المجهود النضالي للطبقة العاملة ينصب في مجرى هدفها التاريخي الاقصى الذي هو بناء الاشتراكية بكأمل خصائصها ونوعيتها ، حيث ينعدم استغلال الانسان لاخيه الانسان ، بانعدام الطبقات وزوال أساسها الموضوعي في امتلاك وسائل الانتاج التي ستعود في ملكية المجتمع بأسره .

نظام تنمحي فيه الفروقات بين المدينة والبادية ، وبين العمل الفكري والعمل اليدوي ، وتزول فيه الحاجة الى الدولة كضابط طبقي لفرض نظام الطبقة الحاكمة ، ويستعاض عنها بالتسيير المباشر والذاتي للكومونات الانتاجية الشعبية .

وفي النهاية يتحرر الانسان من العبودية الاقتصادية وضغوطها ، بتحقيق وفرة الانتاج واستخدام منجزات العلم على أوسع نطاق ، كما يتحرر فيه الانسان من كل أنواع الاستيلابات الفكرية التي تبتز حريته وشخصيته الانسانية .. وبكلمة ، نظام يكف فيه الصراع الطبقي بكل أنواع اضطهاداته واستيلاباته ، أن يكون هو المحرك للتاريخ الانساني .

وهذا المشروع التاريخي العظيم يخرج عن اختصاصات البروليتاريا المغربية وحدها ، لان امكانياته الموضوعية والذاتية لن تتحقق الا بنضال البروليتاريا العالمية ، وبنفس النطاق العالمي ، عبر تحالفها المتين في جبهة ثورية ضد الامبريالية والاشتراكيات المزيفة والانظمة الوسطية أو التبعية المتخلفة .

هذا المشروع التاريخي العظيم اذن ، يدخل ضمن التناقض العالمي بين الرأسمال والعمل ، وضمن جدلية التضامن الاممي البروليتاري بين كل أنواع نضالات البروليتاريا ، وبمختلف أوطانها المحدودة ، ومراحلها التاريخية المعينة ٠

ب ـ ان البروليتاريا تضع أمامها هدفا استراتيجيا واحدا وهو تحقيق الاشتراكية في مرحلتها الدنيا ، أي كمرحلة انتقالية نحو هدفها التاريخي العظيم لتثبيت النظام الاشتراكي الكامل مع مجموع البروليتاريا العالمية ٠

وحتى تصل البروليتاريا الى هذا الهدف الاستراتيجي، لابد لها أن تحقق بضربات جذرية ، جملة خطوات حاسمة ذات مضمون ديمقراطي وطني ، تنطلق منها البروليتاريا نحو تحقيق الاشتراكية الدنيا ٠٠٠

ولابد للبروليتاريا المغربية ، حتى تضمن النجاح في نظامها الاشتراكي المقبل ، أن تضعه ضمن الافاق الرحبة والثورية للوحدة العربية ، التي تعطيها الامكانيات الاقتصادية والسياسية ، كأساس متين للافلات من الحصار الامبريالي الاقتصادي والسياسي ، والاعتماد على النفس ، أي على طاقة الامة العربية ، لبناء المجتمع الاشتراكي ٠

من خصائص هذا النضال الديمقراطي الوطني ذي الآفاق الاشتراكية ، أنه يتضمن ما يلي :

ـ جهاز دولة جديد ، مبني على أنقاض الجهاز الاستعماري الاقطاعي البيروقراطي القديم ، وعلى أساس تحالف الطبقات الوطنية تحت قيادة البروليتاريا ٠

ـ قطاع عام قوي يشمل كل القطاعات التي كانت تحتكرها الامبريالية وحلفاؤها المحليون ، ومتجه نحو التصنيع الثقيل والخروج من حلبة التخلف ٠

ـ اصلاح زراعي جذري متفتح على اقامة نظام تعاوني في جميع القطاعات المتصلة بالانتاج الفلاحي ٠

ـ تعميم القطاع التعاوني في التجارة والاستهلاك ٠

ـ ثورة ثقافية ، تهدم كل الكيان الايديولوجي والثقافي للفكر الاقطاعي والبورجوازي والاستعماري ، ومحورها تعليم علمي وعلماني ، مرتبط بالانتاج والتطور الاشتراكي ، مع تثقيف مجموع الجماهير الشعبية بهذا المضمون التحرري ـ الاشتراكي ٠

ـ طبقة عاملة منظمة وطليعية وبتحالف قوي مع الفلاحين الفقراء لضمان الاستمرار نحو الثورة الاشتراكية ٠

حـ ـ من هنا يجب فضح الزيف الاشتراكي في برامج الحركات الاصلاحية والتي تدعي أن برامجها ، أما أنها الاشتراكية الحقة التي تنسجم والواقع الوطني ، أو أنها التعادلية التي قال عنها أصحابها «انها فوق الاشتراكية» وتستمد أصالتها من التراث الاسلامي ٠

وبغض النظر عن المنطلقات الايديولوجية ، التي هي في البرنامج «التقدمي» تنبع من تجريبية ذات أساس اقتصادي اصلاحي بورجوازي ؛ أو كما هي في البرنامج «التعادلي» تنطلق من الاخلاق في الاقتصاد والغيبيات في الايديولوجية ٠

وبغض النظر عن الخط السياسي الذي يمسك بنود البرنامج الاقتصادي والذي هو في الحالتين خط اصلاحي ، يضع كل هذه البرامج على الرف أو في أحسن الاحوال ، يفرض عليها أن تنكمش في الحدود التي يسمح بها النظام القائم ٠

فبغض النظر عن هذه أو تلك ، فان البرنامج الذي تقدمه الاصلاحية لايعدو اصلاح النظام الرأسمالي دون أن يهدم أساسه التبعي ٠ أو هو لايرمي الى أكثر من

تحسينه بالقدر الذي يفيد البورجوازية المتوسطة وجـزء من البورجوازية الصغرى ، فعلا ، تلتقي أجزاء مـن البرنامج البروليتاري ، مع أجزاء مقابلة له في البرنامج الاصلاحي ، من الوجهة الاقتصادية ، وبالذات فـي «المطالب» أو الحلول التي يقدمـها الطرفان ، لمحاربـة الاستعمار والاقطاع ، «رغم غموض البرنامج الاصلاحي حتى في هذا المجال» الا أن الخلاف بين البرنامجيين ، خلاف سياسي أساسا • وحتى نوضح علينا أن نحـدد المباديء التي يقوم عليها البرنامج البروليتاري :

- ان المباديء المتفق عليها في البرنامجين (الاصلاح الزراعي + تاميم كل المرافق الاقتصادية للامبريالية••) هي اصلاحات تهم كا الطبقات الوطنية ، وهـي عنـد البروليتاريا خطوة أولى وحسب نحو الانتقال أو تعميق السمة الاشتراكية للنظام الجديد •

وحتـى يتحقق ذلك لابد أن يتم تحويل جهاز الدولـة لصالح قيادة البروليتاريا • فهو اذن برنامج غير مطلبي، بل برنامج كفاحي مربوط بدرجة نضالية كفاح الجماهير، ويهتم بإذكاء كفاحيتها الى نهايته القصوى •

كما أن البروليتاريا تحرص أن يتم هذا التحول بجذرية كاملة وبدون أدنى تنازل للامبريالية أو الطبقات المرتبطة بهـا •

- وحالما تحقـق البروليتاريا هـذه الخطـوات الديمقراطية ، فانها لن تنفض يدها من الصراع الطبقي، بدعوى أن تلك هي «العدالة الاجتماعية» بـل ستستمـر في حل التناقضات الجديدة عملا بمبدأ الثورة المتصلة ، وبتحالف مع الفلاحين الفقـراء لتحقـيق الاشتراكيـة والقضاء على الرأسماليـة •

وبعبارة أدق ، وأقرب الى فهـم البورجـوازيين ، أن البروليتاريا بتحالفها مع الفلاحين الفقراء ، ستضع أمام عينيها تكسير الحلقة المفرغة ، التي تبتغي البورجوازية أن تضع فيه الدولة من وراء تصفية الاقطاع والوجـود الاستعماري ، بأن يخدم القطاع العام نمـو الرأسمال الوطني في تناسق وانسجام معه ، كما هو الحال فـي عـدة تجارب عربيـة •

وعلى هذا الاساس تميز البروليتاريا بين النضـال الديمقراطي الوطني والنضـال الاشتراكي ، وتضـع الاول في المقدمة مادام العـدو الرئيسي هو الامبرياليـة والطبقات الحليفة الحاكمة ، الا أنها لاتضع سورا بينـه وبين هدفها الاستراتيجي ألا وهو تحقيق الاشتراكيـة في جميع مرافق الحياة الاقتصادية والفكرية •

ب ـ النضال القومي الوحدوي

5

في الماضي كانت الكيانات الاقليمية الثابتة ، حتى في ظل بعض الامبراطوريات التي حكمت البلاد العربيـة أو أجزاء منها ، يندمج أساسها ضمن أسلوب الانتـاج الاقطاعي الشرقي ، حيث ينعدم التفاعل الاقتصادي بين الاطراف العربية ، ويسيطر عليها الاقتصاد المغلق • بينما التجزئة العربية اليوم ، القديمة والمصطنعة مـن طرف الاستعمار تدخل مباشرة في مقومات التبعيـة للامبريالية ، وقاعدتها الاساسية لاستنزاف طاقات الامة العربية ، الاقتصادية والسياسية • ولهذا ، فان الثورة العربيـة القومـية ، هـي ثـورة بكـل معنى الكلمـة العلمي ، موجهة ضد الامبريالية وكل الطبقات الاجتماعية الملتصقة مصالحها بالتجزئة الاقليمية •

ومن الخطأ أن نقف عند حدود مواقف البورجوازيين الصغار القوميين والمتمركسين ، الذين أكدوا ، بحـق ،

على أن الثورة العربية ، أو معضلة التجزئة هي أساس موضوعي لاقتصاديات التبعية للامبريالية ، وبالتالي فان القومية العربية هي ثورة تحررية ضد الامبريالية ٠ الا أنهم بحكم ايديولوجيتهم السابقة وانتماءاتهم السياسية لم يستطيعوا أن يستوعبوا هذا القانون العام، والصحيح في حد ذاته ، ضمن جدلية الصراع الطبقي الملموس على امتداد الوطن العربي ٠ ولهذا ، عجزوا بعدما استنفدت بورجوازية الدولة طاقتها التقدمية أن يستوعبوا القيادة الجديدة للثورة العربية التي هي قيادة البروليتاريا ٠ وهكذا ، كرروا من جديد كل المفاهيم السابقة المثالية عن القومية المجردة ، ولو بصيغة ماركسية ، لكن بمضامين بورجوازية قديمة ٠ فلئن كان هذا القانون العام صحيحاً ، وهو أن التجزئة أساس موضوعي للتبعية الامبريالية ، فان قيادات طبقية وانظمة عربية مختلفة نمت على نفس أرضية هذا القانون العام ، ولكن سماتها العامة ، أنها كانت عاجزة في الواقع عن تحقيق الوحدة العربية المنشودة ، ويجد هذا العجز انعكاسه الحسابي أو المادي في ضعف المصالح الاقتصادية المتبادلة بين مختلف الانظمة العربية ، وفشل السوق العربية الموحدة ، بل وفشل الهيكل السياسي الوحيد الذي هو الجامعة العربية ٠

وقد كان يبدو أن البورجوازية الصغرى التي حملت الشعار بحماس ، وقامت فئاتها العسكرية بثورات متعددة ، أنها قادرة على تحقيق هذا الحلم العربي ٠ الا أنها عجزت هي الاخرى ، وكسابقاتها ، عن تحقيق هذا المطلب الشعبي الجماهيري ، والذي ركزت على أساسه حكمها ٠ وذلك بسبب تبعية بورجوازية الدولة للسوق الامبريالية ، ونمو مصالح جديدة على ظهر الدولة لفئاتها البيروقراطية ٠ ولهذا لم يعد تاريخيا ، أمام فشل بورجوازية الدولة الا قيادة البروليتاريا ، التي لا مصلحة لها مطلقا في الدولة الاقليمية ، والقادرة فعلا على الانفلات من قبضة الامبريالية ٠٠ ذلك هو المضمون الجديد للثورة العربية والذي زكته خاصة هزيمة ٦٧ ٠

ويمكن أن نستخلص مما سبق ، **أن تلازم النضال التقدمي الديمقراطي ـ الوطني ـ الاشتراكي بالنضال القومي ، هو الاساس الموضوعي لتقدمية النضال القومي ، وأن انفصالهما ، يسقط النضال القومي لامحالة في مستنقع الرجعية ، بالهاء الجماهير ، وتكبيل طاقتها** الثورية ٠٠ هكذا الحال مثلا مع الاتحاد **الثلاثي او الرباعي الجديد** ، الذي تحول الى أداة لضرب القوى الثورية وتكريس الهزيمة، وتكبيل نمو الصراع في المنطقة العربية ٠ **وفي مثل هذه الحال ، على القوى الثورية أن تشق طريقها الثوري الخاص نحو الوحدة الثورية والثورة الاجتماعية معا ،ذلك وكما أوضحنا ، بأن تلازم النضالين هو المعيار الوحيد والاساسي لتقدمية النضال القومي وثوريته ٠ اذن فالقومية العربية، هي تشكيلة عليا للصراع الطبقي ، وتركيب جدلي أوسع لصراع الانظمة والطبقات** ٠ ولئن كانت الثورة القومية **ثورة تحررية من الامبريالية** ، وأن التجزئة العربية **أساسها الموضوعي** وقاعدتها المثلى للتبعية الاقتصادية **والسياسية ، فان الثورة العربية تأخذ مضمونها الطبقي مع تطور الثورة ، أي أن قيادتها تتجدد باستمرار مع نمو الثورة** ، أي مع تلازم النضال الطبقي والنضال **القومي ، لان العلاقات الامبريالية أوسع واشمل من البنيات التقليدية ، بل وفي مقدرتها استيعاب حتى البنيات الجديدة الوسطية التي لها صبغة تقدمية في مرحلة ما من مراحل النضال ضد الامبريالية** ٠

6

أمـا بورجوازيتنا الاصلاحية ، الاقليمية في العمق ، فانها أكدت في آخـر مبتكراتها التقدمية على ما يسمـى باقتصاد الابعاد الكبرى ، حيث أن حل مشكل التخلف ـ الذي هو في نظرها مشكل حسابي عن الدخل الفردي و ٠٠ و ٠٠ الـخ ـ ، وبناء الاشتراكية «فـي نظـر الجنـاح المتقدم من الاصلاحية» لايمكن أن يتم بالسرعة المطلوبـة الا في اطار الاقتصاد الموسع للامة العربية ٠ وخاصـة كما تشهد الاصلاحية نفسها ، بأن اتجاه الدول الاوروبية يسير في طريق التوحيد «الما فوق قومي» ٠

ولئـن كان هـذا الجانب من الاقتصاد الابعاد الكبرى صحيحا كل الصحة ، فان عزله عن الاوضاع التاريخية والنمط الاجتماعي لمختلف الانظمة العربية ، يؤدي فـي الـواقع الـى سياسـة مطـلبية محافـظـة ، تناشـد الـدول العربية في نهايـة الامر بالتنسيـق الاقتصادي المتدرج وصولا الى الوحدة السياسية ٠٠ هذه المناشدة التي اثبتت فشلها في الواقع العملي بعد عدة تجارب من هـذا القبيل ، لتناقض المصالح بين الانظمـة العربيـة وارتباطها جميعا بالسوق الرأسمالية ٠

أما الموقف السياسي الحقيقي لاحزاب الاصلاح ، فهو اما يعارض القومية العربية باتجاه وحدوي اسلامي أو هو اتجاه براغماتي ضيـق ، لاتحكم مواقفه السياسيـة استراتيجية مبدئية ومتماسكة من الثورة العربية ؛ فهو مثلا يعارض حكم بومدين لمصلحة بنبلة ، لكنه في نفس الوقت يتحالف ولو لفترة قصيرة مع النظام البورقيبي ، ثم يمد يده بعدها الى النظام البعثي السوري اليساري ، لينتقل مرة أخرى الى البعث العراقي اليميني ، وليبيـا «الناصرية» ٠٠٠ كل هذه التنقلات العربية لايربطها أي منطق ثوري منسجم الا المصلحـة السياسيـة النفعيـة المباشـرة ٠

7

في هذه المرحلة يطرح على البروليتاريا العربية قيادة النضـال الطبقـي والقومـي معـا ٠ وفـي هـذا الطريق النضالي ، على البروليتاريا العربية أن تتحالف مع القوى الثورية والوطنية الاخرى ، وفي مقدمتهـا الفلاحون الفقراء ، وكل القوى التي لم تمتصها اصلاحات بورجوازية الدولة أو أنظمة التبعية للامبريالية وهـي الجماهير الغفيرة للبورجوازية الصغرى أساسا والفئات الثورية من البورجوازية الوطنية ، ضمن استراتيجيـة ثورية تدمج بين النضال القومي والنضال الاشتراكي ، وضمن انخراط كل القوى الثورية في جبهة ثورية علـى امتداد الوطن العربي ، وفي طليعتها الثورة الفلسطينية٠

وعلى القوى البروليتارية المغربية بالاخص أن تعيد صياغتها للمسألة القومية العربية بمنهجية علمية ورؤية طبقية ٠ وأن تضع فـي تحريضها السياسي وتربيتهـا الايديولوجية المنطلق القومي ـ الطبقي لثورتها الوطنية والقومية العربية ٠ وبذلك ستتجاوز المنطق الاقليمـي الصرف للقوى الاصلاحية ، وتتحرر من قوميتها اللفظية العمومية ٠ على أن يكون شعارها الاساسي هو «وحدة القوى الثورية العربية أولا» بدل الفصل المصطنع مـن طرف الاصلاحية ، أو التأجيل المصطنع في ربط قضايـا الثورة في المغرب العربي عن المشرق العربـي ٠

جـ ـ النضـال الاصـلاحـي والـنـضـال الـثـوري

8

البروليتاريا لاتعادي كل اصلاح ، بل هي ترغب فيـه أحيانا ، الا أن الفرق بين الاصلاح الاصلاحي ، والاصلاح الثوري ، هو أن الاول ينفس أزمات النظام ، ويجهـض

الحركة الجماهيرية الثورية ، ويشكل هدفا في حد ذاته، أو هو موضوع ضمن خط اصلاحي عام لايرمي الى أكثر من تحسين ظروف النظام وتلطيف حدة الصراع والاستغلال ، أما الثاني ، فهو ، اصلاح ثوري ، لانه يزيد من تفسخ النظام ، ويعمق تنقاضاته ، وينمي الحركة الجماهيرية ؛ فهو وسيلة ، لا أكثر ، يوظف لمصلحة التغيير الجذري ٠

وقد يشكل الاصلاح كخط عام مرحلة أولية من مراحل تطور الصراع الطبقي ٠

وفعلا ، نهضت الحركة الاصلاحية فيما بين ٥٩ ـ ٦٥ بدور تقدمي جماهيري كاسح ، حينما لم تنضج بعد الشروط السياسية (الذاتية والموضوعية) لوعي طبقي سافر ٠ بيد أن استقلال الدولة في سنة ٦٠ ثم في سنة ٦٢ عن مجموع الحركات الوطنية الاصلاحية ، وما نتج عن هذا الاستقلال من أوضاع طبقية وسياسية جديدة ، تجلت بالاخص فيحركة مارس الجماهيرية التي تجاوزت الشعارات الاصلاحية نفسها ، صار بعدها الاصلاح معرقلا ومجهضا لنمو الحركة الجماهيرية في اتجاه جذري ٠

المسألة الرئيسية في موضوع الفرق بين النضال الاصلاحي والثوري هي الموقف من السلطة ؟

ان النضال البرلماني عند البروليتاريا جزء فقط من نضالها السياسي الثوري ٠٠ لان البروليتاريا تدرك أن القانون العام لانظمة التبعية للامبريالية هو الدكتاتورية لا الديمقراطية الليبرالية ٠

فاذا كانت البرلمانات في اوربا استعملتها البورجوازيات الاوروبية الصاعدة في نضالها ضد الاقطاع من جهة، ولتنظيم السلطة فيما بينها في نظام رأسمالي حر ؛ فلانها كانت تقومبدور تقدمي تاريخيا على صعيد تطوير وسائل الانتاج باستمرار ، مهما كانت العواصف الوقتية التي كانت تذهب بهذه البرلمانات في مرحلة ما من مراحل التاريخ البورجوازي ٠

الا أن البرلمانات البورجوازية كانت تتمتع بالرسوخ والاستقرار والدوام ، بالقياس الى كل المرحلة التاريخية لسيطرة البورجوازية الرأسمالية ، وقد تعصف نهائيا أزمات جديدة بالنظام البرلماني في أوربا وأمريكا في مرحلة تفسخ الامبريالية حالما تنهض الثورة البروليتارية وتتخلص من أوهامها الاصلاحية ٠

أما في البلدان التابعة للامبريالية ، فطبيعة النظام الاقتصادي التبعي ، وعجز الطبقات الحاكمة عن تطوير القوى المنتجة ، بل لكونها طفيلية وهامشية اقتصاديا ، فان النظام البرلماني ليس هو القانون العام في تنظيم السلطة ، بل الاوتوقراطية أو العسكرية ٠ ولهذا لايصلح البرلمان كمنبر دائم للبروليتاريا للدعاية الثورية ، بله كخط استراتيجي ثابت للنضال البروليتاري ٠

9

النضال البروليتاري لايهدف الى اقامة برلمان كشكل لتنظيم السلطة ، لان البروليتاريا تدرك أن هذا النظام ، رغم شكليته الديمقراطية حتى على الصعيد السياسي ، فانه مهزوز الجذور مادام لم يستند على ديمقراطية اجتماعية اقتصادية بالاساس ٠ فالنظام الديمقراطي الذي تسعى اليه البروليتاريا هو ما يمكن أن نسميه بالمجالس الشعبية ؛ حيث تنظم السلطة من القاعدة الى القمة ، أفقيا وعموديا ، سياسيا واقتصاديا ، لمصلحة الجماهير الشعبية وتحت قيادة البروليتاريا وحزبها القائد ٠ ونظام المجالس الشعبية المبني على قاعدة المركزية الديمقراطية ، والذي له كل السلطات الاقتصادية

والسياسية والتشريعية ، والمفتوح لكل الطبقات الديمقراطية والوطنية ، حسب وضعها في الانتاج ، ونسبة دورها السياسي في الحكم ، والذي يحرم من المشاركة فيه كل الطبقات المستغلة سابقا من اقطاع وملاكين ورأسمالية عليا وغيرهم من الفئات التي اضطهدت الشعب طوال قرون ، هو الشكل الديمقراطي لتنظيم السلطة السياسية والاقتصادية بيد الجماهير الكادحة ٠

ان المجالس الشعبية هي الطريق الوحيد لممارسة الديمقراطية الثورية ، طريق الديمقراطية المباشرة للجماهير بدون وسائط ، وبدون تناقض بين السلطة السياسية والاقتصادية ، وهي الطريق لفرض دكتاتورية البروليتاريا مستقبلا ، والقاعدة لتطوير اضمحلال دور الدولة المركزي نحو كومونات شعبية لها كل السلطات ككتل انتاجية وسياسية قائمة بذاتها ٠

ان البروليتاريا تناضل حتى في المراحل الاولى من النضال التحرري ، وحتى قبل استكمال الجماهير سلطتها على مجموع الاوضاع ، تناضل من أجل زرع أشكال أولية لهذا التنظيم في قلب النظام القائم ، بأن تذكي روح المبادرة المستقلة للجماهير ، وأن توجهها نحو انتزاع حقوقها الاقتصادية والسياسية من الطبقات الحاكمة ٠ وفي هذا المد والجزر ، لهذا النضال الطويل ، الذي هو مع الجماهير واليها ، وسواء في مرحلة النضال السلبي أو الايجابي فان دور القوى الطليعية يجب أن يكون الموجه الواعي والمتماسك البنية والملتحم بالحركة الجماهيرية ٠

د ــ الطبقة العاملة هي الطليعة الثورية

10

كثيرا ما شكك في الدور الطليعي للطبقة العاملة ، اما لضعفها الكمي أو لعدم غلبة طبقة عاملة صناعية بالمعنى الحرفي الكلمة ، والتشكيك هنا ، يبتغي في نهاية الجدل ، المس بصلاحية النظرية العلمية كمرشد للعمل في الثورة المغربية ، بالحجة المملة حول «الاصالة الوطنية» أو أن الماركسية هي بنت أوربا ، لا البلدان المتخلفة ٠

ولو رجعنا الى الزمن الذي كتب فيه البيان الشيوعي، وتفحصنا العدد الكمي للبروليتاريا الاوربية حينذاك ، لوجدنا أنها لم تكن تشكل في جل بلدانها حتى النسبة التي تشكلها اليوم في بلدنا ٠ ولادركنا أن رواد الماركسية لم يطرحوا نظرية البروليتاريا بناء على الكم العددي الحالي آنئذ للبروليتاريا ، بل على الدور الطليعي الذي تلعبه في علاقات الانتاج ، والدور الذي ستأخذه عدديا وسياسيا في سياق النمو الرأسمالي، كذلك ، كان الوضع بالنسبة للطبقة العاملة الروسية التي أقامت أول دولة اشتراكية ، و' الطبقات البروليتارية في بلدان الديمقراطية الشعبية : كوريا أو الفيتنام أو الصين الشعبية ٠

نعم ، ان الطبقة العاملة قليلة الكم وحديثة العهد ، الا أن ميزتها لاتنحصر في عددها ، بل في سياق الانتاج الرأسمالي التبعي ، الذي تتمركز فيه في الصدارة ضد الوجود الامبريالي ٠ كما أن المستقبل التاريخي هو للطبقة العاملة ، عماد المجتمع الصناعي والاشتراكي المقبل ، وأساس الخروج من حلقة التخلف ٠

واذا كان من تبدل في وضعية الطبقة العاملة عنه في أوربا ، فليس في دورها الطليعي بحد ذاته ، بل في أهدافها الوسطى ضمن مراحل التطور التاريخي ، وفي كونها ليست القاعدة الرئيسية للثورة بل الجماهير الفلاحية الواسعة تحت قيادة البروليتاريا ، كما دلت

كل تجارب الثورات الديمقراطية الوطنية ·

لقد قلنا سابقا، ان البروليتاريا تواجه مهمات متراكبة ومتداخلة فيما بينها : فمن جهة ، قيادة النضال الديمقراطي الوطني ، وضمان استمراريته نحو الثورة الاشتراكية ، ومن جهة أخرى ، قيادة النضال القومي العربي التحرري ضمن آفاق اشتراكية وجبهة عربية ثورية · ومن هنا يتضح ، لماذا الحاحنا على قيادة البروليتاريا حتى في المرحلة الديمقراطية الوطنية ، لان بدون قيادتها تنتكس الثورة الى الوراء ، وفي أحسن الاحوال تنحصر في آفاق بورجوازية صغرى ، تقيم اضطهادا طبقيا جديدا في نمط بورجوازية الدولة ، حيث توفرت لها عواملها الموضوعية على الصعيد الدولي في التوازن ما بين الامبرالية والاشتراكية التحريفية ، وبالتالي هناك امكانيات اجهاض مستقبل الثورة الاشتراكي ·

وفي جميع الاحوال ، فان البروليتاريا برهنت على طلعيتها بالملموس في عدة تحركات نضالية قامت بها منذ نشأتها ، ورغم حداثتها ، كالقلب النابض الدائم للحركة الجماهيرية الثورية ·

11

يأخذ النضال الايديولوجي الواجهة الاساسية في طريق فرض زعامة البروليتارية ·

كثيرا ما استعمل الاصلاحيون موضوعة شبه طبقية «كالصراع بين الفقراء والاغنياء» بين «المستغلين والمستغلين» ··· وهذه الموضوعات التي استعملتها جل الاحزاب البورجوازية أو البورجوازية الصغرى قصد منها طمس التناقضات في صفوف «الفقراء» أو في صفوف المستغلين (بفتح اللام) أنفسهم ·

ولهذا ، تضطر البروليتاريا حفاظا على زعامتها للثورة ، أن تفرز تناقضات المصالح بين الشعب أو الجماهير المضطهدة ، وتستمر «في ظل الوحدة بين كل الطبقات الوطنية» في نضالها الايديولوجي في صفوف الجماهير المضطهدة · فالبروليتاريا رغم اقتناعها بوحدة المصالح في مرحلة معينة بين مجموع الطبقات الوطنية ، تعيد دوما فرز هذه القوى بتوضيح آفاقها وتذبذبها ، وتعيد في كل مرة ترتيبها وتركيبها لمصلحة الهدف الاشتراكي البعيد ·

في الماضي أي في عهد الاستعمار التقليدي المباشر ، كانت الايديولوجية السلفية قادرة على ضمان وحدة الشعب وتعبئته ضد المعتدي الدخيل ؛ لاحتوائها على بذرة هذا التناقض ، ولو بشكل سطحي وجنيني ، لانها تعكس تناقض القوميتين ، الظالمة والمظلومة ، الاستعمارية والمستعمرة ·

ونظرا لسطحية الطرح الديني لهذا التناقض القومي، كانت النتيجة هي ما نحن عليه اليوم من اضهاد طبقي من نفس الامةالمضطهدة ومن‌نفس الاستعمار المتستر وراءها ·

أما اليوم ، حيث تقدم الصراع الطبقي ، كشكل رئيسي ، وتخلف الصراع «الوطني» وراءه ، فان الايديولوجية السلفية ، أمست غير قادرة على استيعاب هذه التناقضات بوضوح ، ولم تعد بالتالي ايديولوجية كفاحية تجمع كل الطاقات الجماهيرية ضد الاستغلال الطبقي الجذري، بينما الايديولوجية التجريبية ، والتي متوسطة تستفيد جزئيا من النظام الحالي وتخاف الصراع الطبقي الجذري، بينما الايديولوجية التجريبية، والتي يدين بها فصيل من الاصلاح ، والرافضة مبدئيا لكل نظرية الا ما تقدمه لها التجربة المباشرة الضيقة ، فانها لم تقدم للجماهير الا بنودا اقتصادية شحيحة ، ومفصولة

عما تطمح اليه الجماهير في التحرر الشامل ، لا من الوجهة الاقتصادية وحسب ، وحتى في هذا المضمار تعجز التجريبية أن تتجاوز بعض الاصلاحات ، بل من الوجهة الفكرية والايديولوجية ، التي هي في نظام الاستغلال أدوات أخرى توظف لتكريس الاضطهاد الطبقي بتبريره نظريا وعقائديا ٠

فالايديولوجية الوحيدة القادرة على تحرير الانسان اقتصاديا وفكريا ، والمتمردة بوعي على كل بنيان الاستغلال الاقتصادي والاستلاب الفكري هي ايديولوجية الطبقة الثورية الطليعية ، نظرية الاشتراكية العلمية البروليتارية ٠

هـ ـ الجبهة الوطنية الثورية

12

في بحثنا لمهام البروليتاريا اتضح لنا ، أن هناك مراحل انتقالية يفرضها الوضع الاقتصادي للنظام التبعي للامبريالية ، فلو أن الامر في نظام رأسمالي متطور شبيه بالانظمة الاوروبية ، لكانت المهمة المطروحة بالحاح على البروليتاريا هي الثورة الاشتراكية ٠ الا أن الوضع المتخلف لقوى الانتاج والتبعية الاقتصادية والفكرية والسياسية للامبريالية ، يطرحان على البروليتاريا المغربية ، مهاما جديدة واضافية ، تجاوزتها البروليتاريا في البلدان الرأسمالية ٠

ومقدما نلح على أن الهدف الاستراتيجي للبروليتاريا هو الانتقال الى الاشتراكية في اطار وحدوي عربي ، وبدعم من الانظمة الاشتراكية المتقدمة الاخرى ٠ الا أن هذا الهدف يمر من مرحلة تكتيكية تسمى بالمرحلة الديمقراطية الوطنية ٠ هذه المرحلة هي تشخيص للتناقض الرئيسي في الصراع الطبقي ـ الوطني ، والذي تواجه فيه البروليتاريا وطبقات أخرى **العدو الرئيسي** المتمثل في التحالف الطبقي الحاكم بدعم من الامبريالية وتقتضي هذه المرحلة من البروليتاريا أن تضع في برامجها كخطوة نضالية أساسية التحالف مع هذه الطبقات المضطهدة والوطنية بدرجات متفاوتة ، وحالما تقبض البروليتاريا السلطة ، وتحقق خطواتها الديمقراطية الوطنية الاساسية سيكون لزاما عليها أن تستمر حينذاك في تفجير الثورة الاشتراكية ضد أعداء جدد ، يريدون الحفاظ على الوضع كما هو عليه أو يريدون أن يرجعوه الى الوراء ٠

وأي تحليل موضوعي وأولي لانماط الانتاج ، أو لبنية النظام ، أو لوضع كل طبقة ضمنه ، ولدورها الاقتصادي ، يرينا أن الطبقات التي من مصلحتها تغيير الوضع هي : البروليتاريا والفلاحون الفقراء والمعدمون ، والبورجوازية الصغرى ، وفئات من البورجوازية المتوسطة ٠٠ ضد الملاكين الكبار والبورجوازية العليا والبيروقراطية ثم الوجود الامبريالي ٠

ليس من شك أن هذا التقسيم العريض ، ليس كافيا لاعطاء كل ألوان التناقضات الاخرى في كل طبقة من الطبقات ؛ اما لاختلاف مواقع فئاتها في عملية الانتاج ، أو لتباين أنماط الانتاج نفسها ، بين ما هو اقطاعي أو رأسمالي أو بطريكي أو بورجوازي صغير ما قبل الرأسمالي ٠٠٠ الخ ، أو التناقض الناتج عن المصالح الآنية للطبقة ، أو لفئات منها مقابل مصلحتها البعيدة ٠

سيكون من الضروري في أي مشروع جبهوي ثوري وسديد أن يراعي مختلف هذه الاوضاع بدقة ، وفي مقدمتها أن يقدم التحليل الموضوعي لموقف البورجوازية المتوسطة الاصلاحي والانتظاري ٠

ومــع ذلك ، يمكننا أن نرســم الخطوط العريضة لاي تحالف جبهوي شــوري :

١ ـ ان المسألة المركزيــة في أي تحالــف هي الخط السياسي لمسألة السلطة ، ومادامت التحالفات توضــع فــي خــط اصلاحي ، فانــها ليست بالجبهة الثوريــة المنشودة ٠ ومن هاته النقطة بالــذات ننتقد التحالــف السياسي مع البورجوازية المتوسطة التي لازالت تأمــل في تغيير أوضاعها بغيرالطريق السياسي الجذري٠ الا أن الواقع الموضوعي للبورجوازية المتوسطة سيدفع لامحالة بأجنحة منها ، وفي شروط ثورية جديدة الى التحالــف مع القوى الطليعية ٠

٢ ـ ان التحالف معالقوى الطبقية الوطنية المضطهدة، لايعني انهاء الصراع الايديولوجي معها ، ولا يعنــي ايقاف نقدها سياسياً لتصحيح مواقفها الخاطئة ، وهذا هــو الطريق البروليتاري لكــسب قيــادة البروليتاريــا للجماهيــر ٠

٣ ـ ان الجبهة الثورية المنشودة ، جبهــة كفاحية ، أي أن لها «سلطة» تنظيمية على الجماهير ، بما سيكون لها من تنظيمات قاعدية مــزروعة ومندمجة بالحركــة الجماهيرية حتى تتمكن الجبهة من قيادة نضال الجماهير النقابي والسياسي والثقافي وتبادر في ايجاد أشكــال متنوعة لتنظيم مبادراتها النضالية ٠

٤ ـ ان الحــليف الرئيســي والبعيــد المــدى ، الاستراتيجي ، هم القاعدة الواسعة للفلاحين الفــقراء والمعدمين ، هؤلاء الذين لاتربطهم أيــة صلــة بالنظــام الحالي ، ولهم كل المصلحة في تغييره تغييرا جذريــا بل وفي تجاوز المصالح الديمقراطية الوطنية نفسها الى النظام الاشتراكي الذي تناضل من أجله الطبقة العاملة ٠

من تلك المباديء الاربعة ، يظهر القصور التاريخــي للكتلة الوطنية الحالية ٠

فهي موضوعة في سياق خط اصلاحي بل انتظاري ، لم يعد بامكانه مسايرة الحركة الجماهيرية ، وانمــا انتظار ظروف استثنائية تفسح له المجال للمشاركة فــي الحكــم دون أدنــى نضال قاعدي ٠ وهــذه الظــروف الاستثنائية هي اما تناقضات بداخل الجهاز الحاكــم تفلت من بين شقتها الاصلاحية ؛ أو تفجر شعبي كاسح تركبه وتساوم على أساسه ، ومن الوجهة الطبقية فــان العمود الفقري للكتلة الوطنية هيالبورجوازية المتوسطة؛ أما الجناح الاتحادي اليميني في الكتلة فهو لايعبر الا عن تكون فئوي بورجــوازي صغيــر ، مزروع كاللغم فــي الحركة الجماهيرية ، ويستمد كل مخططاته السياسيــة والتكتيكية من تناقضات الجهاز النقابي البيروقراطي ، أي أنه لم يعد يستند الى مصالــح طبــقة البرجوازيــة الصغرى العريضة كما كان عليه شأن القوات الشعبيــة في سنوات ٥٩ ـ ٦٥ ، بل من المصالح الانانية الضيقة لاطاره البيروقراطي المسخر سياسيا لخدمة البورجوازية المتوسطــة ٠

واذا أضفنا الى هذه العوامل الطبقية والسياسيــة البناء الفوقي الهش للكتلة الوطنية ، وانعدام الصراع الايــديولوجي ضــد سيــادة ايــديولوجية البورجوازية المتوسطة ، اتضح لنا الفرق التاريخي الشاسع بينهــا وبين الجبهة الوطنية الثوريــة ٠

و ـ النضال النقابـي والنضال السياسي

ان الوعي النقابي ، وعي جنني ، أولي ، لمصالح العمال المباشرة ٠ انه الوعي البسيط لثنائية التناقض بيــن

الرأسمال ـ والعمل ، أو بالاصح ، رب العمل والعامل ٠ أما الوعي السياسي الثوري ، فهو وعي الطبقة العاملة لمجموع علاقات الاضطهاد الطبقي ، لكل الوضع التاريخي للنظام القائم ، وتناقضاته الداخلية فياتجاه الاشتراكية٠ فالوعي الثوري يكشف عن كل أنواع الاستغلال والاضطهاد الطبقي، سواء المسلط منه على الطبقة العاملة أو على الطبقات المضطهدة الاخرى ، وسواء كان اقتصاديا أو سياسيا أو ايديولوجيا ٠ فيالحالة الاولى، يهدف النضال النقابي الى تحسين شروط العمل ، الى بيع قوة العمل بأحسن الاثمان ٠٠ وتكون أداته هي النقابة العمالية ، المفترض فيها أن تكون جماهيرية كل ما أمكن، تضم الى صفوفها كل من يرغب في أن يناضل من أجل تحسين ظروفه المعاشية ، بغض النظر عن انتمائه السياسي أو الايديولوجي ٠ وفي الحالة الثانية ، يهدف النضال السياسي الى اقتلاع جذور الاستغلال ، بتحطيم بنيته الانتاجية والسياسية ، والقضاء على بيع قوة العمال للرأسماليين ، كبضاعة لاستهلاك فائض القيمة ، وابتزازها من العمال ، حتى يمتلك العمال بأنفسهم نتيجة عملهم لصلحتهم ٠ وتكون أداة هذا النضال الحزب الطليعي ، الذي ينظم علاقة العمال بالطبقات الاخرى ، ويقود دورهم التاريخي في مجموع تلك العلاقات الطبقية المتنوعة والمتشابكة ٠ فالحزب الطليعي اذن ، محصلة الوعي الواعي للطبقة العاملة ، ومرشدها الايديولوجي والسياسي والكفاحي ٠ وحسب هذه الشروط المنوطة بالحزب الطليعي ، لايضم اليه الا العناصر الطليعية في الطبقة العاملة ، أو التي انسلخت عن وضعيتها الطبقية ، وحندت نفسها ايديولوجيا وسياسياً لخدمةأهداف الطبقة العاملة ٠

وفي جميع هذه الحالات ، فان العلاقة الديمقراطية مع الجماهير ، هي أساس حيوية النضال النقابي ، وريادة الحزب الطليعي ٠ لان الجماهير هي صاحبة المصلحة الاولى والاخيرة في النضالين ٠ فلا يجب أن يفهم من طليعية الحزب الثوري ، انه تنظيم نخبوي ، له حق الوصاية على الحركة الجماهيرية ، بدعوى أنه يملك الحقيقة بين يديه ؛ بل ان جدلية الحزب بالحركة الجماهيرية ، قيادتها والتعلم منها ، والعودة اليها في كل القضايا الاستراتيجية والتكتيكية ، هي البوصلة الوحيدة ، أو صمام الامان ، للحفاظ على ثورية الحزب وطليعيته ، وبعبارة اخرى ، فالاحزاب أو المنظمات الجماهيرية لاتنوب عن الصراع الطبقي ، ولا تصنعه ، وانكانت تقوده، فممارسة الجماهير ووعيها ومبادراتها، هي الاساس الاول والاخير لهذه العملية الثورية ٠ ألححنا على هذه العلاقة الجدلية بين الحزب والحركة الجماهيرية ، لان العديد من مدعي «اللينينية» نفخوا دور الحزب وبسطوا من دور الجماهير ، أو من مدعي «الماوية» قدسوا الحركة الجماهيرية واستصغروا دور الحزب القائد ٠ وفي الحالتين فصموا برؤية وحيدة الجانب العلاقة الجدلية بينالحزب والحركة الجماهيرية ٠

16

ناضلت الطبقة العاملة المغربية دفاعا عن حقوقها الاقتصادية ، وبادرت باندفاعات سياسية في منعطفات تاريخية حاسمة ٠٠٠ ومع ذلك لم تستطع الطبقة العاملة أن تفرض حقوقها الاقتصادية على الحكم ٠ أما بسبب تشريعات جديدة رجعية ألغت ما حصلت عليه الطبقة العاملة من مكاسب في الماضي ، أو بسبب فوضى النظام الرأسمالي التبعي ، الذي يعجز بحكم قوانينه أن يضمن شروطاً أليق واستقرارا ثابتا للعمال ٠

والسبب الاصيل ، ليس ، كما يظنه الفوضويون ، بأن النقابة هيكل منقول ومنسوخ عن التجربة الاوربية ، وبأن

النضال النقابي لاجدوى منه ، أو عجيج بلا طحين ٠ فذلك ما تكذبه معطيات التجربة النقابية نفسها ، وتشبث العمال بمنظمتهم النقابية رغم كل الدسائس والمؤامرات لتفكيكها والقضاء عليها ٠

ورغم هذه الحقيقة ، فاننا نقر بالعجز المطلق للنظام الرأسمالي التبعي في منح ظروف استقرار ثابتة للطبقة العاملة ، مما يجعل النضال النقابي أكثر انفجارا والتحاقا أو احتكاكا بالنضال السياسي الثوري ٠

وهذا عامل مشجع وثوري يدعونا الى تعزيز النضال النقابي لا الغائه ٠ لانه يعضد النضال السياسي ويمده بطاقة جماهيرية حيوية ٠

فهل لوضعية البطالة المتزايدة والمتضخمة دخل في انخفاض المردود وضعف وثيرة النضال النقابي ؟ ٠

هذه هي الحجة التي أعطتها بيروقراطية النقابة لتبرير عجزها في تعبئة العمال وتجنيدهم من أجل مصالحهم النقابية المادية ٠ والحق ، أن النقابة اذا كانت مصابة بركود وتيبس بيروقراطي ، فان الرأسمالية والدولة تستفيد من ضغط البطالة ، بطرد العمال ، أو تعويضهم دون أي رد فعلي ملموس من العمال ٠ وهذا ما لاحظناه طيلة هذه السنوات ٠

أما اذا كانت النقابة العمالية ديمقراطية مع جماهيرها ، وملتزمة بخط كفاحي ، فان اثر البطالة ينخفض ، بل لايشكل عائقا أساسيا في عدم استقرار وضعية الشغل وانخفاض أجرة العامل ٠٠ لان سوق العمل في البلدان المتخلفة ، لاتخضع للضغط النسبي والمطلق لفائض السكان كما هو في النظام الرأسمالي الحر ؛ بل التضخم المتزايد والذي لايعرف حدودا ، مما يضعه بالنتيجة خارجا عن قوة المفاوضات النقابية ٠

المصيبة اذن ، في كل ما أصاب العمال من اضطراب في وضعية الشغل نتيجة الطرد المتزايد ، ومن هضم لحقوقهم في زيادة الاجور كلما ارتفعت الاسعار ، ومن تمتعهم بظروف معاشية أحسن «سكن - وضمان اجتماعي ٠٠ وتعليم ٠٠» هي بالذات في المنظمة العمالية لا في قوة حجم البطالة ، في الخط السياسي والنقابي ووسائل النضال التي تنهجها المنظمة النقابية العمالية ٠

17

مما لاشك فيه ، أن المنظمة العمالية غير قادرة بالمرة على توقيف فعل القوانين الاساسية لنظام التبعية للامبريالية ، في الانخفاض النسبي للعمال بالنسبة الى مجمل السكان ، ولا في ضمان استقرار دائم أو مستوى معاشي مستقر للعمال ٠

الا أن هذه القوانين الموضوعية ، لاتلزم التراخي أو الغاء النقابة ، بل بالذات تفرض عليها ديناميكية نقابية مطلبية عالية ومستمرة ، الشيء الذي يلتصق مباشرة بهياكل المنظمة ودرجة تعبئتها للحركة العمالية ٠

وبهذا المعنى ، تحدف تاريخيا الارضية الموضوعية لنمو نزعة نقابية ضيقة ، أو ما يسمى بالسياسة الاقتصادية «التريديونية» ٠ لان عدم/الاستقرار في وضعية الشغل وفي المكاسب العمالية ، بالاضافة الى التقاليد اللاديمقراطية في الحكم ، وبنية النظام التي ترفض المزيد من العمال أمام جمود التصنيع ٠٠٠ كل هذه العوامل ، تضع المنظمة العمالية أن تربط نضالها النقابي ، وبصفة مباشرة مع النضال السياسي التحرري الثوري ٠

ولهذه الاسباب نفسها ، فشلت مرحلة «سياسة الخبز» التي أخذها الجهاز النقابي كخطة دعائية على الاقل ، للحيلولة دون انتظام العمال وحركتهم ضمن النضال السياسي التحرري ٠

فسياسة الخبز ، وضعت أمام المحك الواقعي لبنية النظام ، فكانت النتيجة ، التدهور المستمر في أوضاع الطبقة العاملة ، وفشل النقابة العمالية حتى في الميدان النقابي الضيق «الخبز» الذي ادعت أنها تختص به دون غيره ٠

يقال لنا اليوم ، ان سياسة الخبز لم تكن سياسة للمنظمة العمالية ٠ ونحن أيضا نقول ذلك ، ولو أعلن عنها مرارا وتكرارا في التحريض الجماهيري ، لاننا نعي أن «سياسة الخبز» لم تكن الا مظلة وقائية احتمى بها الجهاز البروقراطي ، حينما اختل توازنه ، وطرح عليه الاختيار السياسي الجذري من النظام ٠

دوما كان يقول لينين : ان للاقتصادية سياستها الخاصة بها ٠ وأن الدعوة الاقتصادية ليس معناه معاداة كل سياسة بالمعنى المطلق للكلمة، بل لها أيضا سياستها المعينة ٠ كانت في التجربة الروسية ، الذيلية والعفوية للوعي الاقتصادي لدى الحركة العمالية الناهضة ، ولكنها كانت اقتصادية كفاحية ٠ وفي تجربتنا ، عفوية أيضا ، ولكن من وجهة أخرى ، لانها غير كفاحية ، لانها تلتزم بما سميناه بسياسة الانتظار ٠

وبدون رجوع الى الشروط التاريخية لتكون الجهاز البروقراطي النقابي ٠ فاننا نقول باختصار : ـ ان الجهاز تربى في كنف المصالح التي تمنحها له الدولة ، وتعود بالتالي على عقلية المفاوضات واحتقار الجماهير العمالية ، كما تكونت له مصالح «حكومية» على ظهر كفاح الطبقة العاملة ٠ هذه الوضعية المادية ، تجعله غير قادر على خوض نضالات قاعدية ، وتدفع به الى انتظار فرصة سياسية استثنائية : اما قاعدية جماهيرية على طريقة مارس ٦٥ ، أو شقة فوقية بجهاز الحكم ، تعطيه الفرصة للمشاركة في السلطة ، ومنح العمال بعض الاصلاحات التي لم يقدر على انتزاعها نضاليا ٠ وبعبارة أخرى ، اعادة التوازن الداخلي للجهاز ، بعودته الى الشروط التأريخية التي تكون في ظلها ٠

لهذه السمات ، قلنا أن الجناح الثاني في الكتلة ، هو تكون بورجوازي صغير ، مزروع كاللغم في قلب الحركة الجماهيرية ، ولا يستند على أي طبقة عريضة بقدر ما يستمد كل خصائصه من تناقضات التكون البروقراطي النقأبي ٠ ولهذا فهو تكون بورجوازي صغير مسخر سياسيا لخدمة البورجوازية المتوسطة ٠

نقابيا أيضا ، يتهرب الجهاز من النضال القاعدي ، ويعزل نضالات العمال العفوية عن بعضها ، حتى لايخلق شروط تأزم سياسي يكون فيه أمام الحكم هو المسؤول المباشر والاول ، ويتعرض في نهاية المطاف الى حرمانه من مكتسباته كملحق بجهاز الدولة ٠

ما نريد استخلاصه ، هو أن البروقراطية النقابية ، بجناحيها اليميني والعميل ، لاتشكل عدوا نقابيا وحسب، بل عدوا سياسيا ٠ وما دام لم يقض على هذا التورم البيروقراطي ، فان دور الطبقة العاملة سيبقى معرضا لحملة اجهاضات خطيرة ومحبوسا في اطار الوعي السياسي التريديوني والايديولوجية البرجوازية٠

الا أن أسلوب المعالجة ، يجب ألا يسقط في اخطاء التجربة الرديكالية للاتحاد الوطني للقوات الشعبية ٠ فانجاز هذه المهمة المستعجلة يجب أن يكون مطروحا في خط استراتيجي متماسك وثوري ٠ ومن البديهي أن يكون الهدف الاول الملح على القوى الثورية هو التحامها بالطبقة العاملة والاندماج في حركتها النضالية مهما كانت التنازلات الوقتية ٠

18

ان الطبقة العاملة تفتقر في كل المهام التي تعرضنا لها في هذه المقالة الى ممثلها السياسي الطبقي · ولاشك أن ذلك هو بالذات المعضلة الاساسية المطروحة اليوم على القوى الثورية وعلى الحركة العمالية بالاخص ·

الا أن مشكلة الاداة ليست بقرار اداري ، أو برغبة ذاتية ، وانما هي عملية تاريخية معقدة ، تندمج فيها حركة الجماهير المناضلة وفي مقدمتها الطبقة العاملة ، بحركة المثقفين الثوريين الطلائعيين ، كما تندمج فيها النظرية الماركسية بالواقع المغربي ، تكون ترجمته الملموسة خطا سياسيا ثوريا وسديدا ·

واذا كانت مهمة الاداة مسألة تاريخية لاتخضع لرغبة الافراد ، فان ذلك لايعني الاستمرار والصمت في الحركات الاصلاحية · فبواسطة الانفصال التنظيمي والسياسي والايديولوجي عن حركة الاصلاح ، ومرورا بنقد كل مفاهيمها الموروثة ، ووصولا ، بأساليب متنوعة الى الاندماج بالحركة الجماهيرية نكون قد خطونا الخطوة الاولى الملحة في طريق بناء هذه الطليعة ·

قد يعتقد البعض أن لا لزوم لذلك ، بل ان العمل من هذا القبيل ، طفولة يسارية ، يعرقل نمو الحركة الجماهيرية ، ويعزل الطليعة عن الجماهير الشعبية · وعلى هذا المنوال يكون من الافضل التعايش التنظيمي والايديولوجي في قلب هذه الحركات الاصلاحية ·

ونعتقد من جهتنا أن هذا الاختيار الوسطي مشبع في المستوى النظري والعملي بارث ايديولوجي يميني ثقيل ·· ونضيف ، أن هذه اللعبة لن تدوم طويلا ، لان سببها الاصيل ، هو بالذات في أن هذه الحركات تعيش في مناخ جماهيري انتظاري وبارد ، لكن الاحداث المقبلة والتي ستدفع بها الى اختيار سياسي واضح ضد الجماهير ، سيلزم الاخرين بالاختيار المضاد والواضح مع الجماهير ، وسيصعب آنذاك التعايش بين ايديولوجيتين وخطين استراتيجين متناقضين في هيكل واحد ·

19

وقد يتساءل الاخرون : ـ ما هي الاداة الطليعية ؟

بكلمة بسيطة وأولية هي أنها النقيض المباشر والمتجاوز في نفس الوقت لتجربة الاصلاح ·

ـ نقيض مباشر لخطها اللاجماهيري ، المغرق في احتقار الجماهير ، وفي تركيز علاقة النخبة الوصية على حركتها ، بل الوصية على قواعدها العاملة والملتزمة بحركتها ·

من هذه الوجهة بالذات ، وبعد هذه التجربة المريرة ، يصح لنا نحن كمغاربة وكطليعيين في نفس الوقت ، أن نرفع عاليا راية الموضوعة الصينية القائلة : ـ «بخط الجماهير» ، وأن نتشبع بكل مضامينها المبدعة والثورية ، دون أي تبسيط دعائي لمحتواها ، وبوعي تاريخي كامل لدور الجماهير ، وبثقة مطلقة بقدرتها الابداعية والنضالية · ولهذا على الطليعة أن تحترم أشد الاحترام في علاقتها مع الجماهير مبدأ المركزية الديمقراطية في كل القضايا الاستراتيجية والتكتيكية ·

ـ نقيض مباشر للخط السياسي الاصلاحي ، والانتظاري في المرحلة الاخيرة ، وذلك بخط سياسي ثوري ، يعتمد على تنمية الحركة الجماهيرية الثورية ، وعلى اذكاء مبادراتها الحية ·· خط سياسي يعتمد على تحليل طبقي علمي ، لبنية النظام وخصائصه ، ولمسألة التخلف ، وخاصة لدور البادية ، وطليعية الطبقة العاملة ·· خط سياسي يعطي الاجوبة على كل هذه

القضايا ، وفي مقدمتها أشكال النضال الجديدة والشعارات الوسطى التي على الجماهير أن تناضل تحت رايتها ضمن استراتيجية ثورية ومتماسكة ·

– تجاوز لايديولوجيتها الجريبية الانتقائية ، والسلفية ، والتحريفية ، بمنظار ايديولوجي يلتزم مبدئيا بالنظرية العلمية الثورية ، ويجتهد على أساسها في الممارسة والنضال لدمجها بالواقع المغربي العربي ·

· تجاوز لخطها الاقليمي في العمق ، والبرغماني السياسي في الملموس ، أو الشوفيني الرجعي ، والتبعي التحريفي ، باتجاه عربي ثوري ، يلتزم بالوحدة العربية الثورية المنشودة ، ويأخذ مكانه بجانب القوى الثورية الصاعدة في العالم العربي ، ضمن خط يركب بين النضال الاجتماعي الاشتراكي والنضال القومي ضد الانظمة والطبقات البورجوازية والاقطاعية والمشايخ وبورجوازية الدولة ، طليعة تلتزم بالخط الاممي ، الغائب في برامج الاصلاحية ، الا من وجهة نظر تبادل العون المادي والسياسة الخارجية لحكومتهم الوطنية ، بأن تأخذ مكانها النضالي في الجبهة الثورية الاممية ، وتحارب بكل صلابة مبدئية التزييف الاشتراكي ، الاصلاحي ، أو التحريفي على الصعيد الاممي ، بمقدار ما تحارب في نفس الوقت الامبريالية والرجعية بمختلف تلاوينها ·

– تجاوز لتركيبها الطبقي البورجوازي الصغير وخطها التنظيمي المائع والنثن بليبيراليته المفرطة ، نحو طليعة منظمة على أسس المركزية الديمقراطية ، وعمادها خط سياسي كفاحي ، وعلاقة ديمقراطية مع الجماهير ، وهما الاساس لمركزية ديمقراطية داخلية · طليعة مبلترة في الطبيعة العضوية ، ومعتمدة على القاعدة الواسعة لجماهير الفلاحين الفقراء ، وتحكمها علاقات رفاقية وأخلاقية بروليتارية في تركيبها ، وفي الحياة الخاصة لمناضليها ·

هذه هي السمات العامة للطليعة المنشودة ، ولقد قال لينين في احدى مراحل الكفاح الاولي ، وصفا لها :
«هكذا كانت توجد في وقت واحد يقظة عفوية لجماهير العمال ، يقظة الى الحياة الواعية والى النضال الواعي ، وشبيبة ثورية مسلحة بالنظرية الاشتراكية-الديمقراطية تتحرق (اشارة التوكيد منا) رغبة في التقرب من العمال» ·

وبنفس الصورة هناك نهوض عمالي وفلاحي وشباب طليعي متحرق للاندماج بالحركة الجماهيرية · واذا وعت هذه الاطراف الثلاثة ضرورة التحالف فيما بينها ، واذا انكسر هذا الحاجز الذي ظل يقسم الحركة الجماهيرية ، وسبب فشلها منذ الاستقلال ، فسنكون آنذاك قد حققنا ما نصبو اليه في طريق الطليعة وفي نضالنا الطويل ، الطويل جدا ، والمرير من أجل الاشتراكية ·

١٩٦٧/١٢/٢٠





دور الابنـاك الاجنبيـة فـي المـغـرب

حسـن اقبـال

لقـد لعبت الابناك الاجنبية دورا أساسيا في عمليـة التوغل الاستعماري في بلادنا ٠

وهكذا ، منذ القرن التاسع عشر ، وبالضبط في سنة ١٨٦٠ ، بمناسبة الاحتلال الاسباني لتطوان والذي دام سنتين ، لعبت الابناك الاجنبية ، ولاول مرة دورا سياسيا حاسما ؛ فتحت ضغط انجلترا سحبت اسبانيا قوتها من تطوان ، على أن يدفع المغرب لها تعويضات باهضـة ، تقدمه له الابناك الانجليزية على شكل قرض ، مقابل أن يسمح المغرب لها بمراقبة الحقوق الجمركية المغربية ٠

وهكذا ، فقدت الدولة أحد مظاهر سيادتها الاقتصاديـة والسياسية ، وبالتالي ، وقعت في شرك الابناك الاجنبية ٠ وقـد استخدمت نفـس الحيلة ، من طرف بنك «باريـس والبلدان المنخفضة» ، والذي سيلعب دورا حاسما فـي استعمار المغرب ؛ وذلك بتقديم قروض ضخمة للسلطـة المركزية ، بدعوى تجديد وتجهيز جيش الملك بوسائـل عصرية ، تمكنه من مواجهة **الاجانب** ٠ وهذه العمليـة التي تبدو في الظاهر وكأنها تعاون مالي محض ، كانت ترمي في الحقيقة الى هدف سياسي مزدوج للتدخـل الاستعمـاري :

ـ فمن جهة ، تمكن البنك من تثبيت وارساء دعائـم السلطة المركزية ، باستعمال الجيش ، الذي جهز تجهيزا عصريا ، ضد التمرد الشعبي ٠

ـ ومن جهة أخرى ، جعل السلطة المركزية ذاتهـا سجينة الديون المدفوعة لها ، والتي ترهن اقتصاد البلاد ٠

وهـذه الخطة الاستعمارية أدت الى تفسخ النظـام والسلطة المركزية معا ؛ بحيث أصبحت السلطة المركزية سجينة لديون البنك ، وفي نفس الوقت ، الذي قامـت فيه السلطة بقمع تمردات الفلاحين ، التي كان يقودهـا في الغالب رؤساء القبـائل ، الذيـن أدركـوا ، حسـب وضعيتهم التاريخية آنذاك ، ضرورة النضال ضد الغزاة المستعمرين ، دفاعا أو حفاظا على نمط انتاجهم الضيق ، ضد تسرب نمط الانتاج الرأسمالي ٠ بينما كانت المـدن، آنئذ ، مستعمرة استعمارا جزئيا ، فكانت أنظارها متجهة نحو الخارج الاكثر غنا والاكثر اغراء ، بسبب امتيازات الحماية الشخصية أوالعائلية ، التي يتمتع بها المتعاملون

مع الاجانب ٠٠ ولقد سبق هذا النوع من الاستعمار «الاستعمار الرسمي» ، وكأن ذلك حصيلة لنشاط عملاء الابناك الاوربية المقيمة في المدن الساحلية ، والمرتبطة بعلاقات في مجال الاعمال مع فئة من البورجوازية المغربية ٠

وفي سنة ١٩٠٤ ، قامت مجموعة من رجال الاعمال والمال تمثل بنك «باريس والبلدان المنخفضة »، وكريدي ايوني ، والشركة العامة بتشكيل «لجنة المغرب» ، التي ستصبح المحرك الرئيسي للاحتلال الاستعماري ٠

وبكل وقاحة،شرحت في احدى نشراتها خطتها الإستعمارية: «أنها ستعمل بكل الوسائل على تطوير نفوذ التجارة الفرنسية في شمال افريقية ، ومكافحة عداء الرأي العام ، والتوجه الى العقول المتنورة لشرح أفكارنا الوطنية البعيدة كل البعد عن الاهتمام بجني الارباح والفوائد ٠٠ (٠٠عن الاهتمام بجني الارباح والفوائد!!)

هذه الابناك الاجنبية هي التي اقتسمت المغرب ، وطردت الفلاحين من أراضيهم ، ومنعت على المواطنين المغاربة مجال الاستثمار ٠ وقد نشرت الكراسات المالية الصادرة بتاريخ ١٦ مارس ١٩٥٤ نتائج تحقيق يبرز أن ٩٣٪ من الشركات التي يتجاوز رأسمالها ١٠٠ مليون توجد تحت مراقبة الفرنسيين ، و ٥٪ منها تحت مراقبة أجانب آخرين ، و ٢٪ منها تحت مراقبة عناصر مغربية ٠

لقد احتكرت الابناك الاجنبية ميادين النقل ، والمناجم، والتجارة الخارجية والنشاط العقاري ، ونظمت استغلال البلاد واقتسمت غنائم نهب خيراتها ٠

موقف الحكم المغربي من الابناك الاجنبية في المغرب

بعد الاستقلال :

غيرت الابناك الاجنبية استراتيجيتها واتخذت سبيل الحذر والاحتياط ٠ وقد نتج عن ذلك انخفاض نشاط قطاعات اقتصادية واسعة بفعل حذر الابناك ٠ وتأجيلها لبعض الاعمال وتخليها عن بعض المشاريع الاستثمارية لانها كانت تنتظر تطورات موقف الحكم الجديد ٠ والنتيجة التي سيؤدي اليها تصارع القوى الطبقية الممثلة في الحكومة ٠ ذلك أن التشكيلة المتنافرة لتلك الحكومة كانت رمزا لوحدة مجموع الطبقات في موقفها ضد العدو المشترك ، باستثناء الفئة الخائنة من الاقطاعية ٠ لقد كان الحكم لم يوطد بعد ، لان السلطة القبلية لم تنشرح للتحالف بين البورجوازية والاقطاعية اللتين تبنتا الموقف الوطني ٠ والاستعمار الفرنسي عرف لحظة كيف يستعمل تلك السلطة القبلية (تحرك عدي اوبهي ، بعض جوانب أحداث الريف سنوات ٥٩ ــ ١٩٥٨) ٠ وقد نتج عن تحفظ الابناك الاجنبية مشكل اقتصادي، لانها كانت تسيطر على :

ــ أهم مرافق الاعمال في البلاد ٠

ــ ونظام القروض الذي يقدم المال للمستثمرين الذين يريدون خلق أعمال جديدة ومجالات جديدة للتشغيل ٠ وجرت الابناك البلاد الى سلسلة من الازمات الاقتصادية بفعل التباطؤ المحسوس لمستوى النشاط وبفعل هروب الرساميل ٠

وفي هذه الوضعية ، أظهر موقف الحكومات من الابناك الاجنبية مدى قصر النظر السياسي وعمق التناقضات الداخلية في التمثيل السياسي للطبقات التي تعاقبت في السيادة على الحكومة وخاصة البورجوازية ثم

البورجوازية الصغرى . ويدل على ذلك تطور النصوص والاتجاه السياسي . ولم يلبث أن اتضح أن تفسير ذلك التخبط والتناقض يكمن في توهم البورجوازية أن بالامكان التعاون والانسجام مع القوى الطبقية الرجعية ومع قوى الاستعمار الفرنسي الجديد . ومن جهة أخرى أكدت هذه الخواص منذئذ اتجاه فئة من البورجوازية الوطنية للانتظام في تشكيلة اوليغارشية مع الفئات الرجعية في جهاز الدولة .

وقد تجلى قصر نظر هذا في مختلف الفئات البورجوازية بداخل الحكومات ، في كونها تبحث عن موارد مالية في الخارج بدل انتزاعها من الابناك الاجنبية في الداخل .

ونلمس تناقضات حكامنا البورجوازيين آنذاك في النصوص أيضا : نصوص التصميمات ، قانون الاستثمارات الصناعية ، ، وهي نصوص تحاول اعطاء جواب للسؤال : من أين الحصول على المال لتمويل التنمية الاقتصادية .

أ) التصميم الخماسي الاول (١٩٦٠ ـ ١٩٦٤) له جوابان .

ـ **الرساميل الخصوصية الوطنية** هي التي ستوفر لهم جزء من المال الذي تحتاجه .

ـ بقية حاجاتها ستحصل عليها بفضل العون الخارجي الذي سيبقى اذا ذي اهمية ثانوية .

ومن ثم يظهر التصميم الاول على أنه نداء للبورجوازية الوطنية ، وفتح امكانية لها لتراقب اقتصاد البلاد . لكن أين وكيف يمكن الاستثمار بينما الابناك الاجنبية تسيطر على اقتصاد البلاد ... والحال أن الحكام يتركون تلك الابناك تتحرك في هناء ؟ لكن يقع صعود البورجوازية الوطنية الى مستوى طبقة سائدة اقتصاديا بالتحول من مرحلة التجارة الى مرحلة التصنيع ؛ والذي حجب ذلك بالدرجة الاولى هو العامل السياسي الذي تجلى في الصراع الصامت في البداية ثم العلني والعنيف بين قوى الاقطاعية الجديدة المتحكمة في السلطة وجهاز الدولة من جهة وقوى البورجوازية المتوسطة والصغيرة من جهة ثانية . وهكذا ظلت الفئة النشيطة من البورجوازية الوطنية تنتظر المنفذ ، تماما كما فعلت الابناك الاجنبية ، وذلك بقصد الاستفادة من التسهيلات والامتيازات التي تمنحها الدولة ، بحيث تلتحق في النهاية بصفوف الالغارشيا التي مثلت القاعدة الطبقية للحكم فيما بعد .

أما البورجوازية الوطنية في مجملها ، كطبقة اجتماعية ، فقد اتضح عجزها اقتصاديا وسياسيا عن الحلول محل الراسمالية الاجنبية في المغرب ، بواسطة المراقبة الفعلية للابناك الاجنبية بعد تأميمها أو اعادة على الاقل شراءها . ولا يمكن تفسير هذا العجز الا بضعفها في الميدان الاقتصادي ، حيث لاحضور لها الا في مجال التجارة ، وبغياب الوضوح والحزم في وعيها الطبقي بحيث تخشى الحركة الجماهيرية وتلين أمام هدايا الحكم .

ب) التصميم الثلاثي (١٩٦٥ ـ ١٩٦٧) ،

يأخذ العبرة ، ويؤكد انتصار اولئك الذين يرون أن التنمية الاقتصادية هي ، قبل كل شيء ، الحصول على المال من الخارج قصد الاستثمار . ولذا اتجه الحكم نحو الرساميل الخصوصية الاجنبية ، واقتدى باسبانيا في اتجاهها نحو السياحة . وبعد مرور اعصار مارس

١٩٦٥ ، صارت الابناك الاجنبية والعائلات المغربيـــة (العلوي وبنجلون) تقدم على الاستثمار ٠

ج) التصميـم الخماسي الثاني (١٩٦٨ ـ ١٩٧٢)

يعتبر استمرارا للتصميم الثلاثي مع فرق يتمثل فـي تسجيله لقصور الاستثمار الخصوصي الاجنبي وتوجهه الـى الاستثمار العمومي الاجنبـي أي الـى الـدول والمؤسسات المالية «الدولية» ؛ تلـك المؤسسات التـي يسيرها ماكنمـارا ، الاستراتيجي الكبير فـي حـرب الفيتنـام ٠

والسبب في اضطرار بلادنا الى التسول في المجـال الدولي هو أن الابناك الموجودة في أرض وطننا توجـد تحـت المراقبة التامـة مـن طرف المصالـح الفرنسيـة والاسبانية والامريكية ٠ بل ان السبب هو في قيام الحكم ماضيا وحاضرا بحماية المصالـح الاقتصادية لتلـك الابناك الاجنبية التي تستعمر المغـرب ، دون حتـى أن تستثمر هنا تلك الاموال الطائلة التي تبتزها من خيرات ، وتقوم على العكس بضخها في فرنسا وغيرها ٠ ولمـاذا لاتستثمر الاموال هنا ؟ لان الحكم بعيدا عن ارغامهـا على ذلك ، يشجع تحويل الاموال الى الخارج شرعيا ٠ هكذا نجد أن قانون الاستثمارات الصناعية الذي وضع سنة ١٩٥٨ ، بموازات التغييرات التي تطرأ عليه يتـرك تنازلات ضخمة اكثر فاكثر للشركات الاجنبية تحـ تـضغط الابناك المقيمة علـى أرضنا ٠ منذ سنة ١٩٦٠ ، منحت امتيازات جمركية ، واعفاءات من الضرائب ، ومنحـة على التجهيز وضمانات لتحويل الاموال ، وذلك في مجال الارباح ، وفي مجال اعادة بيع التجهيزات والمباني فـي حالات التوقف ٠ لكن الابناك الاجنبية لاتثق ، وتطالـب بأكثر من هذا وخاصة بتخفيف ضرائب الدولة !

لكن ما الفائدة من قيام الابناك والشركات بالاستثمار ان لـم تكـن تـؤدي الا أجـورا بخسـة للعمـال ؟ ولماذا يراد منها ن تستثمر فـي بلادنا مـا دام الحكـم يشجع تهجير العمال المغاربة الى اوروبا ؟ هكذا يتجلى أنه فيما يتعلق بالمصدرين الاثنين لثروة بلادنـاً ، أي ابتزاز الغلات الطبيعية ، واستغلال قوة عمل الشغيلـة المغربية ، اختارت الابناك والشركات الاجنبية :

١ ـ حصر الاستثمارات في أدنى مستويات قصد الحد مـن الاخطـار ٠

٢ ـ تحويل الارباح الى الخارج ومعه أيضا تحويـل العمال المغاربة المضطرين للهجرة بحكم غياب التصنيع ٠

مـا هـي المغربـة ؟

ان سياسة تصنيعية تفرض ، كما أكدت ذلك تجربـة عشر سنوات ، تأميم ونزغ ملكية الابناك الاجنبية التـي تسيطر على وسائل تمويل الاقتصاد في بلادنـا ٠

ولـم يتمكن الحكم من التزام الصمت أمام الوضع ٠ فحدد سياسته :

لاتأميم ، لانزع ملكية ، لكن مغربة ٠ فتفاقم الازمـة الاقتصادية ، وتصاعد مطالـب بورجوازيـة الاعمـال الكبيرة ، دفعا بالحكم الى تحديد هذه السياسة التـي تعني تطوير وتشريع قران تلك البورجوازية الكبيرة مع الشركات والابناك الاجنبية الموجودة في المغرب ٠ ومـن وجـوه سياسة المغربة تلك : اشراك الالغارشيا المغربية في كبريات الاعمال الصناعية والتجارية الاجنبية خاصة منها الفرنسية ٠ ويعنـي ذلـك بالنسبـة للرأسماليـة الفرنسية ضمانة سياسة تكفل له تطوير أعماله في خـط استعماري خالص ٠ وأين الفرق ؟ وجود مغاربة فـي

المجالس الادارية ، حيث يصلون بعد تمحيص دقيق ، وحيث يظهرون «كفاءتهم» ٠ ان هذه الواجهة من سياسة المغربة التي وضعت بالتعاون مع الابناك الاجنبية المسيطرة على اقتصادنا وتجارتنا الخارجية ، تهدف الى توطيد صف الاوليغارشيا ٠ والواجهة الثانية للمغربة تلتفت الى البورجوازية في مجموعها ، أو الى ابنائها المتخرجين من الكليات ، والمترددين على قاعات الانتظار طالبين مغربة الاطارات التي صارت ملحة لان البطالة تتوسع حتى عند أهل الشهادات ، الذين بدأوا ، كالعمال، يتجهون الى المنفى ٠ وتعني تلك الواجهة استبدال التقنقراطيين الفرنسيين بشباب مغاربة مطلوب منهم خدمة مصالح الشركات والابناك الاجنبية ، هكذا تعني وتهدف سياسة المغرب تحقيق مهتمين باتجاه توسيع القاعدة الاجتماعية للحكم :

١ ـ تقوية الاوليغارشيا باقناع المجموعات المالية بصحة اتجاه اشراكها في أعمالها ٠

٢ ـ فتح نافذة للاغاثة من البطالة أمام جزء من أبناء البورجوازية كضحايا للاولغارشيا والابناك التي تسيطر على نظام القرض وتحصر التصنيع وتحرمهم بالتالي من الشغل ٠

ما هي هذه الابناك الاجنبية ؟

من بين حوالي ثلاثين بنكا يعمل في المغرب ، يوجد اثنان فقط تحت المراقبة الكاملة لعناصر مغربية : البنك المغربي للتجارة الخارجية حيث مساهمة الدولة قوية ، والبنك الشعبي ٠

أما بقية الابناك فيسودها الاجانب ٠ وتنقسم الى نوعين :

ـ الابناك الاجنبية التي توجد بها العائلات المغربية الكبيرة ٠

ـ الابناك الاجنبية التي تساهم فيها الدولة المغربية والعائلات المغربية الكبيرة ٠

ويرينا الجدول رقم واحد ، أسفله ، أن نفس العائلات المغربية ترتبط في الغالب بعدة أبناك مختلفة ٠ ومن دلائل ازدهار الابناك قدوم ابناك جديدة أمريكية وانجليزية وسويسرية الى البيضاء ٠

ويبلغ ما تتوفر عليه العشرة أبناك الكبرى المعنية في اللوحة١ حوالي ٢ر٣ مليار درهم (معدل٧٠ـ١٩٦٩)، ويمثل ذلك ٧٥٪ من مجموع استثمارات الدولة المغربية في جميع القطاعات الاقتصادية خلال خمس سنوات (١٩٧٢ ـ ١٩٦٨) ٠

أما الارباح ، فلا يعرف منها الا الربح المعلن عنه ٠ وهذا لايبلغ الا ٣ر٢٠ مليون درهم ، أي بنسبة واحد بالالف من مجموع ما تتوفر عليه !

وتبرع الابناك خاصة في مراقبة المقاولات ٠ فمثلا نجد أن «قرض المغرب» Crédit du Maroc يمتد نشاطه الى كل القطاعات بدون استثناء ، بما فيها الفلاحة والمناجم والتجارة والصناعة والسياحة ٠ فهو موجود في كل مكان (انظر اللوحة ٢) ٠

لكن الملاحظة الاساسية هي الآتية : منذ ١٩٠٤ حيث تشكلت لجنة المغرب التيتجمع الابناك الفرنسية الكبرى، بنك باريس وكريدي ليوني ، ما فتئت نفس هذه الابناك وحتى الآن تسيطر على الصناعة والمعادن في بلادنا ٠ هكذا نجد أن أغلب علاقات الانتاج الرأسمالية في اقتصادنا توجد بيد الرأسمالية الفرنسية ؛ تلك

الرأسمالية التي أشرفت على الاحتلال العسكري لبلادنا واستعمار شعبنا · أما بورجوازيونا فينحصرون في مجموعة من المتاجرين وأرباب الاعمال الذين لايضعون حجرا أساسيا ولا يدشنون آلة من الآلات الا تحت حماية الدولة أو الابناك أو هما معا · والواقع أن البورجوازية فضلت المتاجرة والسمسرة على الاستثمار والمقاولة ، وبذلك صارت سمسارا وخادما للذين كان عليها ان تحل محلهم · لكن هل كان بوسعها أن تفعل أحسن ، وان ظنت زمنا أنها انتصرت ؟

لقد حرصت دوما الاقطاعية على حماية مصالح الاستعمار ، بينما كان يظن هذا الاخير ، أن بورجوازيتنا هي فعلا بورجوازية وطنية ·

لكن في سنة ١٩٥٦ ، صحح الاستعمار بسرعة نسبية خطأ تقديره في سنة ١٩٥٣ ، حائلا بذلك دون اعطاء البورجوازية الوقت التاريخي المطلوب كي تتحول الى بورجوازية وطنية حازمة · وسرعان ما امتطت الاقطاعية السراج واستعادت الزمام · لكن الحصان المجروح لايسعه الا الركل · هل تستطيع الاولغارشيا ، أن تتنكر لنفسها وتتخذ موقفا وطنيا من الابناك الاجنبية ؟ هنا يكمن على الاقل ذلك التناقض المستحيل تجاوزه والذي ترتكز عليه سياسة الاغراء التي ينهجها الحكم منذ بضعة أشهر ·



تعليق على الجدول

ان الجدول رقم ٢ ، يوضح العلاقات الموجودة بين مستوى الواقع الاجتماعي لاقتصادنا :

- الطبقات الممثلة من طرف العائلات الكبرى ·
- المؤسسات الممثلة من طرف الابناك

كما يبين الارتباطات بين :

- الابناك المغربية ·
- الابناك لاجنبية

امامنا اذن العلاقة التالية : عائلات أجنبية ـ أبناك اجنبية ـ عائلات مغربية ـ أبناك أجنبية في المغرب ـ كبريات المؤسسات في المغرب المراقبة من طرف الابناك ـ أجهزة الحكم ذات الاسهم في هذه المؤسسات الكبرى ·

فالعلاقات المباشرة اذن ضيقة ، بيد أن تشابك المصالح كلي وشامل وموحد ، بين الاجانب وخادميهم في تصدير ثرواتنا عبر النظام البنكي ·

		الرأسمال	الممتلكات	الارباح	مساهمة الاسر المغربية الكبيرة
الابناك الاجنبية	– الشركة المغربية للقرض والبنك (١٩٧٠)	١٤ ٥٠٠ ٠٠٠	٣٢٤ ٠٠٠ ٠٠٠	١ ٨٩٠ ٠٠٠	
	– البنك المغربي للتجارة والصناعة (٦٩)	٨ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٩٩ ٠٠٠ ٠٠٠	٣ ٠٠٠ ٠٠٠	التازي محمد – مولاي حفيظ العلوي
	– الشركة العامة المغربية للابناك (١٩٦٩)	٨ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٢٣ ٠٠٠ ٠٠٠	١ ٨٠٠ ٠٠٠	الحاج حسن بن جلون
	– البنك الامريكي – الفرنسي السويسري للمغرب (١٩٧٠)	٣ ٠٠٠ ٠٠٠	٦٦ ٠٠٠ ٠٠٠	٣ ٠٠٠ ٠٠٠	العمراني – بن ابراهيم – عبد المجيد بن جلون
	– قرض المغرب	٨ ٠٠٠ ٠٠٠	٣٥٣ ٠٠٠ ٠٠٠	٣ ٠٠٠ ٠٠٠	
	– البنك التجاري للمغرب ١٩٧٠	٨ ٠٠٠ ٠٠٠	٤٤٠ ٥٠٠ ٠٠٠	١ ٤٠٠ ٠٠٠	
الابناك الاجنبية ذات المساهمة الضئيلة من جانب الدولة المغربية	· الاتحاد البنكي الاسباني – المغربي	١٦ ٠٠٠ ٠٠٠	٤٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٣ ٥٠٠ ٠٠٠	جنان – النجاعي
	– مساهمة الشركة الوطنية للاستثمارات				
	· البنك الاسباني في المغرب	١٢ ٥٠٠ ٠٠٠	٧٧ ٠٠٠ ٠٠٠	١ ٢٠٠ ٠٠٠	الكتاني – بناني – السلاوي – السبتي – العمراني
	– مساهمة البنك المغربي للتجارة الخارجية				
	· شركة بنك المغرب	٧ ٠٠٠ ٠٠٠	٢٠٢ ٤٠٠ ٠٠٠	١ ٧٠٠ ٠٠٠	
	– مساهمة القرض السياحي والعقاري				
الابناك المغربية ذات المساهمة الاجنبية الضئيلة	· البنك المغربي للتجارة الخارجية	١٢ ٥٠٠ ٠٠٠	٥٥١ ٢٠٠ ٠٠٠	٢ ٥٠٠ ٠٠٠	الحاج عمر السبتي – العمراني – الكتاني – بناني – السلاوي
	· البنك الشعبي				

كبريات الاسر الاجنبية	روتشليد غرادس لازار بوصاك هرسنت	موركان روتشيلد شنايدر ميرابو لازار	مال سويسرة شنايدر روتشليد مال الولايات المتحدة
كبريات الاسر المغربية	الدمناتي ابن ابراهيم بناني العمراني		الحسين ـ محمد التازي مولاي حفيظ العلوي الدمناتي ـ الحاج حسن بنجلون
الابناك الاجنبية	ـ بنك باريس الوطني ـ بنك باريس وهولاندا ـ شركة البنك والمساهمة ـ كريدي ليوني	بنك باريس وهولاندا	الشركة الفرنسية للقرض والبنك القرض التجاري بفرنسا الشركة العامة
الابناك الفرعية في المغرب	كريدي المغرب البنك المغربي للتجارة والصناعة	بنك باريس وهولاندا	الشركة العامة المغربيةللابناك ـ البنك الامريكي ـ الفرنسي السويسري للمغرب ـ الشركة المغربية للقرض والبنك ـ شركة البنك في المغرب
مقاولات توجد على أرض الوطن وتخضع لمراقبة أبناك أجنبية	ـ الشركة الفلاحية لايت يازم ـ زيوت لوسيور ـ شركةالاستثمارات الزراعية في المغرب ـ الشركة العقارية والبناء للمغرب ـ شركة المساهمة والمراقبة ـ مناجم زليجا ـ شركة المعدن والصلب	ايدروليك افريقيا ـ المغرب هامل افريقيا فرانس اوتو اومنيوم شمال افريقيا	الشركة العامة للمغرب أومنيوم افريقيا الشمالية بنوروبا ـ المغرب
مؤسسات الدولة المغربية التي لها مساهمات في المقاولات الاجنبية	مكتب الابحاث والمساهمات المعدنية مكتب الفوسفاط	مكتب الابحاث والمساهمات المعدنية المكتب الشريف للفوسفاط	مكتب الابحاث والمساهمات المعدنية المكتب الشريف للوفوسفاط

فلسطين جديدة في أرض الصحراء

انفاس

تقديم

نعم ، (فلسطين جديدة في أرض الصحراء) • لان من تمعن في اتجاه الاحداث ، وتابع تطور مشكل الصحراء ، وادرك السياسة الاستعمارية الاسبانية ، وأهمية المنطقة اقتصاديا وعسكريا • وغض النظر عن العجعجة اللفظية حول (مغربية الصحراء) أو (جزائريتها) أو موريطانيتها) لانها جميعا تدور في نفس الفلك التقسيمي الاستعماري وتحتفظ بالصحراء كقاعدة عسكرية لضرب حركة التحرر الوطني والقوى الثورية في غرب البحر الابيض المتوسط •••

لادرك أن حديثنا عن فلسطنة الصحراء أو روديسيا الجديدة ، ليس من باب الاغراء الصحفي المبتذل ، انه واقع تعيشه الجماهير الصحراوية ، وتحبل به الاتجاهات الامبريالية •

وفي هذه المرة ، تقوم مجلة انفاس من جديد لتدق ناقوس الخطر ، وتوعي الجماهير المغربية بحقيقة ما يحاك لها في الخفاء ويهددها مستقبلا •

وخلاصتنا ، وبكل جراة ، وبكل ثقة في قدرة الشعب العربي في المناطق المحيطة وفي القوى الثورية الاسبانية• ان مسالة تحرر الصحراء توضع ضمن سياق تحرر الشعوب المحيطة بها ، وبدعم قوى من القوى الثورية الاسبانية ، ومنطلق هذه العملية التحررية ، ودعامتها الاساسية ، استقلال الجماهير الصحراوية في المبادرة من أجل التحرر • وكما تعلمنا كل التجارب الثورية ، ان التحرر من الاستعمار لايمكن أن يكون الا بالكفاح المسلح ، مع مراعاة خصائص البلد وقوته السكانية والجغرافية •

ولهذه الاسباب بالذات ، نطرح ضرورة دعم مثل هذا النضال الفدائي من الخلف بقواعد انطلاق أخرى ، ومن جميع الجهات المحيطة بالصحراء •

اننا أمام غزو استيطاني وخاصة بعد موت الدكتاتور العجوز فرانكو ، أمام روديسيا جديدة أمام فلسطين جديدة في الموقع الغربي من البحر الابيض المتوسط ، ولان العديد من القراء لايعرف الكثير عن الصحراء ، فقد حاول عرضنا أن يعطي معلومات أولية تعريفية مع الاحتفاظ بالخلاصات الاساسية •

ومن الافضل أن نعرض للقارىء المنهج الذي تبعه التقرير ـ الدراسة :

(١) الموقع السكاني
(٢) نبذة تاريخية
(٣) الموارد الاقتصادية
(٤) التركيب الاجتماعي وتطوره
(٥) الحزب المسلم
(٦) حوادث يونيه ٧٠
(٧) الاطماع المتنازعة والاحتمالات الواردة
(٨) طريق التحرير

١ ـ الموقع والسكان «

تتكون الصحراء من منطقتين أساسيتين : الساقية الحمراء ، ووادي الهب · وتسمى في الاصطلاح الحالي «بالصحراء الاسبانية» · وتقدر مساحتها بـ ٢٨٨ ألف كلم مربع · يحدها من الشمال المغرب ، ومن الشرق الجزائر ، ومن الجنوب موريطانيا ، ومن الغرب المحيط الاطلسي ·

يقدر عدد سكانها ، مع التحفظ ، بـ ٢٥٠ ألف نسمة ؛ جل السكان عرب ، ويدينون بالاسلام ، الذي يعتبر بالنسبة لهم ، احدى المقومات الاساسية لشخصيتهم المتميزة ضد الغزو الاسباني ·

٢ ـ نبذة تاريخية موجزة :

حاول الاستعمار التسرب للمنطقة منذ القديم ، ولكنه فشل عدة مرات · وقد حاول في البداية استغلال التركيب القبلي ، لاذكاء التناقضات والفتنة بين القبائل ، ولكن محاولاته لم تنجح ·

وبعد فترة ، بدأ يتسرب عن طريق التعامل التجاري مع اهالي المنطقة ؛ فاول قافلة تجارية دخلت المنطقة كانت في سنة ١٨٨٠ ، وذلك عن طريق المقايضة بالسمك (بيع البضائع مقابل أخذ السمك ، ،)

ثم صارت هذه القوافل الخارجية تبني مراكزا لها ، وهي عبارة عن «براكات» تقيم بها حامية قليلة العدد (١٠ جنود) مهمتها حماية البضائع المستوردة ·

وفي سنة ١٩١٢ ، لم تشهد المنطقة أي استعمار مباشر ، بل بقيت على تلك الحال حتى سنة ١٩٥٦ وما بعدها · ولعل ذلك راجع في الغالب لفقر المنطقة واقتصار الاستغلال الاجنبي على اعتبار المنطقة سوقا صغيرة لترويج البضائع دون حاجة الى وجود استعماري مباشر ·

ورغم ذلك ، فقد قاوم السكان حتى ذلك الوجود البسيط للاستعمار ، وطالبوا بطرد الاسبانيين نهائيا ، وحملوا السلاح في وجه اسبانيا بقيادة جيش التحرير المغربي · ويسجل التاريخ معركة الدشيرة العظيمة ، التي وقعت سنة ١٩٥٦ ، ودامت ٥ أيام ، وتكبدت فيها قوات الاستعمار الاسباني خسارة ثلاثين ألف جندي ·

رمع مجيء استقلال المغرب سنة ٥٦ ، وقع توقف جيش التحرير المغربي · لكن السكان لم يرضخوا · فطلب منهم المغرب أن ينضموا الى القوات النظامية ، ورفض جزء منهم هذا الطلب باعتبار أن الاستقلال الشامل لم يتحقق ، وأنه لابد من استمرار الكفاح ومقاومة الاستعمار · وتجمهروا جنوب طانطان في مكان يدعى «الشبيكة» ، واثر ذلك وزعت عليهم السلطات المغربية منشورات تناشد عواطفهم وولاءهم ، ولكن السكان تشبثوا بصلابة بمبدأ استمرار المقاومة من أجل تحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب ·

ثم قام النظام المغربي باتصال في مستوى عالي مع رؤساء القبائل ، وذلك في مؤتمر «بوخشيبية» ، من أجل اقناعهم بالانضواء في القوات النظامية ؛ لكن السكان رفضوا ·

وأمام هذا الوضع ، استغلت فرنسا الظرف ، وأشعلت خلافا قبليا حربيا دام سنة تقريبا ، وكان المغرب بدوره يساند في هذا الخلاف احدى القبائل ، في صراعها مع الاخرى ·

وكان واضحا أن الهدف من هذه الدسائس من مختلف الجهات ، هي القضاء على بقايا جيش التحرير ، وتصفية روحه بين السكان ، واشعال الفتن القبلية الاهلية لالهاء السكان عن الاعداء الحقيقيين ·

وحاولت فرنسا سنة ١٩٥٨ ، تشكيل جمهورية في الصحراء ، تكون عاصمتها تندوف ، فرفض الشيوخ على أساس تأكيد الانتماء للمغرب ·

ثم تقدمت اسبانيا ، ورحبت بهم ومنحتهم بعض الاسلحة ، واتخذت من قوادهم رؤساء عسكريين للمنطقة ··

وبعد استقلال الجزائر ، بقيت منطقة تندوف بدون تحديد ، فاعلن السكان عن مغربية المدينة ، ولكن الجزائر تدخلت فاجبرتهم على الاستسلام ، ثم عملت على دمجهم في المجتمع الجزائري ·

تنقلب على السكان ، وتكشف عن نواياها الاستعمارية ·

وفي سنة ١٩٦٤ ، حين ظهر الفوسفاط ، بدأت اسبانيا

أمام الوضع الجديد ، اضطرب السكان ، فبدأ بعضهم يلجأ الى المغرب ، والبعض الآخر يعتزل ، وبقي ينادي بعدم شرعية مواقف اسبانيا ، ويحرض السكان ·

وبدأت المعارضة تنمو في البوادي وبعض المدن ، في الوقت نفسه الذي كانت اسبانيا تؤسس مدينة العيون ، وتهجر الاسبانيين اليها ، وتؤسس فيها مراكز التبشير المسيحي · الا أن موقف السكان ظل سلبيا ، ينحصر في المعارضة الصامتة ·

وفي سنة ١٩٦٧ ، كانت اسبانيا قد هيأت كل شيء لتثبيت وجودها الاستعماري ؛ اذ أقامت قواعد عسكرية لها في كل من مدينة «العيون» و «سمارة» ، و«الداخلة» و «المحبس» ، وأقامت حكما عسكريا في وجه أي انتفاضة للسكان ، عند هذا الحد ، بدأت تطورات سياسية هامة ، سنرجع اليها في نقط أخرى آتية ·

٣ ـ الموارد الاقتصادية :

يعتمد السكان في عيشهم أساسا على الحياة الرعوية (تربية الابل) ، وصيد الاسماك ، والتجارة · ومنذ سنة ١٩٦٥ ، وقع تطور جديد أعطى لهذه المنطقة أهمية خاصة باكتشاف مناجم الفوسفاط والحديد ، والبترول والغاز الطبيعي ·

فيما يخص الفوسفاط ، يوجد بالمنطقة احتياطي مهم ، ويرتكز في منجمي بوكراع ، وتشلة ، اللذين سيتمكنان من تصدير كمية مهمة سنويا · ويمتاز هذا الفوسفاط بجودة نوعية حسنة ·

ويرتكز الحديد في منطقة «الكويرة» ، و «رأس بوجندور» الا أنه لازال لايستغل ، وكذلك أمر البترول والغاز الطبيعي ·

واكتشفت الشركة الفرنسية «س·ج·ج·» في شهر اكتوبر الاخير البترول في منطقة «اديات امركبة» ، (امركبة نوع من النبات) ، قرب «السمارة» · ويوجد هذا البترول على السطح تقريبا ، وبكميات ضخمة ، بحيث يسهل استغلاله · لكن البدأ باستخراجه لازال لم يقع ·

هذه الموارد تجعل المنطقة محل اطماع استعمارية واسعة وكثيرة ·

٤ ـ التركيب الاجتماعي وتطوره :

يتلخص الوضع الاجتماعي في استمرار وجود التكوين الرعوي القبلي ، وبداية التمدن ، وبداية التمايز الطبقي ·

أ) ـ التكوين القبلي :

يطغى التكوين الاجتماعي العشائري ـ القبلي على البادية في الصحراء · ويرتبط هذا بنوعية وسائل

الانتاج المنحصرة في تربية الحيوانات وخاصة منها الابل ، وحيث تنعدم الفلاحة ، والاستقرار الجغرافي للقبائل ٠

وتنحصر الصناعة التقليدية في اطار عائلي موجه لسد الحاجات الخاصة بالقبيلة ، ولازال تسويق هذه البضائع ، في اطار سياحي مثلا ، ثانويا ٠

وتنظيم العمل في هذا المجال يعتمد على «وراثة الحرفة» واستخدام المعلمين» ٠ واذا كان نظام التوزيع الوراثي لملكية وسائل الانتاج وموارد العيش حسب القانون الاسلامي ساريا ، فان استغلال مجموع الممتلكات يقع ضمن «العشار» ، أي أن وسائل العيش يستفيد منها الجميع في اطار عائلي وقبلي ٠ ويوازي هذا التنظيم ، سيادة القيم الانسانية المعروفة عند البدو من شهامة ، وعقلية جماعية ، وكرم الخ ٠٠٠

والاصل في شيخ القبيلة أي رئيسها ، أنه لايمتاز على غيره الا بكونه صاحب علم وشرف وكرم ، ويشتغل بملكيته تماما كبقية أعضاء القبيلة ٠

أهم القبائل ست (٦) : الركيبات ، ازكيين ، أولاد تيدرارين ، أولاد دليم ، العروسيين ، قبيلة ماء العينين ٠

ويختلف النشاط الاقتصادي السائد حسب القبائل ، فمنها ما يوجد أغلبها خارج الصحراء في احدى البلدان المجاورة ومنها ما يغلب عليه الترحال ، ومنها من يشتغل خصوصا بصيد السمك ، أو بالتجارة ٠ وطبيعي أن ينتج عن ذلك اختلاف في مستوى العلاقة وبالتالي مستوى التناقض حاليا مع الاستعمار ، وكذلك مستوى الارتباط باحدى البلدان المجاورة ، من قبيلة لاخرى ٠

هذه الوضعية القبلية تعتبر عنصرا معرقلا لنمو الوعي الجماعي ، ولحم مجموع الجماهير في نهوض عام وموحد ضد الاستعمار ٠ ولعبت مختلف الدوائر الاستعمارية والرجعية على العقلية القبلية لعرقلة ذلك النهوض بالضبط ولمحاولة تحقيق أهداف سياسية في غير مصلحة الجماهير الصحراوية ٠

ب ـ بداية التمدن ،

أول عامل موضوعي «للتمدن» ، أو لظهور اللبنات الاولية لنشوء مراكز حضرية كان مجيء القوافل التجارية الاستعمارية ، التي كسرت وضعية «الانغلاق» وبدأت تروج العملة النقدية الخ ٠٠٠ الخ ٠٠٠ وتتمركز المصالح التجارية الامبريالية في لاس بالماس (الجزر الخضراء) ٠ وتعتمد على وسطاء صحراويين ، تأخذ منهم أقساطا باهضة مقابل تسبيق البضائع لهم بعد أن ترى أن فيهم الضمانات الضرورية ٠

وهناك أيضا كعامل ثاني ، احداث جيش نظامي دائم ومأجور ٠

وهناك أخيرا ، وعلى الخصوص ، اكتشاف معادن الفوسفاط والحديد ، وبداية استغلالها ، ونمو مراكز حضرية لتجمع السكان واستقرارهم ٠

أهم المراكز الحضرية الاولية ، الناشئة :

ـ العيون : وهي العاصمة ، ويقدر سكانها بـ ٢٠ ألف نسمة ٠ وهي أكبر مركز تجاري ، كما تشهد حركة سياحية ٠ يربطها خط للسكة الحديدية بالمنجمين الفوسفاطيين بوكراع وتشلة ٠ وتتوفر على ميناء كبير يتسع لاكثر من باخرتين النقل ٠ كما توجد فيها المدرسة الثانوية الوحيدة الموجودة في الصحراء ٠

ـ الداخلة : ويسود فيها صيد السمك ٠ كما نقلت اليها الولايات المتحدة الامريكية القاعدة العسكرية التي اضطرت الى اجلائها من ليبيا ٠

ـ السمارة : وبها ثكنات عسكرية ٠ كما يوجد قربها احتياطي البترول ٠

ـ الكويرة : وهي مركز معدن الحديد . ولها أهمية سياسية نظرا لقربها من «ابطيح ازويرات» المدينة الموريطانية التي تتمركز فيها شركة استخراج الحديد ، والحركة العمالية النضالية دائمة فيها ، والكويرة تنقل أصداء وتأثيرات هذه الحركة النضالية الى بوكراع حيث يوجد أكبر تمركز للعمال (حوالي ٢٠٠٠٠ عامل ما بين صحراويين وأجانب اسبانيين وغيرهم) .

ـ المحبس : وهي أيضا ثكنة عسكرية ، لها أهميتها الاستراتيجية نظرا لقربها من حدود البلدان المجاورة الثلاثة « الجزائر ، وموريطانيا ، والمغرب .

وطبعا لازالت هذه البوادر الحضرية جنينية ، بحيث لم تتبلور بعد كوحدات اقتصادية متكاملة التركيب ، وبحيث ينحصر نموها في حدود الحاجات الاقتصادية والعسكرية للاستعمار ، ولكنها مع ذلك أساس موضوعي لاضمحلال العلاقات العشائرية ، وتطوير تناقضات اجتماعية جديدة .

ج ـ ملامح التمايز الطبقي :

ـ أول ملاحظة في هذا الاطار أن الاستعمار بدأ يستقطب شيوخ القبائل ، ويجعل منهم أدوات لسيطرته مقابل امتيازات مادية وسياسية ؛ وقد صارت تتشكل هذه الفئة على أساس أرسطقراطي رجعي وعميل . وعادة ما تبدأ القبيلة بالشعور بامتيازات ووصاية الشيوخ وتعاملهم مع الغزاة الاسبانيين . ولاشك أن صعود الكفاح التحرري سيفضح بشكل صارخ خيانتهم التامة لقضية الجماهير . كما أنهم يعتبرون العماد المحلي للمناورات الاستعمارية الرامية الى اجهاض الوعي التحرري وسد الباب في وجه العواصف الثورية التي تهدد أبعد المصالح الاستغلالية الاجنبية ، المعدنية والتجارية والعسكرية .

ـ أما التجار فيشكلون فئة لابأس بها ، وهم عادة في تناقض مع الاحتكارات الاستعمارية التي تأخذ منهم اقساطا مجحفة ؛ هذا بالاضافة الى أن مقتضيات الكرم، وتسخير الارباح الضئيلة لضمان عيش كثير من الاشخاص في آن واحد تدفع بكثير منهم نحو الافلاس .

ـ هناك فئة من الصحراويين المنضوين في الجيش ،

ـ أما الطبقة العاملة فحديثة العهد ، اذ واكبت نشأتها عملية استغلال منجم الفوسفاط (على يد شركة رباعية بمساهمة رؤوس أموال اسبانية وفرنسية وأمريكية والمانية) . ولاشك أن اتساع هذا الاستغلال سيفرض نموها الكمي اكثر فأكثر .

لكن السلطات الاستعمارية الاسبانية تتبع منهجا خاصا في تكوين هذه الطبقة العاملة . فهي تفتح سجلات في القبائل لكل من يريد العمل في المناجم ، وتأخذ منهم الصور وعقود الازدياد وغير ذلك ، وفي كل مرة تستدعي قسما ضئيلا منهم للعمل في المنجم ، لكن ، ليس بصفة دائمة ، وانما لمدة ثلاثة أشهر فقط ، يتقاضى العامل خلالها أجرة قدرها الاجمالي ٨٠ الف فرنكا . وبعد هذه المدة يسرح العامل نهائيا من العمل على أساس أن يتقاضى من الشركة مقابل بطالته الدائمة تعويضا قدره ١٠٠٠٠ فرنك للعامل المتزوج و ٧٥٠٠ فرنك للعامل الاعزب (شهريا) . والرقم التقريبي لعدد العمال الصحراويين ٢٠ الف عاملا ، منهم ١٥٠٠٠ تعيش في البطالة المعوضة . وأغلب العمال المستقرين والدائمين هم اسبان ، جلبتهم السلطات من بلدها للعمل في الميناء والسكك الحديدية وحتى في قسط من المناجم .

ولا مجال للحديث عن أية حرية نقابية ، وعن أية مساواة داخل العمل ، طبعا . والسياسة الاستعمارية الخبيثة في تشكل الطبقة العاملة كطبقة مستقرة قائمة

بذاتها يضر طبعا بامكانيات النضا لالعمالي وتطور الوعي الجماعي للعمال • لكن وضع عدم الاستقرار ، والاضطهاد داخل المعمل خلال فترة العمل ، يسمح بنمو وعي مناهض للاستعمار ، ينقله العمال الى البادية عند عودتهم •

ـ وهناك أخيرا الفئات الشابة «المبلترة »والعاطلة • وتمثل اغلبية السكان ؛ ولازالت احدى خصائصها عدم الاستقرار الجغرافي بحيث تنتقل باستمرار بين البادية والمدينة • وهذه الفئة شديدة التذمر من الاوضاع الاستعمارية ، وجذرية في موقفها من الشيوخ الخونة • وفي مقدمتها فئة متعلمة وعاطلة ، تعلمت محليا ، أو رجعت الى بلادها بعد أن كانت في مدارس البلدان المجاورة كالمغرب • وهذه الفئة حيوية ومرتفعة الوعي طبعا ، وعادة ما تجدها في قطيعة تامة مع مخلفات العقلية القبلية • ويمكن الجزم على أنها تمثل رأس رمح حركة التحرر وعمادها الاول •

ـ والى جانب هذه الفئات المتقدمة من الجماهير ، فان «البادية» لايمكنها أن تبقى في موقفها الغير الايجابي من الاستعمار طويلا • خصوصا وأن الاستعمار الاسباني في اطار تخوفاته ، يعلف الشيوخ العملاء ، ويستفز القبائل الرحل ، اذ يفرض حدودا لمناطق تجولها ، ويخضع الاسواق لرخصته (منذ ١٩٦٧) الخ •• ويقيم الثكنات والقواعد العسكرية في عدد من نقط أرض الصحراء •

٥ ـ الحزب المسلم :

يمكن القول أن «الحزب المسلم» كان رد فعل أولي على محاولات الاحتواء والاستغلال من المصادر الامبريالية والرجعية •

ففي سنة ١٩٦٧ ، كون المغرب «جبهة» من بعض الموظفين المغاربة الصحراويين ، وأعطى رئاستها لحمدي بن سالك ، لتكون كواجهة لاقرار مطالب الحكومة المغربية أمام هيئة الامم المتحدة في كون الصحراء مغربية (الجماهير الصحراوية لم تؤيد هذه «الجبهة» لان ماضي زعمائها سيء) •

واهتدت اسبانيا لنفس المنهج فشكلت بدورها وفدا ادعى أنه «الممثل الشرعي» للسكان ، بقيادة المستشرق (راخيل) رئيس المخابرات الاسبانية في المنطقة •

وقامت موريطانيا من جهتها تطالب بالصحراء «كجزء من أراضيها» • **وامام هذه المناورات بدات قناعة اساسية تتكون عند السكان وهي ضرورة تشكيل حركة مستقلة تناضل من اجل الحقوق الشرعية والحقيقية لسكان الصحراء ، بالاعتماد على قدراتهم النضالية الذاتية بالدرجة الاولى ، وبعيدا عن كل المناورات التي تحاك ضدهم ، ومن أجل القضاء على الوصاية التي تحاول أن تفرضها عليهم الدوائر الامبريالية والرجعية•**

وقد كان الحزب المسلم التعبير الاولي عن هذا الاتجاه • وقد تأسس في شهر دجنبر ١٩٦٦ ، معتمدا في البداية على افكار خطري ولد الجماني المعادية للوجود الاستعماري ، ثم تعزز بأفكار بصري محمد (بفتح الصاد) ، الذي دخل المنطقة سنة ١٩٦٧ ، هاربا من متابعة الشرطة المغربية ، التي جرها عليه موقفه المعادي لتاسيس «الجبهة» المغربية ، والذي أعلن عنه في مجلة «الشموع» •

وقد تكون الحزب في سرية تامة ، في مدينة سمارة ، معتمدا على الاقرباء والاصدقاء المخلصين ، وكون لـه صندوقا ماليا اعتمادا على الواجبات المالية التي يدفعها الاعضاء (يدفع العضو في البداية ٢٠٠٠ ريال اسباني ، ثم يدفع بانتظام ٥٪ من أجرته) • وقد انتمى اليه السكان من كل الفئات (عمال ، جنود ، أصحاب المهن الحرة) •

وحدد الحزب مبادئه الاساسية كما يلي :

١ ـ تحرير الصحراء من الوجود الاسباني •

٢ ـ الانضمام الـى المملكة المغربية مع الاحتفـــاظ بحقوق السكان كاملة • لكن التطورات فيما بعد وضعت خلافا شديد الحدة بين قادة الحزب حول هذه المسألة •

٣ ـ طريق التحرير هي الحرب المساحة ، المعتمـدة على جيش وطني من السكـــان •

وعلى هذا الاساس جمع الحزب الاموال ، وحـــاول شراء الاسلحة ، ولكنه لـم يحصل عليها من أي مـــن البلدان الثلاثة المجاورة • ووقف عند مرحلـة تكديس الامـــوال •

٦ ـ مسلسل حوادث جـوان ١٩٧٠ ، وأهميتهـا السياسيـــة :

في سنة ١٩٧٠ ، عرفت الديبلوماسية المغربية تحركا واسعا استهدف الحصول على بعض الغنائم ، مع تكريس الوضع الاستعماري بشكل من الاشكـال •

وفي اطار المزايدة أمام الرأي العام الدولي ، نظمت اسبانيا حفلا كبيرا في مدينة العيون جلبت العديد مـن المبعوثين الصحفيين من كثير من البلدان وعن كل وسائل الاعلام • وبعثت اسبانيا من جهة اخرى بشاحناتها لجمع السكان من البوادي لاشراكهم في الحفـل •

وشعر الحزب المسلم باللعبة ، فقرر المشاركة ، وجمع عددا كبيرا من انصاره وبنى خيامه الخاصة ، ونظـم حفلا خاصا به في ربوة تشرف على مكان الاحتفـــال الاسبانـــي •

كان الموجودون في الخيام الاسبانية ، من جاليـــة اسبانية ، ومستشرقين وشرذمة مـن الخونة ، ينـادون بحياة «الرابطة الاسبانية ـ الصحراوية» •

وكان الشعب في صمت رهيب في خيام الحزب المسلم • وبعث الحاكم العسكري للمنطقة رئيس الشرطة والخائن المساعد له ، ليطلبا من هؤلاء «الانضمام الى السكان» في الخيام الاسبانية» والتباحث مع السلطات في مطالبهم • وأجاب الجميع : «الصحراويون موجودون هنا ، أمـــا الموجودون في خيامكم فهم اسبان مستشرقون أو عمـلاء الاسبان • وبعد استشارة رئيس الشرطة مـع الحاكم العسكري العام وقع الاتفاق على «ضرورة تطويعهم» • وذهب رئيس الشرطة ومعه فريق بقصد اجبارهم علـى القدوم • لكن السكان نهروه ، وأعلنوا لـه أن دخـول الخيام ممنوع عليه لانهم لايقبلون بتحرك اسباني فـي المنطقة بدون ارادة الصحراويين ، من الان فصاعدا :

وغضب رئيس الشرطة فأخرج مسدسه وأطلق النار وأردى أحد السكان قتيلا • (وقع ذلك يـوم الاربعاء ١٧ يونيو ١٩٧٠ على الساعة الخامسة عشية) •

عندها ، أخذ أحد السكان صخرة وضرب بها قائـــد الشرطة على صدره وانتزع منه مسدسه ، وأفرغ الرصاصتين الباقيتين في اتجاه الشرطة الاسبانية ، ففرت هـــذه الاخيرة لتخبر الحاكم العسكري بما وقـع •

وجمع الحاكم العسكري توقيعات ما يسمى بالسكان (أي عملاء اسبانيا) • واعطى الاوامر للقوات النظامية بتطويق الحزب في خيامه واطلاق النار عليه من كـــل صوب • ففر كثيرون من السكان ، وسقط آخرون شهداء • وظلت الطلقات النارية تسمع في مدينـة العيون حتـــى

الساعة الثانية ليلا، تم منع التجول لمدة ثلاثة أيام ·

وقد صرحت اسبانيا بسقوط احد عشر قتيلا · لكن الحقيقة أكبر من ذلك · ويضاف اليها أن اسبانيا أحرقت بالبنزين ٣٥ شخصا في غابة وادي الساقية البعيدة عن العيون بـ ٢٠ كلم ·

والمؤكد أن كل من عثر عليه الاسبانيون زجوا به في السجن · وقد حصلوا على كل وثائق الحزب وأمواله ·

أما رؤساء الحزب ، خصوصا بصري محمد ، ومحمد بن لوشاعة بن البصير، وخمسة أفراد آخرين ، فان السلطات الاسبانية وحدها عالمة بمصيرهم لحد الساعة ·

وقد تبع هذه الاحداث ثلاثة تطورات أساسية :

ـ تعمق الوعي الوطني التحرري للسكان ، وتوسع الاستعدادات النضالية فيهم ·

ـ تعمق الاشمئزاز من موقف الانظمة المجاورة ، وبالتالي تعمق الارادة على شق التحرير باستقلال سياسي ، واعتمادا على الامكانيات الذاتية بالاساس ·

ـ غياب القيادة الوطنية ، لان المعارضة احتوتها السلطات الاستعمارية · ومن أهم الاشارات الى ذلك أن خطري الجماني ، أحد المؤسسين الاولين لاحزب المسلم، انضم الى «برلمان» الصحراء · وقد نادى في البداية بالمغربة ، ثم صار ينادي بالحماية لفترة مؤقتة يتم خلالها تكوين الاطر» · وهو الان من «الممثلين» الصحراويين السبعة المنتدبين في البرلمان الاسباني المدعو (الكورتيس) · (يتكون «برلمان» الصحراء من ٤٠ عضوا ، ينتدب من بينهم ٧ اعضاء الى الكورتيس الاسباني) · **وهذه التطورات السياسية تجعل جماهير الصحراء تتطلع الى قيادة ثورية جديدة ، لنضالها التحرري ، وهي تعقد كل آمالها على الشباب ·**

٧ ـ الاطماع المتنازعة ، والاحتمالات الواردة :

● أول ظاهرة بارزة هي عمل اسبانيا على ضمان نفوذها ومصالحها الاساسية في المنطقة · وبالاضافة الى التطويق العسكري ، والقمع الوحشي ، والمضي قدما في ابتزاز خيرات ارض الصحراء ، صارت اسبانيا تشرك معها الامبرياليات الاخرى في الاستغلال ، حتى لاتبقى معزولة في سياستها عن الامبرياليات العملاقة ·

وضمن هذا الاطار تدخل سياسة الشركات المتعددة الاطراف لاستغلال المناجم · وهناك ايضا حدثان دبلوماسيان هامان ، يرتبطان بعموم استراتيجية الامبريالية في المنطقة ، تلك الاستراتيجية الرامية الى بناء قاعدة عدوانية سياسيا وعسكريا في المنطقة ومراقبة مجموع غرب الوطن العربي ، وضرب حركات التحرر الافريقية ·

فقد وقعت اسبانيا وفرنسا سنة ١٩٦٩ ، معاهدة للدفاع المشترك لتأمين مصالحهما الامبريالية في الصحراء وموريطانيا بالخصوص ·

كما وقع تمديد معاهدة بين أمريكا واسبانيا سنة ١٩٧٠ ، تقبل بمقتضاها اسبانيا بتمديد وجود القواعد الامريكية في قلب اسبانيا ، مقابل قيام أمريكا بتثبيت وجود اسبانيا في الصحراء « بقواعدها العسكرية في المنطقة ، وبنفوذها السياسي لدى بعض الاطراف المنازعة لاسبانيا ، وبنفوذها الديبلوماسي على الصعيد الدولي ·

● الظاهرة الثانية هي تطورات المحور الثلاثي : المغرب ـ الجزائر ـ موريطانيا ·

والحلقة الهامة في هذا الصدد هي مؤتمر نواديبو المشهور ، والذي فشل حسب اعتراف ديبلوماسي ·

ويظهر أن المؤتمر دار بوضوح حول موضوع التقسيم الى ثلاثة أجزاء :

١ ــ المنطقة الشمالية الغنية بالفوسفاط، تتبع المغرب ٠

٢ ــ المنطقة الجنوبية الغنية بالبترول ، تتبع موريطانيا ٠

٣ ــ يعطى للجزائر منفذ على المحيط الاطلسي لتمرير معادنها ٠ ووقع خلاف بين المغرب وموريطانيا حول موقع منفذ الجزائر ، حيث يريد كل طرف أن يقع في الجزء التابع للطرف الاخر ٠

وقد أساء هذا الموقف التقسيمي طبعا الى سمعة الانظمة القائمة عند جماهير الصحراء مرة أخرى ، وأكد عندها ارادتها في شق طريق تحرير نفسها بنفسها ٠

أما فيما يرجع لتناقضات الاطماع بين دول المحور الثلاثي ، فيظهر أنها قد خفت ٠

مما يشير الى ذلك ، من جهة موريطانيا ، كلمة ولد دادة في المؤتمر الافريقي الاخير (١٩٧١) ، حيث قال : «يجب أن نعمل على زوال الاستعمار من منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب» ، وهذا في موقفه لانه قبل ذلك أكد في عدة مناسبات على «أن اعتراف المغرب بموريطانيا لايلغي مطالب موريطانيا في الصحراء» ٠

ويظهر أيضا أن الجزائر لم تعد تنازع النظام المغربي ، ربما مقابل :

ــ اعتراف المغرب بسيادة الجزائر على تندوف ٠

ــ اقرار وضعية الحدود الحالية بين البلدين ٠

ــ اتفاق النظامين في معاهدة ايفران على الاستغلال المشترك لمعادن الحديد في الجبيلات قرب تندوف ٠

وارتبط المغرب بدوره مع اسبانيا ، بمعاهدة لحسن الجوار والتعاون الفني والثقافي ٠

● وهناك الان ثلاثة احتمالات لتطور الوضع السياسي للمنطقة ٠

ــ أولها التقسيم ، ويروج في الدوائر الرسمية الاسبانية ، حيث يقبل نظام الجنرال فرانكو بهذا التقسيم ، ويرفضه الجنرالات المتشبثون بالسيطرة الكاملة والمباشرة على المنطقة ٠ ويظهر أن المغرب قدم اقتراحا يتضمن اعطاء المغرب جزءا من الفوسفاط على أساس أن مردود استغلال المناجم يتم توزيعه بين أمريكا واسبانيا والمغرب ٠ ويتضمن أيضا سيادة المغرب على المنطقة ، مع ترك «الداخلة» (حيث صيد السمك) في يد الاسبانيين لمدة ثلاثين سنة مع الاحتفاظ بالقاعدة العسكرية الامريكية فيها ٠

ــ ثاني الاحتمالات ، هو الحكم الذاتي ، ويتضمن أن تشكل حكومة من رؤساء القبائل ، لكن تحت الحماية الاسبانية لمدة معينة في انتظار «تكوين اطر محلية» ٠ وقد كان هذا الشعار رائجا حتى عام ١٩٧٠ ، حيث صار يختفي ٠

ــ ثالث الاحتمالات هو حكم الاقلية الاسبانية ، على طريقة روديسيا ٠ ومن مقومات هذا الاحتمال :

١ ــ هناك ترحيل الاسبانيين باعداد كبيرة ، قصد جعلهم يشكلون ضغطا سكانيا على طريقة الاستعمار الاسكاني لارض فلسطين ٠ وقد بدأ هذا التهجير في الستينات ، وتمنح لكل المهاجرين الاسبانيين أقدمية عشر سنوات زورا في المنطقة ٠

٢ ــ تعلق العسكريين بالمنطقة ، التي اثروا على حسابها ٠ ويلاحظ من جهة اخرى ، تعلق حركة تحرير «لاس بالماس» (جزر الخالدات) بالمنطقة حيث يريدون بناء دولة صحراوية بقيادة تلك الجبهة) ٠

٣ ــ في حالة زوال النظام الفرنكي ، فان الصحراء مرشحة للانفصال أكثر من بوركوس ومن لاس بالماس ٠

٤ ـ الاسبانيون يدعون السكان الى مقارنة ساوكهم في المنطقة ، بأعمال البرتغاليين في جنوب افريقيا ٠

٨ ـ طريق التحرير :

ان المعطيات الاساسية في مسألة الصحراء ، تلك المعطيات المترابطة بين بعضها البعض يمكن اجمالها كالاتي :

ـ استمرار ورسوخ الهوية العربية لجماهير الصحراء ، وتشبثها بتلك الهوية ٠

ـ تصاعد الوجود الامبريالي باتجاه تحويل المنطقة الصحراوية الى قاعدة عدوانية على مجموع المنطقة العربية والافريقية المحيطة ٠

ـ انكشاف النوايا التوسعية والتقسيمية والاستغلالية البغيضة من طرف الرجعيات المحيطة بأرض الصحراء ٠

ـ تصاعد ارادة الجماهير الصحراوية في فرض استقلالها السياسي ، ورفض الوصايات الديبلوماسية والسياسية ، والاعتماد بالاساس على امكانياتها الذاتية لشق طريقها في درب التحرير ٠

ـ غياب قيادة وطنية صلبة لحد الان ، خصوصا بعد ان تعرضت المعارضة القديمة لقمع ، وبعد أن انضوت بقيتها ضمن المؤسسات الاستعمارية ٠

ـ ارتكاز كل الامال في اعطاء القيادة الثورية البديل في الطلائع الشابة الثورية الصلبة ٠

هذه المعطيات ، تمكن من تحديد الملامح العامة لتطور نضال جماهير الصحراء ٠

أ ـ الدور الطليعي لجماهير الصحراء في تحرير المنطقة :

ان من العوامل التاريخية الاساسية التي عرقلت نمو حركة التحرير في الصحراء ضمن الاستعمار الاسباني والسيطرة الاقتصادية والعسكرية الامبريالية وضد الخونة المحليين ، هو التدخل المستمر خلال كل الفترة التاريخية الماضية لتطويق وتفريق المبادرات التحريرية في الصحراء وفرض الوصاية عليها من طرف الرجعية المحيطة بأرض الصحراء ، وخاصة منها من جانب الرجعية المغربية ٠ وقد وقع دوما هذا التدخل الرسمي تحت غطاء مغربية الاراضي الصحراوية ٠ ومن الواضح أن الافلاس الملموس للرجعية على صعيد المعركة الوطنية ، وتعدد ارتباطاتها وتوثق تبعيتها للامبريالية ، يجعلها في الصف المعادي عمليا لتحرير الجماهير الصحراوية ٠

ان تعمق التناقض بين الجماهير الصحراوية والسلطات الاستعمارية يسير بموازاة انكشاف التعامل الرجعي ـ الامبريالي على حسابها ، ويجعلها بالتالي تنفر من شعار «الانضمام للوطن الام» في ظل الظروف السياسية والتاريخية الحالية ٠

ومن ثم يتخذ الدور السياسي المستقل لحركة التحرير الصحراوية طابعه الحاسم في شق الطريق الفعلي الصحيح للكفاح ، طريق العنف الثوري المسلح ، الذي أكدت حوادث يونيو ١٩٧٠ حسميته وضرورته بالنسبة للجماهير الصحراوية المضطهدة ٠ ان شق هذا الطريق تحت شعار محاربة الاستعمار الاسباني والهيمنة الامبريالية في الصحراء ، بالاعتماد أولا على ذات الجماهير الصحراوية ، ليتطلب رفض الوصاية السياسية من الرجعية المحيطة بأراضي الصحراء ، بكل حزم ٠

٢ ـ ارتباط تحرر الصحراء ، بتحرر المنطقة العربية المحيطة :

ان المبدأ الاساسي اعلاه ليلغي الشعار اللفظي حول «مغربية» المنطقة ، دون أن يأتي على الضرورة الحتمية

في تفاعل النضال التحرري في الصحراء مع النضال التحرري في البلدان المحيطة بالصحراء» ٠

وهذا الطرح يلغي النزعات الاقليمية والشوفينية المختلفة سواء كانت من الجانب المغربي أو الموريطاني أو الصحراوي ذاته ؛ ويستبدل ذلك بمبدأ التضامن النضالي بين حركات التحرر في المنطقة ٠

ذلك أن خصائص المجتمع الصحراوي المتمثلة في :

– ضعف عدد السكان ٠

– الطبيعة الجغرافية الصحراوية للمنطقة ٠

– وجود «لاجئين» صحراويين في المناطق المجاورة للصحراء داخل أراضي البلدان المجاورة ٠

وخصائص السيطرة العسكرية والاسكانية الاستعمارية ، هذه الخصائص الموجزة تجعل من المستحيل تحقيق النصر على العدو الاستعماري اذا لم تعتمد حركة التحرر الصحراوية على قواعد خلفية جماهيرية ونضالية صلبة ، تماما على غرار المسألة الفلسطينية والبلدان المحيطة بها ٠ وهذا الارتباط لايلغي الاهمية القصوى المبادرة الكفاحية الصحراوية في تحريك مجمل الاوضاع المحيطة ، ووضع حد للانتظارية الديبلوماسية بممارسة ثورية ملموسة ، ورفع الوصاية باستعادة الثقة بالنفس لجماهير الصحراء ٠ وانه لمطروح على الجماهير العربية في مجموع بلدان المنطقة أن تضع التضامن النضالي مع الجماهير الصحراوية في جدول نضالها الملموس ؛ كما أن حركات التحرر في المنطقة سيكون مطلوب منها اقامة جبهة نضالية صلبة لمواجهة المخططات العدوانية والاستغلالية والتقسيمية الاستعمارية والرجعية من أية جهة كانت ، واضعة أمامها باستمرار مطلحة الجماهير في التحرر الشامل من كل أشكال الهيمنة الامبريالية ، ومتجاوزة كل منطق اقليمي وشوفيني من أية جهة كان ٠

وان الجماهير المغربية على وجه الخصوص وطلائعها ، نظرا لطبيعة الممارسات الرجعية البغيضة ، وللمواقف الاصلاحية اللفظية عليها أن تلتزم بمبدأ التضامن الفعال والعملي مع نضال الجماهير الصحراوية ، واضعة تلك العلاقة ضمن الترابط التاريخي بين ذلك الدعم النضالي ، وأهدافها هي في التحرر من الامبريالية والرجعية العميلة ٠

وأخيرا فأن على الحركة الديمقراطية في اسبانيا ذاتها أن تتضامن نضاليا وجماهيريا وبكل الوسائل مع كفاح جماهير الصحراء وعموم المنطقة ، ضمن نضالها ضد النظام الفاشي بقيادة فرانكو والرجعية الاسبانية ٠



ملاحظات في :

نقد الحركة الاصلاحية وأفقها الايديولوجي

ابيراهم الخطيب

١) هذا الموضوع ليس محاولة للاجابة بقدر ماهو عملية لطرح الاسئلة ، على الآخرين وعلى ذواتنا · ولهذا فاننا لن نكون «موضوعيين» كما يريد لنا المنهج البرجوازي الوصفي ، ما دمنا نريد تفسير الحاضر انطلاقا من تجارب الماضي وتفسير الماضي كخط سير نحو الحاضر· ونحن ندرك الصعوبة التي تنتظرنا خلال هذه الممارسة ، وندرك أيضا أن الاعتراضات ستكون كثيرة وعنيفة وأنها ستصبح أحيانا اتهامات ولكن كل ذلك لن يمنعنا من البحث ، حتى نستطيع تفسير معضلتنا السياسية الحالية وعناصر الازمة المختفية من خلفها · وفي هذا الاطار ، فان الحركة الاصلاحية في الشمال انما كانت مرحلة في «خط السير الوطني» ، ولكنها رسخت ، الى جانب عناصر أخرى ، أسلوبا في التفكير وطريقة في الممارسة لايزالان ماثلين أمامنا الى اليوم · وسيكون هدفنا تحليل جذور هذا الاسلوب وهذه الطريقة من خلال تجميع بعض الملاحظات (١) (التي تعتمد أساسا على كتابات الطريس) من أجل وضع الحركة ، وايديولوجيتها، موضع تساؤل بالنسبة لظروفنا الراهنة · ولكن ، هل أصبح محظورا علينا ، الجيل الذي لم يعش كفاح الحركة الوطنية ، أن نراجع تاريخ هذه الحركة ؟ ان المهمة ليست سهلة ، وفي نظر «الكبار» نحن لسنا أكفاء لممارسة ذلك ، ولقد طالبنا مرارا أن يكتب تاريخ الحركة الوطنية ، غير أننا نعرف أيضا أن هذا التاريخ ينبغي الا يكون «كلاما في ترتيب الحوادث» بل محاولة للتصدي للمرحلة علميا · ان مؤامرة الصمت ، من جانب «المسئولين» عن الحركة الوطنية على الاسس المادية والطبقية التي سيرت الحركة لايمكن أن نعتبرها سوى نتيجة حتمية للتفكير «الانتقائي» البرجوازي الذي تظلله أوهام «الفردية» و «الطهارة» والذي أعطى الدليل مرارا على عجزه عن رؤية المضمون التاريخي ، النسبي ، للحركة ·

٢) الملاحظة الثانية : هل يمكن أن نتحدث ، داخل «الوضعية الاستعمارية» ، عن صعود برجوازي نحو انجاز مهام المرحلة الوطنية في غيبة الشرائح الطبقية الاخرى ؟ (١) اذ لاشك أن اتفاقية الحماية (١٩١٢) كانت ضربة قاسية وجهت الى البنى السياسية التقليدية ، ومؤسساتها ، وطرحت على جدول الاعمال مسؤولية تغيير الاساس شبه الاقطاعي المتخلف للعلاقات عن طريق «تجديد» وضع القوى الفاعلة أو اخضاعها ذاتيا لعملية تحول جذرية ٠ غير أن ذلك ظل معلقا ، ما دامت امكانية المجابهة المباشرة للسلطة الاستعمارية (الاسبانية ـ الفرنسية) لم تكن ، رسميا ، موضع نقاش خصوصا وأن «السلطة الوطنية» سرعان ما تمثلت الوضع كما هو ، ولم يعد ، بالنسبة لها ، يشكل أي تهديد مادام يضمن لها فرص البقاء ٠ ان مهمة «تجديد» العلاقات وآفاقها الاديديولوجية لم تكن ملقاة بالدرجة الاولى على كاهل الاستعمار (رغم أن طبيعة النهب الاستعماري كانت تقتضي ذلك) ولهذا فان ترسيخ وجوده ، تشريعيا سرعان ما أتاح له ربط صلات وثيقة مع الاقلية الاقطاعية التي كانت تساند «السلطة الوطنية» اذ ذاك ٠ وتحت ضربات التشريعات الاقتصادية التي حملتها الادارة الاستعمارية الى المدن ، بموازاة ارتفاع خط الهجرة المنظمة والمصحوبة بالتملك القسري للارض، تهاوت الاسر الارستقراطية القديمة ، وبدأت تصوراتها عن «النبالة» و «الملكية العقارية للارض كأساس حقوقي للسلطة» تذهب قبض الريح ، في حين كان «النموذج شبه البرجوازي» للاسرة يظهر ، داخل المدن ، وتنمو مصالحه الى جوار مصالح المستعمر ، وأحيانا بالتنسيق معه ، في جو «أكثر حرية» ٠ انه ينبغي التذكير بأن الاسر الارستقراطية الاقطاعية ، ذات الاساس الاقتصادي المتخلف ، لم تتهاو بصورة نهائية ، فلقد كان مطروحا عليها أن تتلاشى ، أو أن تتمثل نوعية العلاقات البرجوازية الجديدة ، (الوظيفة ، بصفة خاصة التي لم تحرمها ، بشكل تام ، من «نبالتها» ٠ لقد كان النموذج البرجوازي المغربي ، حينذاك ، في طور النشأة ، وكان فيما يبدو معجبا بالمؤسسات الاستعمارية وطريقة تسييرها ولكنه كان لايزال يعطف أيضا على الهياكل الاقطاعية التي خرج منها ، ويرى في ايديولوجيتها الدينية «أساسا ثقافيا وطنيا» ينبغي أن يخضع لتقييم عقلاني فيظل منهج «وضعي» يلبي حاجاته المتجددة(٢) ٠ في سنة ١٩٢١ ، لدى انتهاء الحرب الامبريالية الاوروبية الكبرى ، انفجرت الثورة الريفية في الشمال كرد فعل على بداية النهب الاستعماري الاسباني ، وأصبح مطروحا على جدول الاعمال الوطني مسئولية اعادة النظر في اتفاقية الحماية كليا وكان نموذج المجابهة المطروح هو النضال المسلح بوصفه «مشكلا منتهيا» بالنسبة لسكان البوادي الفقراء والفلاحين الصغار والمأجورين والطوائف المبلترة من سكان المدن والى حد ما ، بالنسبة للعمال ، خصوصا وأن الممارسة الفعلية لقبائل الشمال كانت قد أعطت الدليل على جدوى هذا الحل (٣) ٠ غير أن الشرائح البرجوازية التي أخذت مؤسساتها تترسخ تدريجيا كانت ترى أن الوقت لم يحن بعد وأنه قد آن الاوان لتجديد القطاعات الاقتصادية عن طريق تجديد العلاقات داخل السوق الوطنية (المهددة ببضائع المستعمر) و «عقلية» الممارسات فيما بينها وبين الطبقات المتوسطة التي تستهلك قدرا متزايدا من الخدمات «الحرة» وهكذا بدأت عملية «الاصلاح الاجتماعي» (الهادفة في العمق الى خلق منافذ للمزاحمة في قلب السوق الاستعمارية) تكشف عن وجهها في شكل استقطاب وتوجيه للايدلوجية الاجتماعية المسلمة نحو «النموذج البرجوازي» في جهة ، وفي جهة

أخرى استطاعت أن تمتص النقمة على الوضع الاستعماري وأن توجهها في مسارب اصلاحية ذات هدف «ديموقراطي» يضمن استقرار المصالح البرجوازية ونموها ، ويضع الطبقة الجديدة في مكان المسئول الحقيقي عن «النضال الوطني» ·

٣) الملاحظة الثالثة : في ثلاثينات القرن العشرين نشطت في الشمال (تطوان ، بصفة خاصة) حركات اصلاح اجتماعي كان يقودها برجوازيون أو ارستقراطيون سابقون استهدفت : الطرقية وبعض مظاهر «الفساد» و «التخلف» في المعاملات ، خصوصا على المستوى التجاري · لقد كان أكثر هؤلاء البرجوازيين والارستقراطيين السابقين ، ــ موظفين في «الادارة الاهلية» التي كانت توجه من طرف «الاقامة العامة» بكيفية مباشرة أو غير مباشرة (تبعا للوضع السياسي) · وقد لاقت هذه الحركات الاصلاحية ، المتشبعة بأفكار «التقدم» ، استنكارا متزايدا من طرف «رجال الدين» وبعض «العلماء» المتعاونين مع المستعمر ، لاسباب مختلفة ، غير أن الاساس التحتي لممارستها استطاع أن يضمن لها بعض الاستقرار :

أ) تنفيذ مشروع الشركة المغربية للكهرباء (شركة مساهمة رأسمالية) ·

ب) انشاء المدرسة الاهلية (تعليم مزدوج : عربي/ اسباني) ·

ج) انجاز مطبعة وطنية (مطبعة المهدية) ·

د) «الجمعية الخيرية الاسلامية» (مشروع خيري اصلاحي) ·

وفي الوقت الذي كانت فيه اعداد من المستوطنين والبرجوازيين الاسبانيين تأتي لاستغلال مناجم الاسمنت والفحم وانشاء مصانع لتصبير السمك وتمديد طرق المواصلات ، التي كانت تستعمل لاهداف استراتيجية ، كانت طوائف من اليهود المغاربة تقوم بدور الوسيط بين البرجوازية المحلية ووكلاء السلطة الاستعمارية «من أجل تحقيق قدر من التعاون» · ويبدو من الضروري تصور أن الاصلاحيين لم تكن لهم صلات بالبدو ، الذين عزلتهم الادارة الاستعمارية بعد فشل انتفاضات القبائل ، ولاشك أنهم كانوا رغم المحاولات المتكررة للاصلاحيين (كان هنالك تسييس شكلي) · وهنا ينبغي أن نلاحظ أن الممارسة البرجوازية لعلاقاتها الاقتصادية لم تكن قد تجددت بصفة كلية · هذا كان يمكن ملاحظته حتى بالنسبة للجنوب ، مع اختلاف واضح · ذلك أن ظروف التعامل الجديدة لم تكن تستثني وجود العلاقات القديمة المتمثلة في الملكية العقارية للارض ، التي كانت لاتزال تخضع لاستغلال ارستقراطي ، رغم افتراض تاجيرها ــ حسب مبدأ ديني ــ لصغار الفلاحين ، بالاضافة الى ذلك ، فان الحركة الاصلاحية ظلت «واقعا» غير مقبول ، على الجملة ، منطرف شرائح تقف على أسس طبقية متناقضة أحيانا (بعض الارستقراطيين وفئات من فقراء المدن وبعض البرجوازيين الصغار ــ الذين كانوا يعتبرونها حركة «نخبة» من الاسر) مع أن «الحكومة المحلية» ذاتها كانت قد أخذت تهيىء لنفسها بالنسبة للحركة نقاط التقاء و «تعاون» تحت شروط اعتراف الاصلاحيين عمليا بالولاء لها ، وهذا أمر لم يكن في يوم ما مكان نقاش · (كما لميكن بالنسبة للحركة الوطنية في الجنوب) · ولقد وجد الاصلاحيون في ظروف الهجمة الفاشيستية للفلانخيس Falarges ضد جمهورية الجبهة

الوطنية في اسبانيا ، بعد الاستياء البرجوازي من حالة «الفوضى» الاقتصادية التي سادت المنطقة ابان الحكم الجمهوري والفترة الانتقالية ، فرصة للاعلان فيها عن رغبتهم في تأييد التحالف الكنسي ـ الفاشستي لقاء الاعتراف بـ «حزب الاصلاح الوطني» كمنظمة وطنية سياسية تقف ، داخل السيطرة الاستعمارية ، في مواقع «المعارضة» (أن هذا الشكل من الممارسة كان عنصر ضعف أساسي في الحركة ، ولكنه تعبير موضوعي عن أهدافها الطبقية) ٠ وهكذا قوبل بالصمت قرار «الحكومة المحلية» (التي كان يرأسها اذ ذاك أحمد الغنمية) بتجنيد مئات من الفلاحين في صفوف الجيش الاسباني الفاشستي ، كحل مؤقت للوضعية الاقتصادية المتفاقمة، في حين كان بعض «المثقفين الاصلاحيين» ، الذين سموا مارقين فيما بعد ، يذهبون الى (سلامانكا) للاعلان عن مساندتهم لفرانكو وجيشه «المظفر» في اطار (البروباجاندا الاصلاحية) ضد الحكم الوطني في اسبانيا ٠ في سنة ١٩٣٦، أصبح الحزب يمارس نشاطه علنيا ، وكانت صحافته («السلام» ، «الريف» ، «الحياة»، «الامة») تعبر بصورة واضحة عن الخط المنحرف الذي سينهجه الحزب فيما بعد ، والذي كان في الواقع نتيجة حتمية لمنظوره الطبقي:

(١) الاعتماد ، سياسيا ، على اسلوب «المطالبات» ٠

(٢) ايجاد صيغ للتعاون مع الحكومة المحلية التي كانت الاقامة العامة «تباركها» وكان الحزب يتوهم وجود تناقض أساسي فيما بينها ٠

(٣) رفع شعارات «ديموقراطية» (انتخابات بلدية ، دستور ، «معونات» ، حريات عامة ، الخ) ٠

٤) الملاحظة الرابعة : (١) سيكون هدفنا الان تحليل المعطيات الايديولوجية للحركة الاصلاحية ، كما تبدو من خلال كتابات الطريس بصفة أخص ٠ وفي البداية ، نرى أنها كانت تنطوي على مجموعة مواقف بعضها أساسي والاخر ثانوي ، وينبغي أن نفترض بدءا أنه برغم «ضعف العنصر الديني» للحركة ، فانها كانت ، مع تصاعد «المحافظين» ، تحاول أن تستغل «العواطف الدينية» كأداة لاستقطاب الاهتمام الوطني ٠ لقد كان أول خطاب للطريس بعد اعلان «حزب الاصلاح الوطني» حزبا سياسيا ، خطابا دينيا تماما ٠ ان تصور الطريس للوطنية ، يختلط الى حد ما بتصوره للدين ، يقول : «الوطنية والدين شيئان لامحيد لاحدهما عن الاخر ٠ فالوطنية للدين تخدم والدين للوطنية السامية يؤهل» ومع أن الحركة كانت تعتبر نفسها حركة «تجديد اجتماعي» تتجاوز الاخلاق المتخلفة لتصيب المؤسسات ، فان الطريس كان يطلب من رجال الدين أن يرجعوا الى «سلوك السلف الصالح» و «تفضيل الروحيات على الماديات» الخ : ان الاساس السلفي قائم ٠ وسوف نلاحظ أنه يطبع عددا من مواقف الطريس ٠ أما ايديولوجيا فان الاصلاحيين وجدانيون هدفهم محاربة «طغيان المادة» (١٢/١٩٣٨) ويكون ضروريا أن نسأل أنفسنا ، الان ، في أي اتجاه سيسير هذا الخط ؟ ان الخلط بين معنى الوطنية ومعنى الدين كان سيقود لاشك الى تصور «اخلاقي» لمعضلات ذات أساس «وضعي» ٠ ولهذا أصبحت الوطنية شيئا غامضا يشبه «الشعور بالواجب وأصبح التاريخ القومي ، بعيدا عن أن يكون حركة موضوعية متطورة يلعب فيها عنصر المبادرة الذاتية دورا هاما ، نسخة طبق الاصل مما رسمته

«ريشة الرب العادل القادر» ، وتكون النتيجة الحتمية لكل هذه المقدمات «ان الدين الاسلامي» هو «أصلح نظام لمجتمعنا» ويكون منطقيا بعد ذلك أن يكون من مهمات الفرد الاربع «الايمان» ان هذا لايبدو متناقضا مع السلوك البورجوازي العام ٠ فهنا ينبغي ملاحظة أن التطور التدريجي للبورجوازية ، بالنسبة لنا ، كان يسير جنبا الى جنب مع الابقاء على المؤسسات شبه الاقطاعية ، والاقطاعية ، وبالتالي على بناها الفوقية ، كما هي كذلك فان نفوذ «المحافظين» ، داخل الحركة ، لم يكن قد وضع بعد موضع تساؤل ، الامر الذي مهد لتضخم «التيار السلفي» بصورة واضحة ٠

(٢) ان التصور البرجوازي للامة والشعب والوطن هو تصور تجريدي ، وحين يحاول الايديولوجيون البرجوازيون التعبير عن معاني هذه الكلمات فانهم يهملون اسسها المادية ، ومن ثم يستنفرون حصيلتهم «البلاغية» ويحلمون» بـ «جنات الخلد» ٠ لقد كان الطريس يعترف بوجود «طبقات اجتماعية» (وان كان مدلول الطبقة ، عنده ، ليس واردا في اطار تصور علمي) ٠ ولكنه ، كأي مثقف مثالي ، كان قاصرا عن ادراك علاقاتها فيما بينها وأساس التمييز في هذه العلاقات ، ومدى التناقض الذي يحد من «انسجامها» (كما يريد التصور البرجوازي) ٠ ان هذا العجز الطبقي عن الرؤية العلمية ، الذي يخدم بدوره ايديولوجية طبقية ، كان ، بالحتم ، سيؤدي الى ظهور «افكار انجيلية» تعتمد معطى ذاتيا : ولهذا ، فان الطريس ، كان يرى ، مثلا ، أن «المغرب يحب أبناءه على السواء ، فلا فرق بين طبقة وطبقة» دون أن يجيب على سؤال يطرح نفسه تلقائيا وهو : من «المغرب» هذا ؟ وانطلاقا من هذا التصور فان الاغنياء ، في رأيه ، مسؤولون عن «اصلاح الحياة الاجتماعية» على مستوى الوطن ، بالدرجة الاولى حتى «تكثر بيننا مظاهر المدنية والرقي»٠ لاشك أن التحليل الذاتي هو الذي يقود الى هذه النتيجة، وينبغي أن نفهم ، هنا ، أن «الاصلاح» يتضمن أيضا اصلاحا ايديولوجيا من نوع ما ، فالهيمنة البرجوازية لاتاتي من تلقاء نفسها ، وبالتالي فان مسألة السلطة تصبح أمرا مفروغا منه ٠ غير أن الطريس ، اذا كان يؤكد عدم وجود فوارق طبقية بين أبناء المغرب ، فان الامر يبدو مختلفا بالنسبة للافراد الذين يكونون هذه الطبقات ٠ ان المنطق الصوري هو ، أساساً ، منطق ديماغوجي : فكما أن الافراد مختلفين فيزيولوجيا كذلك ينبغي أن نطمئن الى أن اختلافهم في «الظروف» أمر واقع : «لسنا من القائلين بالتساوي في الملكات والحظوظ ، ونعتقد أن الله ميز ولكل في الحياة نصيب ولا يقدر هذا على ما يعمل ذاك ولا أن ينال هذا ما يناله الاخر» (١٩٣٨/١٢/٨) وعندئذ يصبح تكريس التفرقة أمرا مشروعا بالحق الالهي مادام يمس مسألة جوهرية بالنسبة لاي ايديولوجية بورجوازية هي مسألة الملكية الخاصة ، ويكون ضروريا اذ ذاك أن تنسحب أذهاننا لتعميم هذا الوضع على مستوى سيكلوجي ، حسب المناهج الهيومانية الامريكية : فلكل منا استعداد للعيش على شكل من الاشكال ، واذا أهمل الفرد هذا الاستعداد الغريزي ٠٠٠ فانه ينحرف كل الانحراف عن المهمة الاصلية التي أنيطت به كموجود لنفسه» ٠ ان نظرية «المهام الاصلية» تعني ، وراء ذلك ، الابقاء على الواقع الطبقي كما هو ٠ غير أن طرح المسألة الطبقية ، على هذه الصورة ، انما كان يهدف الى وضع مسألة أخرى، هي مسألة السلطة الايديولوجية ، كمسلمة ، باعتبارها

تعبيرا عاما عن «تصور واحد للوضع» . ان هذا ما يعنيه الطريس عندما يقول : «أما مهمة الامة في نفسها فهي السعي للسيادة» ولاشك أننا نستطيع أن نطرح هنا عدة أسئلة : ما هي الامة ؟ ما هي السيادة ؟ بمن ؟ ولصالح من ؟ الا أن الاجابات تظل دون مستوى النقاش .

(٣) ـ يقول فانون) : «ان ميلاد الاحزاب الوطنية في البلدان المستعمرة قد عاصر تكون نخبة من المثقفين والتجار» (معذبو الارض ـ ص ٥٣ ، ماسبيرو) والواقع أن الايديولوجية الاصلاحية تعطي أهمية غير محدودة «للمثقفين» ، وهذا ينعكس على نوعية ممارساتها بصورة واضحة . وهي في هذا لاتبدو مختلفة مع الوضع العام لكل الطبقات البرجوازية التي ترى المثقف ، بالاضافة الى تميزه الطبقي ، «قوة اخلاقية» . ان الطريس يذهب بعيدا اذ يعتبر أن «الوطني» هو «المثقف»: «الوطنيون في المغرب هم الطبقة المفكرة التي شعرت بقوميتها واتعظت بأحوال الامم الاخرى ورأت من الواجب المفروض عليها أن تؤدي رسالتها في هذه الامة بارشادها واصلاحها والاخذ بيدها الى أن تخلق منها أمة محترمة محفوظة الجانب» وفيما بعد يضيف : «ان شعبنا عندما أرادت هذه الطائفة اشعاره بمركزه كان غافلا كل الغفلة عن نفسه وعما يدور حوله» (١٧/٩/١٩٣٦) ان تفوق المثقفين يصبح مسلمة أخرى تقدمها الايديولوجية البرجوازية ، غير أن الطريس ينسى الاجابة التي ردت بها «القبائل الفقيرة» في الشمال على الواقع الاستعماري . ومن جهة أخرى فان الطريس يطرح مسائله بوضوح : هناك «طبقة تعي» ويتمحور وعيها في «الدور» الذي تمارسه ، وهناك «طبقات لاتعي» . وهذا يظل مفهوما في اطار التفسير الكلاسيكي لوضع البرجوازية الوطنية تحت السيطرة الاستعمارية (واقع وعيها الطبقي، المتولد عن ظروف موضوعية) غير أن المسألة ينبغي ألا تبقى نظرية فحسب ، ولقد دلت ممارسات حزب الاصلاح الوطني ، (والحركة الاصلاحية عامة) على وعي جاد بمصالح طبقته الآنية ، (تمديد النفوذ الايديولوجي) ولكنه عجز ، عبر أسلوب «التعاون» ، عن فهم حتمية المسار الذي سوف تتخذه علاقاته بالمستعمر في المستقبل : ان أحدا لايستطيع أن ينفي أن تجربة عبد الكريم الخطابي وأخيه ، كممارسة نضالية ذات عمق وطني ، رغم أخطائها ، ظلت «لقيطة» بالنسبة لأساليب النضال السلمي التي اخذ بها الاصلاحيون» ومثقفوهم . ولهذا ، يظل من قبيل التضليل الديماغوجي أن يطالب المثقفون الاصلاحيون «بالضرب بالمصلحة الشخصية عرض الحائط» . ان الطبقة البرجوازية حريصة على نشر «ثقافتها» (ايديولوجيتها) لان هذا الوضع يساهم عمليا في «توسيع دوائر هيمنتها الاجتماعية» ، بلغة لوكاكش . ولا شك أن اعتماد أسلوب «النضال السلمي» (الديموقراطي ، المعادي للعنف !) استطاع أن يكون عاملا نسبيا في الحفاظ على المنجزات المحدودة (النفوذ «الحقوقي») التي حققتها البرجوازية الاصلاحية حتى ذلك الوقت . ان اللغة تبدو غريبة الان ، ولكنها كانت تلائم تماما حقيقة مصالح الاصلاحيين : لقد كان الطريس ، كمنظم لسلوك طبقة ، يرى أن «قضية المطالب» هي «أهم مسائل منطقتنا الحيوية» وهذا يصبح عاديا مادام ليس هنالك من أسلوب آخر . وفي مكان ثاني ، يعتبر أن الطلب هو «خير دليل على التشبث بالسلم (١/١١/١٩٣٣) ان هذا لاينسحب على الحركة الاصلاحية وحدها ، بل يتجاوزها الى الحركة الوطنية ككل (الحركة الوطنية «الرسمية») ،

فالبرجوازية تملك قدرة غامضة : انها تطالب بالعنف ، لفظيا ، ولكها في الواقع «معتدلة» ، وفي اطارها «يتصرف المثقفون كبرجوازيين جدد» (ديبيناي) · لقد كان (ماركس) ينتقد سلوك البرجوازيين الصغار ، وضعفهم ، والواقع أنهم يتحدثون كثيرا عن رغبتهم في ايجاد «تنظيمات» ، لاتخرج عن مسئوليتهم الفعلية ، ولكنهم ، بالاضافة الى ذلك «ضد العفوية» ، التي يتسم بها سلوك الجماهير في رأيهم · وبصفة عامة ، فانهم كانوا أيضا «ضد العنف» · ان التشبث بالاسلوب كان يدفع الطريس احياناً الى التنصل من مسؤولية العنف تجاه المستعمر ، ويعبر عن الموقف هذا بصورة مزدوجة : «ادعت فرنسا أننا أنصار الثورة فبطشت بالثائرين وليتنا كنا على استعداد لنريها اننا وان لم نكن من أنصار الثورة ففي مقدورنا دفع الاعتداء وحماية الحق المغصوب» وها هنا تصبح اللغة بلاغة مزدوجة ، ملتوية ، ولكنها مفرغة وضد منطق التاريخ : «اننا ننتظر أن تعود فرنسا لرشدها وتمد اليد للاحرار من المغاربة» (١٩٣٨/١٢/٨) ولهذا فان الاضراب والتظاهر ينبغي اعتبارهما من بقايا «التكالب على المادة» وضد «وجدانية» الحزب (١٩٣٩/١/١٩) «أما التهديد فكل ما يصدر عنا من صيغ كلامية فليس القصد منه سوى الاسترعاء» (١٩٤٦) ولا بد أن نفهم العكس ، وحسب المنطق النوعي للممارسة الاصلاحية ، عندما يقول الطريس : «قالوا عنا اننا نعنف ونتطرف ، وهذا صحيح ، والداعي الى الشدة قلة ما ربحناه من الاعتدال» · ان التاريخ ، فيما يبدو ، لايصحح خط الممارسة : ففي سنة ١٩٤٧ أصبح واضحا أن الحزب «لن يقر أساليب العنف والاعتداء ويفضل سلوك طرق السياسة والاقناع» وبعد خمس سنوات (١٩٥٢) كان خير ما ينصح به أنصار الحزب «الصبر والاعتدال» السلام ، السلام ، السلام ، لقد أنجز «المثقفون الاصلاحيون» مهامهم ، ومن الواضح أن انتماءاتهم الطبقية لم تكن قادرة على أكثر من ذلك : ان المأزق لم يكن تعبيرا عن اختيار ، بل كان تعبيرا عن واقع طبقي ، وبالتالي عن فشل طبقة في انجاز النضال الوطني ، عبر ممارسة العنف ، وطرح مسألة السلطة كقضية أساسية ·

٥) الملاحظة الخامسة : هل كانت الحركة الاصلاحية تملك استراتيجية محددة تتصرف داخلها ؟ ما هو توجه اهتماماتها بالنسبة للقضايا ذات التأثير على «الوضع المغربي» ؟ قبل الاجابة على هذين السؤالين ينبغي أن نشير الى أن الحركة الاصلاحية كانت تواجه أربع قضايا أساسية :

(١) الموقف من «العالم الاسلامي» والوحدة العربية·
(٢) الحرب الاهلية في اسبانيا ·
(٣) «النفوذ الشيوعي» ·
(٤) دور الولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب الثانية ·

وسوف نحاول مناقشة هذه القضايا بصور متفاوتة (١) : والواقع أن «الفكرة الاسلامية» لم تكن تغرب عن بال الطريس ، فهو مثقف سلفي يريد أن يطرح المسائل الوطنية طرحا «وضعيا» عن طريق تبني مقولات (جمال الدين الافغاني) التي تقادم عليها العهد · لقد اعترف علال الفاسي نفسه بأثر (القرويين) على التكوين السلفي للطريس (٤) ، غير أننا ينبغي أن نعتبر أن هذا انما كان بصورة جزئية ، وان اقامته في مصر قد حددت بالفعل معطي هذا الاثر بحيث أصبح من قبيل «الممارسات

اللامشروطة» التي تبنتها الحركة الاصلاحية دون ابطاء ٠ ان الاقتناع بالفكرة الاسلامية ، عند الطريس ، كان يتجاوز حدود الواقع ليرتقي الى مستوى الوهم بامكانية «وحدة اسلامية» على شكل «امبراطورية» تضم جميع «المؤمنين» وتعيد لهم «الامجاد الخالية» التي لازالوا يحلمون بها ٠ لقد كانت المسألة ، بالنسبة للطريس كما بالنسبة للمثقفين البرجوازيين ، مسألة استعادة للذات، ذلك «أن التذكير بالامجاد العربية الاسلامية الغابرة قد تلاءم في المرحلة الاولى المترجرجة للحركة القومية مع شعور المثقفين بوجودهم» (بولين) غير أن موقف تركيا في سنة ١٩٤٨ من القضية العربية ـ الاسرائيلية ، واعترافها بالتقسيم ، استطاع أن يضع كل ذلك في موضع حرج ، ولكن الطريس اكتفى بأن أبدى أسفه على ما حدث ٠ هل كان باستطاعة الاصلاحيين أن يفعلوا أكثر من ذلك ؟ ان الطرح اللاتاريخي للمسألة الاسلامية قد أدى الى عدد من الالتباسات ، وعلى الجملة فان النضال الوطني هو وليد وضعية استعمارية ولهذا يظل ادخاله في منافذ «دينية» من قبيل التشويه المفتعل ٠ والواقع أن هذا التوجه برمته ، تحت التفسير الماركسي ، انما يقود الى البلبلة : ان الطموحات الفعلية للايديولوجية الاصلاحية هي طموحات قومية ٠ ودون الدخول في نقاش حول الاساس المادي (مسألة «السوق القومية») لهذه الطموحات ، فان طبيعة النضال الوطني ، منذ الثلاثينات وحتى منتصف هذا القرن ، كانت تكتسي طابعا قوميا لاشك فيه ، (من قبل ، كان المقاتلون الريفيون بدورهم ، يرفعون شعارات قومية وأيضاً دينية) رغم ظروف التجزئة ٠

(٢) هل كان طبيعيا أن تقف الحركة الاصلاحية في الشمال الى جانب «الفاشستيين» خلال الحرب الاهلية الاسبانية ؟ ان كلاما كثيرا يمكن أن يقال بخصوص «التاكتيك» الذي انتهجته الحركة والذي يرمي في النهاية الى تحقيق «الاستقلال» بأي وسيلة ، غير أننا نخطىء كثيرا جدا حين لانراجع هذا «التاكتيك» ذاته مراجعة طبقية : لقد أصبح مكشوفا ، الان ، أن الحركة الاصلاحية، قبل تأسيس حزبها وبعده، كانت تملك علاقات مع السلطة الاستعمارية سواء بواسطة «الحكومة الوطنية» أو بواسطة بعض أعضاء الحركة «المرموقين» ٠ ولاشك أن هذا الارتباط ، آجلا أو عاجلا ، كان سيقودها حتما الى مجموعة من الاخطاء ٠ غير أننا ينبغي ، من موقعها ، أن نفهم هذه الاخطاء كانعكاس لايديولوجية الحزب الطبقية و «أساليبه النضالي ـ البرجوازي الاصلاحي» الذي يعتمد سياسة «المطالبات» و «تقديم العرائض» رغم أن روح شعبنا «روح عسكرية حادة» (كما يعترف الطريس نفسه ١٩٣٨/١٢/٨) ٠ لقد كان أول امتحان لنوعية التوجه الطبقي للحزب تفجر الحرب الاهلية في اسبانيا فيما بين الديمقراطيين والجناح الفاشستي العسكري الذي كانت تسانده الكنيسة و الاحتكارات الاجنبية ، بالاضافة الى النظم الفاشية في ألمانيا وايطاليا ٠ أن أي تبرير لموقف الحزب من الحرب لايمكن أن يكون مقبولا مادام ينطوي على فهم غير واضح لطبيعة القوى الطبقية المتصارعة ومصالحها ٠ ان الطريس يؤكد (١٩٣٣/١١/١) في بداية التصاعد الديموقراطي أن «انقلابا خطيرا حدث في الامة الاسبانية» وأن عمق هذا الانقلاب ديموقراطي وضد السلطة الفردية ٠ وكانت الحركة الاصلاحية ، قبل ذلك (١٩٣١) ، قد قدمت الى رئيس الحكومة الاسبانية المؤقتة مجموعة من المطالب تتعلق بانتخاب المجالس البلدية وانشاء مجلس شورى وضمانة حرية الصحافة والنشر والاهتمام بالتعليم وتخصيص ميزانية للفلاحة، غير أن هذه المطالب ، لاسباب تتعلق بطبيعة السلطة في تلك

الفترة ، لم تلب ، وحين بدأ التحرك للاطاحة بالنظام الوطني في اسبانيا ، بعد أن اتضحت طبيعة توجهه ، بدأ الحذر يطغى على مواقف الحركة الاصلاحية الى أن أصبح تحالفها المناهض لحكومة الجبهة الوطنية ، والمتعاطف مع الحركة الفرانكوية «أمرا واقعا» ٠ وعندئذ بدأت حملة التملص من «الحوار» الذي كان قد جرى بين الحكومة المؤقتة والحركة الاصلاحية باعتبار أن هذا الحوار لم يكن ممكنا ٠ «ان الجهاد الوطني يلزم ألا يسمع من جديد نغمة تحالفه مع الحمر ضد الحكومة القائمة ، لانها نغمة بليدة يعلم المسؤولون من رجال الحكومة أنهامحاطة بظروف تجعل قبولها مستحيلا من جهتنا» (١٩٣٨/١٢/٨) أما «الظروف» فهي : التركيب الطبقي للحركة الديموقراطية في اسبانيا : العمال ، والفلاحون ، والبرجوازيون الصغار (٥) الخ٠ وفي مقابل «الاستحالة» كان هنالك الصمت على تجنيد الآلاف من الفلاحين الفقراء والبدو المغاربة لمصلحة الفاشستيين ، وكان هنالك بعث أفراد من «المثقفين الاصلاحيين» ، لاذاعة بيانات التأييد من راديو (سلامنكا) للتحالف الكنسي الفاشي ٠ ولقد كان هذا مخجلا الى أبعد حد ، بالنسبة للجيل الجديد من الوطنيين خصوصا اذا أدركنا أنه كان يحدث في اطار «الوقوف ضد المد الشيوعي في المنطقة» (٣) ٠ والواقع أن الحركة الاصلاحية ، رغم عزلتها السياسية على الصعيد العالمي ، استيقظت على تصاعد الستالينية داخل الحركة الشيوعية العالمية ، غير أن هذا لايشكل سوى محاولة ، من جانبنا ، لتحديد عناصر رؤيتها لهذا الموضوع ، فليس هنالك ما يشير الى موقف الحركة الاصلاحية من «الحزب الشيوعي المغربي» بعد انفصاله عن الحزب الشيوعي الفرنسي بزعامة (علي يعتة) و (ليون سلطان) في مطلع الثلاثينات ٠ ولا شك أن «الاصلاحيين» كانوا «لايقبلون» تواجد مثل هذا الحزب ، أولا ، بالنظر الى ماضيه ، وثانيا ، بالنظر الى ايديولوجيته القاعدية المعادية للثقافة السلفية الارستقراطية وزعامة الاصلاحيين ٠ ولقد انعكست شوفينية المثقفين السلفيين على فهم الطريس للحركة الشيوعية ٠ فكان يرى أنها «أسد مفترس»٠ وقد أبدى في خطاب وجهه الى العمال حرصه على تخليص هؤلاء من «براثنه» ووعدهم ، في مقابل ذلك ، ببرنامج «اسلامي حافل بكل أنواع العدل» في الحقوق والمساواة في الواجبات ٠ وحتى سنة١٩٣٧ كان الطريس لايزاليعتقد أن «الشيوعية الروسية قامت قبل كل شيء على أكتاف الاسرائيليين أو من هم اسرائيليو الدم» ، علما بأن «مؤسس المذهب وواضع كتاب (الرأسمالية) هو كارل ماركس اليهودي» ٠ ان الموقع الطبقي واضح ، ولهذا كانت «الشيوعية» توضع في أسوء اطار بالنسبة للاعلام الاصلاحي (٤) ٠ وربما للسبب نفسه ، كان الطريس لايعترف بوجود «شيء اسمه المقاومة الفرنسية ضد النازي» ويعتبرها من قبيل «الخرافات والاساطير» المضللة ، «ذلك أن الولايات المتحدة هي التي حررت أرض المارشال جوان» (٦) ٠ واستمرارا في نفس الخط كان يرى انسحاب فرنسا من الهند الصينية عملا مضادا لمصالح العالم الحر في «ايقاف التيار الشيوعي» (١٩٥٣/١٠/٢٧) ٠ والواقع أن الطريس كان قد برز ، بعد الحرب العالمية الثانية، كأحد المدافعين عن «الغرب» وكانت الولايات المتحدة الامريكية قد خرجت من الحرب كدولة قوية «حريصة على سلامة العالم الحر» فلم يجد الطريس بدا من أن يعتبرها «دولة مسئولة عن مصير الانسانية ، رغم هيروشيما وناجازاكي ٠ لقد تنبه الاصلاحيون الى الدور الذي يمكن أن تلعبه الولايات المتحدة لصالحهم ، ولهذا بادروا ، بعد نهاية الحرب مباشرة ، الى فتح مكتب لهم هناك يديره السيد المهدي بنونة ٠ وكان الطريس يقترح تحصين شمال افريقيا

«تحصينا ينتفع به العالم الحر قاطبة ، عن طريق اقرار خطة ثابتة» (٢٩/٦/١٩٥٢) في مقابل تدخل الولايات المتحدة الامريكية «في قضايا الشمال الافريقي لصالح الضعفاء و «المظلومين» · ان الخط منسجم تماما : أما النتائج فتعني ببساطة اخضاع النضال الوطني لظروف الحرب الباردة في مقابل الحصول على تحرر شكلي يباركه «الغرب الديموقراطي» بزعامة أمريكا ·

من الواضح ، الان ، أن الحركة الاصلاحية ، كانت تملك استراتيجية محددة تعبر من خلالها عن أمانيها الطبقية · اننا لايمكن أن نظن أن هذه الاستراتيجية كان يجري بحثها ومراجعتها اثر حدوث أي تغير في الوضع العالمي : لقد كانت تعبيرا عن «البراغماتية» التي تميز تصرفات الحزب في مواجهة كل القضايا · وهكذا استطاعت الحركة أن تجسد نواياها القومية في ارتباط «ديبلوماسي» بجامعة الدول العربية في حين بقيت معزولة ، عمليا ، عن الاتصال بالمنظمات الجماهيرية التي كانت تناضل في واجهتين : طبقية ووطنية ، الامر الذي جعل الحركة الاصلاحية عاجزة عن تحليل الوضع العربي بعد تقسيم فلسطين واعلان دولة اسرائيل · ان هذا العداء نحو المنظمات الجماهيرية تجلى في موقف الحركة بين الحزب الشيوعي الفرنسي (رغم ما يمكن أن يقال عن موقف الحزب ذاته من استقلال المغرب) وفي صمتها المطلق عن الوقوف الى جانب الميولات الديموقراطية في اسبانيا · لقد كانت الحركة ، في يأسها من تسييس فعلي للجماهير ، قد أخذت تبحث عن ارتباطات «رسمية» على مستوى دولي من أجل الحصول على أقرب المكاسب ، لقاء بعض التنازلات ، وفي ذات الوقت كانت تجد نفسها مضطرة ، طبقيا ، الى اعلان العداء نحو حركات شعبية تبنت النضال المسلح أسلوبا للخلاص من القهر الاستعماري (راجع : موقف الطريس من انسحاب فرنسا من الهند الصينية) ·

٥) الملاحظة الخامسة : الواقع أن الحركة الاصلاحية استطاعت أن تعبر في مدى ثلاثين سنة تقريبا عن «الحاجة» البرجوازية الى «التقدم والرقي» · ولقد كان المثال البرجوازي الغربي ماثلا دائما في سلوكها على شكل مشاريع لترميم البناء ـ الاجتماعي «المتخلف» حتى وهو تحت السيطرة الاستعمارية · ان التكوين الارستقراطي البرجوازي للحركة كان لايسمح لها بأن تتجاوز حدود معنى «التجديد الاجتماعي» ولهذا فشلت في أن تصبح «حزبا وطنيا» حقيقيا يستوعب القاعدة ويوجهها نحو نضالات جذرية لاتعتمد «أساليب الاستفادة» · هناك نصوص كثيرة تؤكد أن الحزب لم يكن يجد آذانا صاغية وأنه واجه صعوبات متزايدة ، سواء من طرف «المحافظين» أو من طرف قطاعات شعبية واسعة · غير أن الطريس كان يؤكد أيضا ، في الاربعينات ، أن الحزب لاينقصه المنخرطون · وهنا كانت تطرح مسالة العضو : من هو ؟ ان الطريس لم يتحدث عن «نظام الحزب» ويجب أن نفترض انه لم يكن هنالك نظام محدد أو صفات ينبغي توفرها في «الاعضاء» · فالحزب كان شكلا من أشكال التجمع وكانت وسائله الاعلامية أداته الوحيدة للتعبير عن ايديولوجيته وطرح مشاريعه الاصلاحية · ونظرا لضعف تنظيمه فان «الطريق الديمقراطي» كان هو الطريق الوحيد الممكن · ان الضرورة كانت تقتضي وجود «حزب قوي» يعبىء القوى الجماهيرية سياسيا (وليس عن طريق «الاناشيد الوطنية») لمواجهة السيطرة الاستعمارية في المدن بواسطة الاضراب والتظاهر والعصيان، وفي ذات الوقت يحطم الحصار المفروض على الارياف وسكان البوادي فيعبئهم عمليا وسياسيا للضغط ، وتدريجيا لخوض

النضال المسلح في أي شكل من الاشكال ٠ وهذا لم يكن واردا بالنسبة لحزب الاصلاح نظرا لوضعيته الطبقية ولعزلته عن الاغلبية الساحقة من الجماهير القادرة على تحقيق الفعل الوطني ٠ لقد كان حزب الاصلاح يعتمد على «قيادة الفرد» ، الذي كان بدوره يتعاون مع نخبة من الاعضاء ، يقع اختيارها بدافع «عائلي» وكان الطريس حريصا على هذه القيادة وبالتالي كان يرفض أي حوار بين القاعدة والقمة ويؤكد أن «القيادة» يجب أن تقود لا أن تقاد» ٠ وكان التكوين الطبقي للقيادة كالتالي : أرستقراطيون ، من ملاكي الارض والعقارات بواسطة الارث ٠ وبورجوازيون يحترفون المهن الحرة (الاساتذة والمعلمون) أو التجارة والحرف التقليدية أو الوظيفة (ادارة الحكومة المحلية) ٠ ان هذه الوضعية لم تكن تسمح الا بقليل من الحوار مع القاعدة الجماهيرية في المدن ، أما مع سكان البوادي فاننا يمكن أن نطمئن الى أن الحوار كان منقطعا خصوصا اذا ادركنا أن فئات من الفلاحين الفقراء في المنطقة كانت تئن تحت الاستغلال الارستقراطي لها ، ولهذا ، فالواقع أن رفع شعارات «لاطبقية» من جانب الحزب انما كان من قبيل الخطابة «البليغة» ، التي كانت ، كما ينبغي أن نفهم ، عنصرا هاما من عناصر الفكر الاصلاحي ٠

٦) لقد كان ذلك كله ، من موقعنا ، يعلن اندحار طبقة وسقوط ايديولوجية : طبقة كان «الاستقلال السياسي» بالنسبة لها حسما لوضعية متدهورة كادت تفلت من يدها (لقد كان واضحا ، أن الاتجاهات الشعبية في الحركة الوطنية ،تميل الى حل الموقف عن طريق العنف) فاندفعت بكل رغبتها الكلبية في التسلق لتصبح «طبقة السلطة» ووكيلا لايحسد ، بالنسبة لجيوبها الاخرى ، في السوق الامبريالية العالمية ٠ وايديولوجية عجزت عن اكتشاف الافق الاجتماعي للنضال الوطني ضد الاستعمار ، فبسطت الرؤية الوطنية ووقفت دون مسئوليتها ودون مستوى الوعي الجماهيري في تعميق محتوى النضال الوطني ، وتصعيده الى معنى التحرر الكامل من كل أشكال السيطرة الطبقية ٠

غشت ١٩٧١

المراجع

(١) من تراث الطريس : كتاب العلم (رقم ٨) مطبعة الرسالة ٠

- (٢) حول القومية العربية : بولين (دار العلم للملايين) ٠

(٣) الثورة والتقاليد في افريقيا : فرناندو موران (اليانتا) ٠

(٤) تاريخ الاحزاب الشيوعية : الياس مرقص (دار الطليعة) ٠

الهوامـش

(١) تعتمد الملاحظة الرابعة اعتمادا كليا على نصوص مجتزأة من خطب الطريس ومقالاته ·

(٢) هذه الملاحظة ، محاولة تقريبية لتصور وضع · أنها تقوم في الاساس فوق معطيات أكثرها نظري ·

(٣) لقد كانت انتفاضة (زايان) دليلا آخـر ·

(٤) أشار علال الفاسي الى هذا في المقدمة القصيرة التي كتبها بمناسبة صدور (ثراث الطريس) ·

(٥) المنظمات والهيآت التالية كانت في صفوف الحكم الجمهـوري :

أ ـ الكونفدرالية الوطنية للعمال(C N T.)التي كانت تقودها الفدراليـة الفوضويـة الايبريـة(F.A.I) أكثر من مليونيَن من الاعضاء ·

ب ـ الاتحاد العام للعمال (بين مليون ومليونين من الاعضاء) ·

ج ـ الحـزب الشيوعـي الاسبانـي الارثوذكسـي (٣٠ ٠٠٠ عضو) ·

د ـ الحزب العمالي الماركسي

(٦) راجع : مذكرات جاك دوكلو عن الحرب العالمية الثانيـة ، ونضال الجبهة الشعبية ضد الاحتلال النازي لفرنسـا ·

مقابلة مع عبد الله العروي

سؤال ١ - في مقدمتكم للترجمة العربية لكتاب «الايديولوجية العربية المعاصرة» قلتم انه لو طرحت عليكم صياغة الكتاب بعد الهزيمة (٦٧) ، لغيرتم أسئلة الانطلاق الاولى من «نحن» ومن «الغير» لتطرحوا الاسئلة : ما هو الاستعمار ، ما هي الثورة ، وما هو التخلف ؟

لماذا لم تطرحوا هذه الاسئلة المحددة بدل الاسئلة الاولى البالغة التجريد قبل الهزيمة ؟ وما هو دور الهزيمة في بلورة هذه الاسئلة ؟ ولماذا لم تطرح قبل الهزيمة رغم ان نضال شعبنا كان يعاني نفس المعضلات ؟

جواب :

هناك علاقة بين مفهوم الكتاب وبين ما وقع سنة ٦٧، ولكنها غير وطيدة ٠ الهدف من الكتاب كان منهجيا أصلا رغم أنني كنت أريد أن أحدد أسئلة سياسية على ضوء ما كان عليه المغرب منذ سنة ٥٦ ، وعلى ضوء ما رأيت في الشرق عندما زرته (سنوات تجربة الوحدة) ٠ ولا أعتقد أن الكتاب كان بعيدا عن الصيغ السياسية ذلك أنه وراء التعابير الفلسفية والاجتماعية كان هناك هدف سياسي ، وان كان مهما عندي طرح المنهج الذي يمكننا من فهم المجتمع ٠ أما المقدمة بالعربية فظهرت بعد ٦٧ وتتجه بالخصوص الى القاريء العربي ، وذلك قصد التأكيد على أن الكتاب ليس فلسفيا وانما ذو هدف سياسي ، وانه يرتبط بما يجري في الواقع ٠

سؤال ٢ - بالنسبة لما تسمونه «بالدول الوطنية» أي في تلك البلاد التي قادتها البرجوازية الصغيرة في الوطن العربي تتطرقون للازمة الفكرية التي تعيشها تلك الانظمة بحيث تتعايش فيها - الاصولية ، - التجريبية ، - ماركسية وصفية أو موضوعية أي غير معلنة ٠ وتفتحون كافق ايديولوجي حتمي ما تسمونه بالجدلية ٠ وواضح أن هذا التطور يبدو وكأنه نوعي في كتابكم ٠ فهل تعتقدون أن هذا التطور الفكري والايديولوجي المقدم يمكن أن يقع من داخل نفس الهياكل الاقتصادية والاجتماعية السائدة في تلك الانظمة - خصوصا وأنكم تربطون مصير تلك الانظمة بانجاز مهمة التصنيع - أم تعتقدون أن مشكلة التصنيع والتحرر تتجاوز «الدولة القومية» وأن المسالة المطروحة بذات الوقت على الصعيد الايديولوجي والاقتصادي والاجتماعي في اطار الصراع الطبقي في تلك «الدول القومية» ذاتها ؟

جواب :

أخذ الكتاب منذ البداية أنه يركز على المظاهر الثقافية ويهمل الاسس الاقتصادية والاجتماعية ٠ بمعنى أن الكتاب لايعتمد التحليل كأساس ٠ لكن يجب أن يفهم أنني كنت تحت تأثير الحالة في مصر أي حالة النظام الناصري ، هذا النظام كان يريد التحرر الاقتصادي ، لكنه كان يرفض المنهج الماركسي كمنهج باعتباره قسما من التراث الغربي المتنكر اشخصيتنا ٠

والكتاب يدور وكأنه حوار بين شخص يدافع عن النظام الناصري وهو أقصى ما وصل اليه التطور

العربي وبيني أنا شخصيا ، وأريد أن أبين له أنه اذا لم يعتمد على المنهج الماركسي الذي يجب أن يعمم في المدارس والصحافة الخ ... فان ما يعلن عنه من ارادة تصنيع البلاد ، وتحررها من الامبريالية لن يصل اليه .

ويمكن طبعا أن يقال أن ما ادعو اليه على أساس الاقناع لن يحصل ، باعتبار أن أصحاب الحكم في هذه البلاد لن يقبلوا الماركسية ، ولن يتركوها تتغلغل في المجتمع ، لكن نطاق الكتاب هو محاورتهم مهما يكن من احتمال اقناعهم أم لا . والواقع أنني أحاول طرح الحدود التي وصلتها - بالخصوص - الدولة القومية في مصر ، واتمنى أن تدخل البلدان العربية الاخرى - عندما تبلغ نفس التطور - المنهج الماركسي .وكنت أظن أن ذلك سيقع في الجزائر ، ولكن لم يقع .

المسألة في العمق متعلقة بالنخبة المسيرة . فليس هناك طبقة تصل الى الحكم كطبقة ولكن هناك دوما نخبة تصل الى الحكم باسم طبقة معينة ، وقد تمارس الحكم فعلا وباخلاص لمصلحة الطبقة التي تمثلها . والسؤال اذن : ما هو السلاح الفكري لهذه النخبة ؟ . ولا يمكن أن يقال أن كل نخبة غير منتمية الى الطبقة العاملة لا يمكن أن تختار الماركسية كمنهج ، فقد تضطر النخبة - في حالة وقوعها في مأزق - الىاختيار المنهج الماركسي، ومثال ذلك ما وقع فيبولونيا وبعض بلدان أوروبا الشرقية .

سؤال ٣ -

أليس هذا المنطق الذي يقترب من التكوين الايديولوجي البيداغوجي ان صح التعبير محاولة للتأثير على النخبة بدل طرح المشكل انطلاقا من الجماهير . وهل نموذج تحويل النخبة الذي تطرحونه ممكن في ظل معطيات التركيب الطبقي السائد في العالم العربي ، (بقيادة تلك النخبة بالضبط) ؟

جواب :

مما يدفعني الى اتخاذ هذا النموذج وجود بون شاسع في العالم العربي بين الجماهير من جهة والنخبة من جهة ثانية ، ومن ثم يصعب التأثير في الجماهير بصفة مباشرة بسبب واقعنا اللغوي والاجتماعي . وأنا كمثقف كتبت كتابا باللغة الفرنسية لايمكن أن أؤثر فيه الا على النخبة وليس على الجماهير وانطلاقا من هذا احاول أن أبين أنه اذا اردنا الدفاع عن كياننا القومي فلا مفر من انتهاج الماركسية .

سؤال ٤ -

هناك مثلا كتاب محمود حسين «الصراع الطبقي في مصر» وهو مكتوب في الاصل بالفرنسية ، لكن النخبة التي يمكنها ن تستفيد من الكتاب هي النخبة التي ستتأثر «بالايديولوجية العربية المعاصرة» . المسألة اذن لاتنحصر في التوجه الى النخبة ، وانما في مضمون هذا التوجه . ما رأيكم ؟

جواب :

الكتب الماركسية المكتوبة في الوطن العربي تعالج كلها مواضيع قائمة فعلا . وبالنسبة للقارىء العربي يظهر أن تلك التحاليل نابعة من منهج من بين المناهج الاخرى (مثل المنهج السيكولوجي ، المناهج الثقافية الامريكية ... الخ) والذي أردت أن أبينه هو أن أيمفكر يريد فهم مجتمعنا ، يصل حتما الى حد تتكاثر فيه التناقضات ، فيضطر في النهاية الى تبني المنهج

الماركسي ، ذلك أنني أريد اقناع القاريء انطلاقا من مشاكله بضرورة المنهج الماركسي ، ولهذا أتوجه بالضبط للنخبة ، وأظن أن هذه الطريقة أكثر نجاعة في التأثير · فانا آخذ مثلا المفكر السلفي وأقول له : تريد أن تتحرر من تأثير الغرب ، وبناء شخصية متميزة عن اوربا ··· الخ هذه المطالب لن تبلغها الا بنظام فكري آخر ··· ومثلا آخذ المفكر الليبرالي ، الذي يريد حكما ديمقراطيا ويريد تحرر المرأة ··· الخ فأقول له ، انه انطلاقا من نفس هذه المطالب ستضطر حتما لبلوغها أن تتبنى المنهج الماركسي ··· ولا أقول طبعا ان هذا العمل كاف · لكن هذا العمل الفكري كان مهجورا اما باعتبار أنه ثانوي أو غير مهم · وظننت أنه ميدان مهم وضروري · فالمسيرون في النظام المصري كانوا يحاولون التحرر والتقدم ، كنت لاتجد فيهم الا حب التكنولوجيا ، اما العقائد والايديولوجيات فكانت منعدمة ، بحيث أن أذهانهم كانت فارغة تماما ! في الجامعات يمكن أن يحصل الطالب على الماجستير دون أن يكون قد سمع أبدا باسم ماركس ·

سؤال ٥ ــ

لاتنكر أهمية التأكيد على الدور الذي يمكن أن تلعبه الماركسية «كعلم يتحول الى قوة مادية ضخمة عندما تمتلكها الجماهير» وذلك في بناء المجتمع المتحرر الذي نصبو اليه جميعا · لكن هناك ملاحظة تتعلق بالصيغة التي تطرحون بها «المنهج الماركسي» كصيغة بعيدة عن الماركسية نفسها · فالماركسية هي في نفس الوقت ، فكر ، وبرنامج سياسي ، وأساليب عمل ، وتجنيد طبقي ··· والملاحظة الثانية تتعلق بطرح الالتزام بالمنهج الماركسي على أنها مسألة اختيارية بالنسبة للنخب الحاكمة في الوطن العربي ، أليس الامر يتعلق بواقع طبقي لايمكن تغييره من الداخل وانما بالصراع الطبقي في «الدول القومية» نفسها؟ وبعبارة أخرى هل يمكن الدعوة الى «المنهج الماركسي» دون فهم ووعي ظروف وأبعاد الصراع الطبقي والتوصل بفضل هذا المنهج العلمي الى طرح الافاق الصحيحة للتغيير والتطور ؟

جواب :

الكتاب يريد أن يعكس الايديولوجية العربية ، ولا يحلل المجتمع وعندما أدعو الى انتهاج الماركسية ، فلا اعني أنني انتهجت في الكتاب المنهج الماركسي لتحليل المجتمع ، فبامكان الاخرين في يوم من الايام أن يفعلوا ذلك · فانا اكتفيت بتحليل الايديولوجيات وماركس كتب أيضا «الايديولوجية الالمانية» المخصصة للتحليل الايديولوجي دون التطرق لتحليل المجتمع ·

النقطة الثانية هي أنني لا أقول بأن المنهج الماركسي التزام اختياري الا بالنسبة للنخبة ، ومسألة النخبة هذه أساسية ، ذلك أن الضرورة قد تدفعها الى ذلك رغم مصالحها المختلفة ·

وفيما يخص الطبقات ، هناك ظاهرة عدم استقلال تغلغل الماركسية عن التطور العام للمجتمع · وفي الوضع الحالي لازالت الطبقة العاملة العربية لم تتمكن من استيعاب الفكر الماركسي · ولا أظن على سبيل المثال أن بامكان الماركسية أن تتغلغل في الامارات العربية ·

ورجوعا الى مصر : هناك فعلا طبقة عاملة منظمة ، لكن البيروقراطية تمنعها عن الاخذ بالماركسية وأقول ان ظروفا قد تدفع تلك البيروقراطية الى التفتح أكثر ·

أمـا عن كون الماركسية «عملا» وليست فكرا فقط ، فأريد أن أنبه الى أن ما وقع في القرن العشرين هو أن كثيرا من الحركات السياسية في اوروبا وغيرها اخذت التقنيات الماركسية وأفرغتها من مضمونها الفكري • فالفاشية مثلا أخذت التنظيم الشيـوعي وفصلته عـن الايديولوجية ، ووضعت عبادة الجنس الالماني محـل عبادة الطبقة • وفي البلدان المتخلفة نجد أن جميـع الحركات أخذت بأشكال العـمل والتنظيـم الشيوعـي واستغلته ، والمشكل اذن ليـس ربـط الايديولوجيـة بالعمل ، لان العمل موجود ، لكن المطلوب هو ارجـاع الايديولوجية الى داخل العمل السياسي • ولا نقـول بأن العمل داخل الجماهير ، وممارسة التنظيم •• الخ• غير مطلوب ، فجميع الاحزاب تأخذ جميع هذه المسائل البلشفية كتقنيـات •

سؤال ٦ ـ

هناك توضيح : السؤال لم يركز على ضرورة التنظيم واشكال النضال الخ ••• وانـما يتضمن أن الالتـزام بالماركسية اذا لم يرتبط ، ولو عـلى الصعيد النظـري بموضوعة الصراع الطبقي وبرؤية ثـورية للمجتمـع (نذكر مثلا أن البيان الشيوعي صـدر قـبل الرأسمال) بما في ذلك الدولة الوطنية نفسها ، فانـه يتحول الـى التزام مجرد ، ومدرسي ، أي معزول بدوره عن الجوهر السياسي والنضالي للماركسية • فالكتاب كما أكدنا ، يتضمن دروسا سياسية خاصـة بـه ، هناك بالضبـط طريقة خاصة في عكس الاوضاع العربية على رأسهـا قولكم بان المهمة المركزية «للدولة القومية» هي التصنيع• وهذه المهمة مطروحة عندكم بغض النظر عـن الصراع الطبقي ، بغض النظر عن ضرورة سلطـة العمال ، أي ضمن التكريس الضمني للتركيب الطبقي القائـم !

جـــواب :

حقـا ، عندما أركز على المنهج الماركسي ، فأنـا أخـذ أكثر ما في الماركسية تجـريدا أعني مثلا تحليـل الجدلية التاريخية وانعكاس الاديولوجيات من خلالهـا تاركا التحليلات الخصوصية مع الاعتراف بضرورتها، لكن يجب أن نبدأ من جديد بتحليل المجتمع العربي على أساس هذا المنهج ، يبقى طبعا سؤال : ما هو المنهج ؟ وأنا أقول دائما أن كل ما أوردته في الكتاب مأخوذ عن انتاج المصريين أنفسهم طبعاً مع وجهة نظر • وسأحلل طبعا مجتمعنا المغربي على ضوء ما أعتقده أنه المنهـج الماركســي •

فيما يخص المنهج الماركسي ، لي قراءة خاصة لـه ويمكن أن يكون فيها أخذ ورد لكن أعتقد أن الماركسيـة ليست هي التحليل الاقتصادي • الماركسية هي أساسا تحليل علاقات الجماعات عبـر التاريـخ ، وأفضـل «الجماعات» على مقولة «الطبقة» والنقطة التي تلتقـي فيها جميع المسببات هي علاقة الجماعات التي يمكن أن تكون طبقات عندما يتعلق الامر بالدول المتقدمـة •

فتاريـخ المغرب الحديث يفسر بعلاقة الجمـاعات ، وليس الطبقات التي لايمكن اعتبـارها طبقـات فعـلا ، ذلك للفرق الكبير بينها وبين الطبقات في أوربـا •

وفي جميع هذه البلاد العربية هناك صراع جماعات واستعمال مقولة «الطبقة» رغم عدم دقتها ، يـؤدي بأعداء الماركسية الى الرد بسهولة مستعملين الفـروق بين جماعاتنا وطبقات الغرب • واذا اعتبرنا جماعـة العلماء مثلا ، فالبعض يعتـقد أنهـا تشابه الكنيسـة الغربية • وأفضل بالتالي كلمة «جماعة اجتماعية» في انتظار نحت كلمة أقرب الى الصحة • والمهم هو الجدل الموجود بين الجماعـات •

هناك نقطة أخرى تفصلني عن بعض الماركسيين · ذلك انني أركز على الوضع التاريخي على أساس اختلاف التمايزات بين المجتمعات · وأركز على «العمق التاريخي» أو بالتأخر التاريخي · أي أن هناك تأخر جماعي للمجتمع ككل ، ومن تم تتغير الطبقات وتتغير علاقاتها بحكم هذا التأخر · فالتمييز الافقي بين الطبقات يجب أن لايجعلنا لاندرس التحليل العمودي أي التأخر الحضاري ، بل انني أعطي الاولية لهذا الاخير· أما الماركسيون الارتذوكسيون فيرفضون التركيز على هذا الجانب ، مؤكدين أن المسألة ليست تأخرا حضاريا وانما هيمنة امبريالية · لكن كيفما سميناها ، فعندما يكون في بلد ٩٥٪ من الاميين ، وفي بلاد اخرى ٦٠٪ فان الامر يختلف ·

سؤال ٧ ـ

كيف يمكن اذن تفسير التقدم الحضاري والصناعي و ··· الذي تشهده الصين الشعبية مثلا أو يشهده بلد صغير كالبانيا ؟

جواب :

هذه مشاكل فعلا ، ولا يمكنني الجواب هكذا ، فأنا لا أعرف تاريخ البانيا مثلا ، لكن يجب أن نعرف أن انفتاح الصين على أوربا لم يقع في نفس وقت انفتاح مصر · فهناك دراسات تشير الى أن عدد الكتب العلمية التي ترجمت الى الصينية بلغ قبل ثورة ١٩١١ بكثير ٦٠٠ كتابا علميا ، وأن أساتذة جامعيين صينيين في الحركة الليبيرالية ترجموا جميع ما كتب سبنسر : اذن أقول ان ما وقع في الصين سبقه تطور فكري لانجد له مثيلا في البلاد العربية ، أمهات الكتب لاتترجم ، وربما كان من حظ الصين أن اليابان كان بجانبها وكانت اللغتان متشابهتان ·

سؤال ٨ ـ

في مقدمة كتاب الايديولوجية العربية المعاصرة ، سجلتم العجز الايديولوجي والسياسي الذي ظلت فيه النخبة المغربية خلال العشر سنوات الماضية · فما هي رواسب هذا العجز على الوضع الذي تعيشه بلادنا ، وما هي آفاق التطورات التي ترونها ؟

جواب :

هذا سؤال يتطلب أيضا التعمق · والواقع أن النخبة عجزت كلها بدون استثناء واكتفت بالسطحيات ، خاصة في الميدان السياسي الذي لاتتعمق فيه رغم اعتبارها أنه من اختصاصها · ولا يمكن أن نربط ذلك بالاشخاص ، لان الامر أوسع من ذلك ولايمكن ربطه بالواقع الاجتماعي فحسب ، فحتى النخبة الجديدة المنبثقة من البرجوازية الصغيرة وأحيانا على ما يظهر من الطبقة العاملة بقيت خلال عدة سنوات بدون تفتح أكبر ·

وهذا الواقع يرتبط بعمق التأخر · ونحن المغاربة نجهل الجو الذي كنا نعيش فيه في بداية القرن · وقد حاولت أن أفعل ذلك ، ولا يمكن أن نتصور مدى التأخر الفكري القائم آنذاك ، ولن يتمكن المجتمع المغربي من استيعاب كل المناهج العصرية خلال خمسين سنة · وزيادة على ذلك فان الممارسة السياسية ظلت محدودة جدا من الناحية الاجتماعية ومن الناحية الزمنية · فقد انحصر العمل السياسي في فترات محدودة حوالي الثلاثينيات ثم في ٣٦ ، ٣٧ ثم من ٤٧ ـ ٥٠ · في تونس مثلا ظل ذلك العمل مسترسلا أكثر ·

والنخبة المغربية لم يقع عليها تجديد بالمعنى الحقيقي ، رغم بعض التغير الاقتصادي أو الفكري لكن لم تحل الطبقة الجديدة محل القديمة كما وقع في تونس مثلا أو الجزائر أو مصر ·

سؤال ۹ ـ

ما هي الاسس الاقتصادية والمنظورات الايديولوجية للطبقة أو المجموعات التي طمحت الى قيادة الكفاح الوطني ، وحاولت ذلك ؟ ما هي الخلفيات التي تفسر عجزها عن تحقيق الاهداف التي تطرحها ؟

جواب :

أنبه الى أن ما أقوله بهذا الصدد ليس آراءا نهائية ، بل وربما لايعبر عن جزء هام من الحقيقة ، لان هذه الموضوعات لم نبدأ بعد في تحليلها كما هو مطلوب ·

لكن حسب ما أرى وما أقرأ ، اؤكد على ظاهرة الفصل الموجود بين المدينة والبادية على صعيد الاقتصاد والفكر وحتى المعتقدات ·

فالمجموعة الجديدة التي ظهرت والتي انبثقت من المدن كانت محكومة بعدة ظروف ، منها ما هو اقتصادي · وهناك ايضا التعليم الفرنسي الذي كان متجها أيام ليوطي الى النخبة القديمة ، وبعد ذلك كانت هناك محاولة خلق نخبة جديدة من سكان المدن الخارجين عن اطار النخبة القديمة · وهذه السياسة نجحت في تونس ، ويمكن تسميتها (بالراديكال سوسياليست) ، اذ تريد خلق نخبة سياسية من الضعفاء، وربطها بمستقبل الثقافة الفرنسية (مثال سياسة اريك لابون) وهي لم تحصل على الوقت الكافي للنجاح في المغرب ·

هذه النخبة الجديدة كانت مكونة فقط باللغة الفرنسية ولذلك كانت تمثل قسما من الادارة مرتبطة بالنظام ، وهي لذلك تبعية ، ولم يكن في يدها أية وسيلة للاستقلال ماديا وفكريا · مثال ذلك أن كثيرا من مسيري الحركات الديمقراطية أو اليسارية موظفون أو طلبة يتوظفون فيما بعد · وهؤلاء عادة يكونون عناصر الحزب الراديكالي في فرنسا مثلا لكن لايسعهم أن يكونوا عناصر حزب ثوري حقيقي لانهم غير مستقلين عن النظام · ولا يعم هذا طبعا جميع العناصر ·

سؤال ۱۰ ـ

في اطار النقاش الذي فتحته «انفاس» في موضوع الحركة الوطنية ، هناك سؤال « ما هي في رأيكم منجزات الحركة الوطنية في النضال ضد الاستعمار ، وما هي رواسب الحركة على الوضع الحالي ؟

جواب :

الحركة القومية في نظري لم تتبلور بصورة واضحة الى يومنا هذا ذلك أن حركة دينية سلفية حاولت القيام برد فعل ضد الاجنبي · لكنها تقدم الظاهرة الدينية كاحدى ظواهر الحياة الاجتماعية على جميع الظواهر الاخرى وتعتبر حاسمة وظلت بذلك حركة سياسية اسميها «تاكتيكية» لانها كانت دائما رد فعل عما يفعله الاستعمار · الاستعمار يأخذ الاراضي مثلا فيقع رد فعل على ذلك ، أو يحاول تسيير شؤون المدينة فيقع رد فعل على ذلك الخ ··· لكن هذا النوع من العمل السياسي غير ايجابي ، لانه لم يوضح ملامح الوجود القومي بكيفية جادة وانما يكتفي بمعارضة بعض مبادرات الاجنبي ·

وبعد الاستقلال ، لم ندرس بكيفية موضوعية مجمل الظروف · بعضنا يقول ان الدور الاساسي دور شخص واحد · والبعض يرى أنه دور الجماعات السياسية ، أو أنه دور المقاومة ، لكنه لم يقع تحليل دور كل العناصر وتاثير العوامل الخارجية · ولم يظهر لحد الان برنامج سياسي عام ، أي البرنامج القومي الذي يجب أن يكون القاسم المشترك بين كل الجماعات في المغرب والذي عليه تتميز مصالح كل جماعة · لكن الذي حصل عمل سياسي محصور بين النخبة ، ووقع صراع بين ثلاث مجموعات على العموم حول من سيحل محل النفوذ الاجنبي بعدما انمحى ، اما النخبة القديمة واما النخبة الجديدة ، واما شخص واحد يقول أنه وارث المشروعية التي كانت في

يد السلطنة قبل الاستعمار ورجعت اليه بعد رفع الحماية، فهذا الشكل القانوني يترتب عنه توزيع السلطة ، الذي يترتب عنه استقلال السلطة لمصالح معينة • لكن لايمكن أن نقول ان جماعة من هذه الجماعات امكنها أن تعطي برنامجا عاما لكل المجموعات المغربية وتدخل فيه جميع المصالح قبل أن تتضارب •

هذا البرنامج القومي الذي يضمن استمرار وتطور المجموعة المغربية ككل ، لم يتبلور داخل أية مجموعة من هذه المجموعات الثلاث • وأضيف ان الشيوعيين الذين كانوا يقولون أنهم يمثلون الطبقة العاملة كانوا على خطأ • لان الذي يمثل مصالح الطبقة العاملة يوميا هي النقابة ، وذلك في النظام الماركسي نفسه • أما الحزب فيجب أن يمثل المجتمع ككل ، ويزيد على ذلك أن الطبقة العاملة هي الوحيدة التي ستذهب الى أقصى حد من تطبيق البرنامج القومي • الحركة القومية لازالت لم تكتمل بعد وذلك بسبب التأخر الحضاري الذي تكلمت عنه •

سؤال ١١ ـ

هل عدم قدرة النخبة السياسية على بلورة وتحقيق البرنامج القومي يرجع الى عجز ذاتي أي الى ارتباطاتها المادية والفكرية كأفراد وكأطر أم من الوجهة التاريخية بكونها عكست واقعا طبقيا موضوعيا ، وهو واقع البرجوازية المتوسطة التي ليست مهيأة بحكم طبيعتها الاقتصادية والايديولوجية لقيادة الكفاح الوطني ؟

جواب :

عندي ملاحظتان فيمحاولة الجواب على هذا السؤال: الملاحظة الاولى ترجع الى الفصل بين سكان البادية والمدينة • وضعف النخبة الجديدة يرتبط بانفصالها عن البادية وهذا واقع يرجع أيضا الى تاريخنا القديم •

الملاحظة الثانية : ان بعض الدول المتأخرة قد تصل بسهولة الى انماط متقدمة واشتراكية من التنظيم أكثر من البلدان الوسطية مثال منغوليا والبانيا ربما ، والمنهج الماركسي يتوصل الى تفسير ذلك • والامر يتعلق في العمق بتوازن القوى ، ففي المجتمعات المتأخرة نجد أن النخبة الجديدة ضعيفة ، لكن ذلك حال النخبة القديمة أيضا ، واذا واتت الظروف فبامكان الاولى أن تنتصر ، أما عندنا في المغرب فنجد أن النخبة القديمة رغم كل ما نظن قوية ، وتعرف كيف تمارس الحكم • هناك كتاب وضعه تونسي ، «محمد بيرم» في القرن ١٩ يقول عن المغرب انه من أكثر البلدان تأخرا من حيث التنظيم السياسي بالنسبة لسوريا أو تونس لكن عنده طبقة تجارية أكثر من جميع البلدان العربية ولها تواجد في أهم البلدان الاروبية • النخبة الجديدة يجب أن تكون اذن قوية جدا لمواجهة تفوق النخبة القديمة ، يجب أن تتفتح على الافكار السياسية الجديدة ويجب على الخصوص أن تربط علاقات مع الجماعات الاخرى وفي مقدمتها البادية •

سؤال ١٢ ـ

في اطار أزمة «النخبة الجديدة» و «النخبة القديمة» ما هو وزن المد الجماهيري الذي تعرفه البلاد ، وما هي الافاق التي ترونها ؟

جواب :

من الصعب جدا تقييم المد الجماهيري ، وخاصة في المغرب حيث عدم الاستمرار في العمل وعدم التنظيم المستقر ، فمدة المد قد تطول وقد تقصر لكنها غير مضمونة الدوام • والمهم عندي هو ايجاد البرنامج القومي الذي

يجمع بين مختلف المجموعات سواء كانت الفوارق بينها اقتصادية أو جغرافية أو غيرها ، هذا البرنامج هو الذي سيكون أساسا لتركيز المد اذا كان أو ايجاده اذا لم يكن ٠ فالرفع من الاجور ليست ظاهرة سياسية وانما هي نقابية يمكن أن توجد في أي نظام وبوسعه حلها رغم الصعوبات ، ومشكلة توزيع الاراضي يمكن أن تحل ، فالنظام الرأسمالي لايتنافى مع التوزيع ٠ المد اذن لايظهر لي على أن له هدفا سياسيا معينا ٠

هذا المد اذن ليس له برنامج عام قومي ٠ ومن المتطلبات الوقتية خاصة على عاتق هذه النخبة الجديدة أن تضع البرنامج ٠

سؤال ١٣ ـ

ما هي في رأيكم مقومات هذا البرنامج ولو تلميحا ؟

جواب :

يجب أن نبدأ أولا بتقييم الممارسة السابقة ٠ فاذا لم نقم بنقد ذاتي متعلق بالتطور السياسي قبل الاستقلال وطوال الفترة بعده فلن نستطيع رصد الافكار الاساسية للبرنامج ٠

والسؤال الاول هو من استأثر بالسلطة بعد الاستقلال؟ لايكفي القول أن السلطة هي تلك السلطة الظاهرة ٠ لان السلطة هي بالاضافة الى السلطة السياسية ، السلطة الاقتصادية وكذلك السلطة الثقافية الخ ٠٠٠ وبناء على ذلك يقوم البرنامج على أساس اعادة توزيع السلطة بصور متوازنة بين المجموعات على أساس التنظيم الاداري والتنظيم الدستوري وكذلك التنظيم الثقافي ٠

سؤال ١٤ ـ

ما هي في رأيكم القوى الاجتماعية المؤهلة لقيادة النضال من أجل مشروع البرنامج القومي ؟

جواب :

بكل صراحة أظن أن النخبة القديمة لايمكن أن تقوم به وعجز النخبة الجديدة خلال السنوات الفارطة جعلنا نشك في قدرتها على ذلك ، وأعني هنا جميع القوى السياسية بدون استثناء ٠

وأظن أنه لابد من ظهور نخبة جديدة كل الجدة ٠ ولا بد أن تكون لها علاقة بالبادية اي انه لايمكنها أن تكون ١٠٠٪ متأصلة في المدن ، بل لابد أن تكون لها وسيلة لربط العلاقة بالجماهير الفلاحية ٠ وقد تساعد سياسة التعليم والتقريب على ذلك ولا شك أن المطالبة بالتعريب أساسية لانها الكفيلة بأستخراج تلك النخبة من البادية٠ ولا يمكن أن يقع ذلك بين عشية وضحاها ٠ ويجب أن يكثر المتخرجون من القسم العربي بحيث تعجز الادارة عن استدراج هؤلاء ، ومن ثم سيتحول قسم منهم الى العمل السياسي ٠ ولا يمكن أن يستخرج الانسان هذه النخبة من لاشيء ٠

سؤال ١٥ ـ

حسب الاعداد الاربعة التي ظهرت من مجلة «انفاس» بالعربية ما رأيكم في المجلة واتجاهها ؟

جواب :

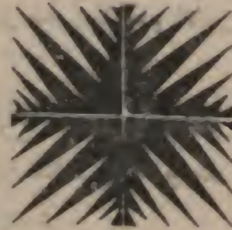
عندي بعض الانتقادات :

أولا : مجلة أنفاس الاولى بالفرنسية كانت تهتم بالثقافة وتغفل السياسة ٠ أما انفاس الجديدة بالعربية والفرنسية فتركز على السياسة وتغفل الشؤون الثقافية على ما يظهر ، وأعتقد أن كلا الاختيارين خطأ ، لان الواقع المغربي على ما أرى يفرض شيئا من التوازن بين العمل التوضيحي السياسي والعمل الثقافي ٠

ثانيا : الملاحظة الثانية تتعلق بالتوجيه ، فبما أن البرنامج القومي لم يتبلور بعد ، لايصح التركيز على

النقد الطبقي رغم أهميته يجب أن يأتي في الدرجة الثانية قصد التمييز · ويجب أن يكون الهدف الاول هو العمل على بلورة البرنامج القومي ·

ثالثا : اعتقد أن اغلب الانتقادات ترتكز عادة على النصوص وتطبقها بصورة عمومية · وهذا خطأ منهجي، وخطأ أيضا من حيث العمل السياسي ، وبصراحة فالمقال حول الفكر السلفي اعتمد على النصوص دون أن يدرس الحركة السلفية بكيفية منهجية في علاقتها بماضي وحاضر المغرب فالتغلب على مثل هذا الفكر لايتأتى فقط بتحكيم النصوص عليه بل يجب تشخيص مجمل الظروف الاجتماعية والثقافية التي جعلته يظهر ويستمر الى يومنا هذا ·





أقـــوال شـاهـد اثـبـات

محمد الفيتـوري

لقـد اهـتز الرأي العام العربي والعالمي للـمجازر التي نظمت بعد فشل الانقلاب العسكري فـي السودان ضد العناصر الوطنية والثورية الحقيقية وارتفعت كـل الاصوات الشريفة للتنديد بهذه الجرائم ٠

وصمتت في نفس الوقت الاقلام الذهبية التي سالـت منها أطنان الدموع بعـد هـزيمة أنظمـة بورجوازيـة الدولة وجيوشها النظامية في حزيران ١٩٦٧

هكذا أزالت النخبة العربية المفكرة والمبدعة قناعـــا جديدا عن وجهها وظهـرت عنترياتها الكـلامية علـى حقيقتها ، أي في الواقع ثرثرة تغطي في العمق خنوعها أمام الامر الواقع البورجوازي وحرصها على المحافظة على امتيازاتها داخل المجتمع العربـي

صوت من بين الاصوات القليلة عبر بوضوح عـــن رفضه لكل التباس وعن التحامه بقضايا ونضال الشعوب العربية وبالقوى الديموقراطية والثورية الحقة التـــي تكافح ضد الاستغلال الامبريالي والطبقي ٠ هذا الصوت هو صوت الشاعر السوداني محمد الفيتوري ٠

1

عبر الدهاليز الطويلـة ٠٠٠
التي تختال في قاعاتها الضيقة السوداء
آلهـة المـوت صفوفـا
ناشرات خلفها الصمت والانطفـاء

مشيت محكوما ٠٠٠ تعريت من الذكرى ٠٠
رقصت رقصتي القاسية الحزينـة
(كان دمي مئذنة وجسدي مدينـة)
غنيت للجنون مثلما أشـاء

أصغيت مثلمـا أشـــاء
كنـت كمـن ليس يبالــي ٠٠
أنـــا والتاريـخ ٠٠٠
والنـار التي تخرج من جمجمتي ٠٠
صاعدة الى السمـاء ٠

2

ثمـة شيء ٠٠٠
انني أعترف الان ٠٠
لقـد رأيتهـم ٠٠
انـي رأيـت القتلـــة ٠٠
مـروا علـى عينـي ٠٠
وكانوا يرجفون كالصقور الجارحة
كانوا قضاة يحملون الاسلحـة ،
ويمضغون الكتـب المنزلـــة
وكـدت لا أفهـم ما يحـدث ٠٠
ما أبشـع أن يفهم الانسان ما يحدث ٠٠
فاقتربـــوا
وأمطر الفجر الرمادي رصاصا ودماء
ومالت الاشجار في حديقة الله ،
وغطت وجههـا السمـاء
ـ لم تقتلوا البذرة ٠٠ لم تقتلعوا
الصخـرة ٠٠٠ قلت اقتربـوا ،
فاقتربـــوا ٠٠٠٠
وكشفت عن وجهها الهزيمـة
واقتربـــوا ٠٠

وعلقـوا صلبانهم في عنقي تميمـة
وكـدت لا أفهـم ما يحـدث ٠٠
ما أبشع أن نفهم ما يحـدث ٠٠
٠٠٠ ثم اشعلوا جنازتي
وطفقوا يتشحون بالرماد واحدا فواحدا
واختلطت في ناظري الثورة والجريمة
كانوا يلوحون في الفضاء بالنعال والمدي
ـ جريمة أخرى سـدى
تصبغ ايديكم ، ولما تفرغوا بعـد ،
من الجريمة القديمـة ٠
انبئكم لن تفلتوا غـــدا
مـن قـدر الولادة الاليمـة
ومن مخاض الامـة العظيمـة ٠

3

والتصق الصراخ في فمـي :
ـ الغـزاة ٠٠٠ التتريـون ٠٠
الضحايـا ٠٠ الاسلحـة ٠٠
بيارق الثورة في الوحـل ٠٠
الزنـاة اغتصبوا السلطـة ٠٠
لـم تنـج من اللعنـة حتـى الاضرحـة ٠
يـا وطـنـــي ٠٠
لـم تنج حتى حرمات الاضرحـة ٠
ساعترف ٠٠ يا مـن ستاتـون غـدا
انـي وقفت لم احرك شفة ولا يـدا
وانني في وهج العصر شهدت المذبحـة ٠

علـى درب الثـورة الاشتراكيـة

محمـد الحبيب الفرقانـي

وسعى التاريـخ
يلقانـي
كخطـو الحلـم
ينسـج النـور
علـى الآفـاق
فـي زحـف الظلـم
وعلـى الكربـات
انـداح الفجـر
يجتـر الـى الافـق
سـطـوره
وجـرى ـ كالدانـوب ـ
يسقـي الجماهيـر
نـوره
يـا غضبة الاحـرار
فـي الوديـان
فـي الايـام المجيـدة
«ضـوفتانـا»
مـات علـى ربـاك
الـف شهيـد
وشهيـدة
والشـمـس
تلثـم أوجـه الاحـرار
بـالحيـاة
وبالعقيـدة
وسكـب العمـال ارادتهم
مـن حـديـد
فـتـحـوا
مصاريـع التاريـخ
الـى عالـم جديـد
للاشتراكيـة الحمـراء
للجماهيـر
للفجـر الوليـد
مليـون (ماركس) في الساحـة
والقـى التاريـخ
وشـاحـه
وضمـد الانسـان
جـراحـه
ولـبـس
ظـلام القـرون
صبـاحـه
هضبـات الـبـلاد
المجهولـة
وخـفقـات الرايـات
المجـدولـة
صبـاح العمـال
والاذرع
المفتولـة
تـغـزل الاقمـار
تبـذر الانجـم

المصقولة
ودمدمت الجماهير
وخنقت
انفاس الاقطاع
والليل البهيم
وهوى الاعصار
الصاعد
ب (شارل) الاول
الى الجحيم
وتنفس التاريخ
الصعداء
وترنح
لليوم العظيم
آه
يا بوابة الاشراق
الضاحية
والصبح الريان
آه
يابسمة الامل
الساجية
في القلب الظمئان
آه
يا وثبة البناء
السارية
في شعب
الرومان
آه
يا بلادي
فيك مازال يعيش
التتر
آه
يا بلادي
اني ارعاه
على الليل
فيك
ويرعاني
القمر
آه
يا بلادي
أجر تاريخي الاحمر
في دم الثوار
، ، ، بذرة
في ثورة الجماهير
، ، ، شعلة
ذري الاقمار
، ، ، شحنة
من قوى الاعاصير
، ، ، لمسة
في سواعد الاحرار
آه
في بلادي
شعب ينتفض
مخضب الجناح
يلقي السلاسل
عن أذرعه
يغسل الجراح
يأكل
الاعاصير
في ليله
ينتظر الصباح

بوخارست ٢٩ يونيوه ١٩٦٨

تعريف

محمد الحبيب الفرقاني من المناضلين الاوائل ، الذين ساهموا بقسط وافر في صفوف الحركة الوطنية والتقدمية .

حياته زاخرة بالتضحيات البطولية ، وسجل حافل بالنشاط السياسي ، تعكس في مداها البعيد أو القريب حلقات القمع والتعذيب التي يتعرض لها القادة الوطنيون والسياسيون ابان الاستعمار المباشر ، وفترة الاستقلال الشكلي .

حياة محمد الحبيب في سطور :

ينحدر الفرقاني من أصل فلاحي ، ولد بقرية (تحناوت) بنواحي مراكش سنة ١٩٢٢ . وهناك تلقى دراسته الاولى على يد والده .

انتقل بعد ذلك الى كلية ابن يوسف بمراكش حيث تابع تعليمه بها .

وفي خلال هذه المرحلة التصق بالحركة الوطنية ،ومعلوم أن كلية بن يوسف كانت مهدا لهذه الحركة ، ومنها تخرج عدد من القادة الوطنيين

وعند انتهاء محمد الحبيب من دراسته ، التحق بسلك التعليم الحر ، واشتغل كمدرس ومدير بكل من أكادير ومراكش والبيضاء .

ـ ثم عين من طرف الحركة الوطنية كاطار منظم بالجنوب ، وتم اعتقاله من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية ، وتم نفيه من أكادير الى مسقط رأسه في ١٦ أبرل ١٩٥١ .

ـ عقب ذلك سلسلة من المضايقات والاعتقالات استمرت طوال فترة الاستعمار الفرنسي ، حيث نفي أخيرا الى الصحراء قصد فصله وابعاده عن أي نشاط سياسي ، وبقي منفيا حتى أواخر سنة ١٩٥٥ .

. ما بعد الاستقلال :

تمرس محمد الحبيب بعدة مهام أخرى .

ـ فعين مفتشا لحزب الاستقلال بمراكش .

وعلى اثر تشكيل ا.و.ق.ش. عين عضوا في اللجنة الادارية ، ثم مندوبا للحزب في اقليم أكادير سنة ١٩٥٩

ـ رشح للانتخابات (البرلمانية) سنة ١٩٦٣ بدائرة أكادير دون أن يزاول نشاطه بها .

ـ وفي اطار حملة الاعتقالات والقمع الواسعة التي صاحبت ١٦ يوليوز ١٩٦٣ تم اعتقاله ، وحكم عليه في مارس ١٩٦٤ بسنتين سجنا مع ايقاف التنفيذ .

وفي ماي من نفس السنة تم نفيه من أكادير الى مراكش .

ـ بعد (٥ جوان ١٩٦٧) اعتقل في سطات وهو فـــي طريقه للدار البيضاء ، بتهمة الدعوة لمقاطعة البضائع الامريكية والصهيونية ٠

ـ وفي ديسمبر ١٩٦٩ اختطف من منزله بمراكش ٠٠ وتعرض لكل أنواع التعذيب على يد البوليس

وفــي محاكمة مراكش تم الحكم عليه بـ ١٠ سنوات سجنـــا ٠

٠ محمـد الحبيب أوقـف كل حياته لخدمة قضايـا الشعب ، ولم يستعمل في ذلك وسيلة واحدة ، بل حاول بكل صدق أن يبلور تطلعات ومطامح الشعب بالكلمـــة الشعرية وبنشاطه الصحافي ٠ وكانت أعماقه تزخـــر بصرخات «قافلـة الجياع» وشـعلة ملتهبة بالنشـــاط والحيويـــة اشتغل بحـماس في الصحافة الوطنية «التحرير» وكمدير لجريدة «المحرر» ، قام باصدار أوائل المجلات الادبية الوطنية غـداة الاستقلال مباشرة وهي «رسالـة الاديـب» ٠

ـ كما أنه عضو في اتحاد كتاب المغرب العربي ، ومن مؤسسي جمعية «مساندة الكفاح الفلسطيني» ، وقد صدر له ٠ أول ديوان (نجوم في يدي) وله ديوان آخر لم يطبع بعـد هو «قافلة الجياع» ٠

انـه بحق المناضل الذي جعـل الكلمـة فـي خدمـة النضال السياسي التحرري ٠ فشخص بسلوكه وفكره وشاعريته ، الـرجل المناضـل الملتـزم في كل جوانـب حياتـــه ٠



الرحلـة والـوصـول

أحمـد بلبـداوي

رمينـا بيوسف في الجب ظنـا ، رجمنـا
بغيـب : يموت ··· تموت جزائر هـذا الشعاع · كذبنا
علـى الذئـب حيـن سألـت · بكينـا :
ـ «قميصـه هـذا ··· وهـذا الـدم» ·

تصـوبت الاذن عـبـر الدواخل : صـوت عـلا فـي الدواخـل ، قمنـا ·
نسائل أهل المدينـة ، نحكـي لعرافهـا :
ـ «أمس من الجـن ؟» عرافها قـال : «لا ،
ولا المس يسكـن دار النـبي···» ·
وأغرق وجهه في السفر ، تنوره في البخـور ·

صنعنـا من سواد الليل أنهارا ··· وأبحرنـا :
ـ « فباسم الله مجراها أيا صوتا ينادي في الدواخل يا
شراعـا يمخـر الازمان · بورك فيك · رحلتنا
الـى جزر الشعـاع ، ابيضت العينـان من يعقوب فهـو كظيـم ،
سنقطف من هناك لـه عيونـا · باسمك اللهم مرساها··»

وصلنـا · اسودت الانحـاء ، مـا عادت
قلوب الصحب اذ قـدت صـدور الصحـب ·
وصلنا ـ كشرت أنـواء ـ جدفنـا على اسـم الـرب مـن سـام ·
مسحنـا السلـخ بالاسفـار ·
تذكر بعضنا بعضا : «لبثناكم ؟ ·· وما للتـوء ليـس يسـح ؟ »
ـ «تراكضنا زمانا ··· ما عدونـا السفـح» ·
ـ «أكانت رحلـة الوهـم ؟···»
تبخـر بعـض مـن أبحـر
وبعض ضـل فـي الامصـار
سـوى بـحـار ·

تقاذفه عباب اليم ـ والانواء ـ عض الصخر من سغب ـ الى نهر تعانقه السكينة · في القرار المليل والاهوال
تحكي روعة الابحار ···

تثاءب البحار قال : «الصبر مفتاح الفرج ،
ما أنبت المجداف قمحا · هذه الريح الخؤون
تنكرت للقارب القديم يا الله مذ احييتها
في البيوق المنكوس · انف القاربي المجدوع من
يعيد يا الله جدع انفه سوى مشيئة القدير
فالصبر مفتاح الفرج ···

«··· وشب النوم في الالواى والمجداف · سرابا عاد هذا النهر ـ يا الله ـ يطفو فوقه
عمري ،
حجارا عادت الاسماك · لكن ها انا ملقى تجاذبني عروق الليل ، ها أنذا بلا ابحار ·
فما للصبر هذا ، لم يفجر ماء هذا النهر ، لم يورق رياحا؟ كنت يا الله خلف الصبر والرج ؟

«أمد الطرف يا الله : يغفو الافق في الملح
وهذا نورس ـ عفوا ـ بقايا نورس مغبر
تسلل من خلال السحب والانواء ـ قدما ـ ضاجع المجهول ،
فعاد مهشم المنقار ، مهدود الجناح ، وغامض الاسفار ·
أنا لم أرتد الابعاد ، ما صوبت للمجهول الواحي ،
فما للماء ـ يا ألله ـ تحتي عاد
سرابا هذه الحيتان أحجارا ··؟

«فيا ألله ، ها أنذا كسرت اللوح والمجداف ،
حملت الفأس ، ـ دست على جبين الصبر والفرج ـ
أعيد الخلق ، أنفخ فيك يا أشياء من روحي
فلا المجداف بلل هذه الانحاء ·
وليس الصبر ينطق هذه الاحجار ··· »·

أحمد بلبداوي

١٩٧١/٣/١٥



الاتحاد الوطني للمهندسين

ميثاق

ان المهندسين المغاربة ، الواعين كل الوعي بدورهم في المجتمع المغربي ، وبالمسؤولية المنوطة بهم ، والطامحين الى دمج نشاطهم بالواقع الاقتصادي والاجتماعي للبلاد ، يؤسسون الاتحاد الوطني للمهندسين ·

ان الاتحاد الوطني للمهندسين سيشكل اطارا للتفكير الجماعي بهدف التوعية بالمشاكل الوطنية ، كما يرمي، اعتمادا على التحليل الموضوعي ، الى طرح وجهة نظره وتحديد الاجراءات اللازم اتخاذها ازاء كل موقف سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي بوجه عام ·

منذ أن حصل المغرب على الاستقلال السياسي ، ظل في وضعية التبعية الاقتصادية والثقافية ·

ومن ثم بقي دور المهندسين المغاربة منحصرا في أعمال صورية أو تنفيذية محضة ، في نطاق اقتصادي يتخذ أهم القرارات المتعلقة به بعيدا عنهم ·

وفي حالة كهذه ، يشتد ميل المهندس الى محاولة اثبات ذاته زاعما أنه يستطيع حل مشاكل اقتصادنا برؤية تقنية ساذجة ، وبواسطة الصراع من أجل مناصب النفوذ ·

ا نالاتحاد الوطني للمهندسين ، سيسمح للمهندسين بالتخلص من الاندفاع الاناني والفردي الملفوف باللاسياسة المزعومة ، وذلك بضمهم في حضن وحدة مسؤولة وملتزمة ومساهمة في تحرير البلاد ·

وعلى المهندس المغربي أن يقتنع بأن وضعيته ليست فردية ومعزولة ، وان سكوته بالتالي هو تزكية وتواطؤ ·

ولجعل حد لهذا السكوت ، فسوف لايكتفي الاتحاد الوطني للمهندسين باجراء الدراسات الموضوعية حول المشاكل الحيوية في المغرب ، وانما أيضا سينشر تلك الدراسات على أوسع نطاق ممكن ·

ان الاتحاد الوطني للمهندسين ، وعيا منه بمسؤولية جامعتنا في التكوين الحالي الموجه للاطر ، سيعمل على تحديد الاهداف السديدة لتعليم مسخر لخدمة الصالح الوطني ·

ان الاتحاد الوطني للمهندسين سيعمل على نسج العلاقات مع كل المنظمات الوطنية التي تعمل في نفس الاتجاه ·

توصلنا من الجمعية المغربية لمدرسي الفلسفة بمجموعة من البيانات التي صودق عليها في ندوة «المنهج في دراسة الفكر الاسلامي» التي انعقدت في معمورة مابين ٧٢/١/١٤ و ٧٢/١/١٦ ، ننشر من بينها هذان البيانين مؤكدين على دعم المجلة للخط العام الذي صارت عليه البيانات . وتتعهد المجلة بنشر باقي البيانات في اعدادها المقبلة .

بيان ١

للتنديد بالتغلغل الفكري الاستعماري

نحن مدرسي الفلسفة المغاربة المجتمعين بالمركز الوطني للشباب بغابة معمورة في اطار الجمعية المغربية لمدرسي الفلسفة من ١٤-١-١٩٧٢ الى ١٦-١-١٩٧٢ للانتداء حول موضوع « المنهج في دراسة الفكر الاسلامي» ندين بكل شدة المحاولات الرامية الى تشويه واستغلال الفكر الاسلامي والثقافة الوطنية عموما لخدمة أغراض استعمارية ، ونعتبر البعثات الثقافية الاجنبية وجميع الاجهزة المنضوية تحتها وسائل لخدمة هذه الاهداف .

في هذا الاطار نندد بما يقوم به معهد «غوثه» حين يبشر بوجهة نظر تستغل مفهوم التصوف لنشر روح تواكلية انهزامية بين الشباب المغربي ، وذلك على لسان المدعو «فيشر» حين يزعم أن التصوف هو الحل الوحيد الممكن لجميع قضايا العالم المتخلف .

واننا نهيب بجميع المنظمات الثقافية الوطنية الى المساهمة في فضح هذه الاراء الاستعمارية المغرضة ، وذلك بفتح جبهة ثقافية وطنية لمجابهة هذه النشاطات المشبوهة التي لاتهدف الا لتأكيد وصاية الدول الاستعمارية حتى على تفكيرنا وتراثنا الثقافي وطمس رغبتها في الحفاظ على الامور كما هي بدعوى المساعدات التقنية والمبادلات الثقافية .

بيان ٢

حول ندوة «الفلسفة والقانون»

نحن مدرسي الفلسفة المغاربة المجتمعين بالمركز الوطني للشباب بغابة معمورة في اطار الجمعية المغربية لمدرسي الفلسفة من ١٤-١-١٩٧٢ الى ١٦-١-١٩٧٢ للانتداء حول موضوع المنهج في دراسة الفكر الاسلامي، ندين بشدة الثقافة الاستعمارية فيمختلف مظاهرها التي تذيعها البعثات الاجنبية بأعتبارها تشكل وصاية مغرضة تهدف ضرب كل نشاط ثقافي وطني وتدخل ضمن المخطط العام التحريفي لدور الفلسفة والثقافة في بلاد العالم الثالث . وفي هذا الاطار ندين الندوة التي نظمت باشراف معهد «غوثه» التابع للاجهزة الاستعمارية لالمانيا الغربية حول موضوع «الفلسفة والقانون» ، ونعتبر الجمعية المغربية لمدرسي الفلسفة وكذا الجمعيات الوطنية الاخرى التي تعبر عن اماني ومطامح الشعب المغربي هي الاطار الصحيح لاي نقاش وعمل ملتزم .

وان كل مشاركة في أعمال هذه الاجهزة من طرف المثقفين المغاربة تعتبر تزكية ودعما لهذه الاجهزة التخريبية .



رسالة من فاس

لقد كان للانطلاقة التي بدأتها مجلة «انفاس» على طريق ابراز الحقيقة الثورية ، ومن أجل توضيح النظرة في مجال التعريف بقضايانا وهمومنا الفكرية ، والدفاع عن أفكار مجموع المثقفين التقدميين المناضلين ، بخصوص مسألة حركة التحرر الوطني على الصعيد القطري ، والعربي ، والعالمي عامة ، لقد كان لهذه الانطلاقة الصدى المدوي ككل مبادرة جادة ومخلصة في هذا السبيل ٠

ان «انفاس» باتت ضرورة ملحة في ظروف الكبت الشامل المسلط على الرأي التقدمي الحر ، وفي ظل حملة التشويه البئيس الذي ما انفك يسم مجمل الحركة الثقافية ببلادنا ، انها بحق ثورة على كل أساليب الاحتواء اللاشرعي للفكر التقدمي ، واعلانا جادا على أن مرحلة فك الحصار واجتثات كل أنواع (الاعشاب السامة) قد بدأت ، وما مبادرة اصدار مجلة «انفاس» في حلتها الجديدة الا ايذانا ببدء هذه الانطلاقة التي ولاشك سوف تتجدد باستمرار على طريق صراع ايديولوجي طويل ومعقد ، لن تكون نتيجته بالتأكيد سوى انتصار الحقيقة الثورية ٠ وهذا هو الممكن الوحيد ٠

وككل انطلاقة في بدايتها ، كان لابد من أن تتعثر «انفاس» وهي تطمح بثبات وثقة لتحقيق غايتها ، في جملة من الاخطاء ، نرى من واجبنا التنبيه الى ضرورة تلافيها وصولا الى تحقيق الهدف في أحسن الشروط ، وبأنجع السبل ٠

ملاحظات :

١) قضية المستوى :

بخصوص هذه القضية نلاحظ أن المجلة برغم الطابع الجاد الذي رسم مجمل تحليلاتها ، قد تسرعت في نشر بعض المقالات التي تفتقر الى التحليل العميق (أزمة التفكير السلفي بالمغرب) ، (الشعر سلاح لامرئي) ، وكيفما كانت مبررات نشر مثل هذه المقالات بدعوى التشجيع ، فان هذا لايقف مسوغا معقولا للوقوع في مثل هذه الاخطاء ، خاصة وانتم أعلم من أي أحد آخر بالمسؤوليات الجسيمة الملقاة على الوليد الجديد ، وتربص أولئك الذين يغيظهم وجود هذا الوليد الذي وضع في مقدمة أهدافه ، الجدية في كل شيء ، وعلى جميع المستويات ٠

٢) مسألة أخرى نعتقد انها كانت من جملة الاخطاء التي وقعت فيها مجلتنا وهي في بدء انطلاقها ، وهي مصادرة بعض البوادر المخلصة ولا نقول السديدة (التعقيب ، وفي نفس العدد ، على مقالة ابراهيم الخطيب

بصدد تقييم حركة التحرر الوطني ببلادنا) وهذا في تقديرنا يعرقل مجهود المجلة بخصوص محاولتها في ايجاد صيغة ملائمة وفعالة تجعل منها فائدة لحوار تقدمي واسع تفاديا لكل شكل من أشكال الانعزال والانغلاق مع التنبيه الى أن أحدا ليس في وسعه القول، على الاقل في مرحلتنا الراهنة ، أنه يمتلك الحقيقة الثورية وحده ٠

٢) اخطاء اخرى نعتقد أنها لاتقل أهمية عن الاخطاء السابقة وقعت فيها المجلة ، تمثلت في بعض أساليب التعبير الغامضة والمعقدة ، مما يفرض على المجلة تفاديها مستقبلا بتوخي الوضوح والبساطة ، وتجنب الاخطاء اللغوية والتعبيرية ، وهذه مسألة لانعتقدها ثانوية كما قد يبدو للبعض من أول وهلة ٠

اقتراحات : بعد هذا نرى أنه من الملائم أن نتقدم ببعض الاقتراحات كمساهمة متواضعة من أجل اخصاب مواد مجلتنا نحو مزيد من الاغناء لموادها وتعميق موضوعاتها ٠

وفي هذا الصدد نقترح :

١ ـ اجراء تحقيقات حية ، واستجوابات مباشرة في عين المكان ، وذلك في كل موقع من مواقع الكفاحات الجماهيرية (تحقيقات في المصانع والمناجم ، في البادية تحقيقات حية حول أوضاع عمالنا في البلدان الرأسمالية الغربية ٠٠٠٠ الخ) ٠

٢ ـ احداث ملف في كل عدد يتناول ـ قضايا اجتماعية (مشاكل : البطالة ـ الصحة ـ البغاء ـ ٠٠) أو قضايا سياسية تتعلق بقضية من قضايا حركة تحررنا الوطني والعربي وبلدان العالم الثالث : (الصحراء المغربية ، الخليج العربي ـ تشاد ٠٠ الخ)

٣ ـ نشر نصوص ايديولوجية ثورية : (البيان الشيوعي ، مقتطفات من أعمال هوشي منه ، جياب ، ماوتسيتونغ ٠٠٠٠ الخ)

٤) ـ تنظيم مناظرات تسبق كل مناقشة حول قضية من القضايا الوطنية الكبرى ، مع بعث رسائل ومذكرات لمختلف الشخصيات السياسية للادلاء بالرأي ، والمساهمة في النقاش ، ووضع الجميع أمام مسؤولياته ، أي بالاعلان عنها في المجلة ٠

٥ ـ مناقشة الانتاج الفكري المغربي ونقده (العروي، بلال ، عبد الله ابراهيم ، الخ ٠٠٠)

٦ ـ نشر مقتطفات من اقوال الصحافة التقدمية : عربية ، وعالمية ٠

٧ ـ نشر نصوص من أعمال الادباء الثوريين العالميين (ناظم حكمت ، بابلونيرودا ٠٠٠ الخ)

٨ ـ ومن الاقتراحات المستعجلة تخصيص دراسة خاصة باحياء ذكرى ثورة الريف ، وقائدها الخالد عبد الكريم الخطابي ٠

أيها الاخوة : اننا ونحن نتقدم بملاحظاتنا واقتراحاتنا نؤكد لكم أن الذي يحركنا هو رغبتنا في أن تكون «أنفاس» الصوت الصافي والمدوي الذي يرفع علم الفكر الثوري عاليا خفاقا يتقدم مسيرة كل المناضلين التقدميين نحو الانتصار ٠

مجموعة من طلبة كلية الآداب ٠ فاس

تحية نضالية حارة ، وبعد :

نضم أصواتنا وأنفاسنا الى أنفاسكم معبرين عن تأييدنا المطلق لاتجاه مجلتكم٠ ونتهز هذه الفرصة لنلفت نظركم الى كثرة الاخطاء المطبعية الموجودة في أعداد المجلة مما يسيء الى قيمتها ٠

ـ نقترح عليكم أن تشرحوا بعض المفردات المستعملة من طرفكم في الهامش حتى لايغمض المعنى الكامل لمقالاتكم ، اذ كثير منا لايستطيعون فهمها ٠ (مثل : بلكنة الخ) ٠

ـ نود كذلك أن نستفسركم عن مصير «أنفاس» المكتوبة باللغة الفرنسية ، وبالضبط الاسباب الكامنة وراء عدم ظهورها من جديد ٠

ـ مجموعة من الاساتذة بخنيفرة ـ

الاشتـــراكـات

اشتراك المسانـدة :	٥٠ درهم سنويا
الاشتراك العادي :	
المغرب العربـي :	٢٠ درهم سنويا
باقي البلاد العربية :	٣٠ درهم سنويا
اوربـا وافريقيـا :	٣٠ درهم سنويا
أمريكـا وغيرهـا :	٥٠ درهم سنويا

يبعث الاشتراك في حوالة بريدية باسم المسؤول : عبد اللطيف اللعبي ، ٤ شارع باستور الرباط ـ المغرب

- يجب أن يحدد المشترك رقم العدد الذي يريـد أن يبدأ اشتراكه بـه ·
ساندوا أنفاس ، اشتركوا ، ساهموا في حملة الاشتراكـات ·

تبرعـات · اشتراكـات المسانـدة

توصلت المجلة باشتراكات مساندة من الاخـوة :

م·د	من الدار البيضاء	٥٠٠ درهـم ·
م·ب	من الربـاط	٨٠٠ درهـم ·
طالبين	من فلانسيا باسبانيا	١٠٠ درهـم ·
بن طابع محمد	من الربـاط	٣٥ درهـم ·

وان المجـلة لتعبر عـن تشكراتها الحارة لهـؤلاء الاخوة ، وتعدهم بالمضي باخلاص فـي الدفاع عـن المباديء التي التزمـت بهـا ·

قضايا وطنية

قضايا عربية

ثقافة وأدب

حركات تحرر وطني